الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية موسومة بـــ:

الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي

خلال القرن 19م

من إعداد الطالبة: بوبكي سكينة

بإشراف أ.د.عبد المجيد بن نعمية

لجنة المناقشة:

أ.د. محمد بن معمر	أستاذ	رئيسا	جامعة وهران
أ.د. عبد المجيد بن نعمية	أستاذ	مقررا	جامعة وهران
أ.د. الجيلالي سلطاني	أستاذ	مناقشا	جامعة وهران
أ.د. جهيدة بوجمعة	أستاذة	مناقشة	جامعة وهران

السنة الجامعية 2009م ــ2010م

إهداء

أهدي ثمرة جهدي ..... هذا العمل إلى :

إلى من تحمل عبئ وجفاء الدنيا، إلى تخطي كل العقبات لإيصالي إلى رياض العلم والمعرفة، إلى الأصل الثابت الذي لا يتزعزع، إلى من أفخر به دوما والدي العزيز، وإلى التي سقتني حليب الأخلاق وألبستني ثوب العزة والكرامة والحياء، وجعلت العلم والمعرفة تاج رأسي والدتي الحبيبة.

إلى زوجي الكريم الذي يشاركني حياتي بحلوها ومرها ، وكان دائما نعم الزوج فساعدني كثيرا في إتمام رسالتي .

إلى ابنتايا شيماء والكتكوتة الصغيرة شهيناز سارة.

إلى كل إخوتي وأخواتي كل واحد باسمه.

إلى كل عائلة بوبكي ومن يمت بها بصلة

إلى كل عائلة زوجي وخاصة الوالدين الكريمين.

إلى كل زملائي بقسم الماجستير تخصص تاريخ وحضارة إسلامية.

إلى كل من ساعدني في إتمام هذه الرسالة ولو بكلمة.

إليكم جميعا.....

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه اجمعين

"وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين"

" فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين"

ال عمران 159،146

شكر وعرفان

اقدم شكري الكبير إلى الاستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية،الذي وجدت فيه طيلة دراستي الجامعية نموذج الاستاذ المخلص لعمله المحب لطلبته المعين على إكتساب ابجديات البحث العلمي، وذلك من خلال نصائحه القيمة والمفيدة ، وتوفير جميع الوسائل العلمية. فجزاه الله عنا كل خير واتابه عنا خير الثواب في الدنيا والاخرة، وجعله دخرا يقتدى به للبلوغ بهذا الوطن قمم التطور والإزدهار.

فلك مني استاذي الفاضل اسمى عبارات الشكر والتقدير .

شكر وتقدير

اتقدم بجزيل الشكر إلى جميع اساتذة كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، واخص بالذكر قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، على ما بدلوه من جهد ومساعدتهم لنا في بلوغ هذا العمل المتواضع.

كما اتقدم بشكري إلى كل من علمني حرفا إلى ان وصلت إلى هذا المركز.

اتقدم بشكري إلى الاستاذ حمدي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته القيمة وملاحطاته السديدة.

إلى الاستاذ بن معمر محمد الذي اكن له كامل الإحترام والتقدير.

إلى الاستاذ سلطاني الجيلالي

إلى الاستاذة بوجمعة التي كانت مثلي الاعلى.

كما لا انسى جهود الاساتذة : ا. بوركبة محمد ، حسن الصادقي ،....

وإلى كل عمال مكتبة الكلية على صبرهم معنا.

المقدمة

تعتبر القارة الإفريقية أول منطقة في العالم وصلها الإسلام بعد مكة ،وهذه القارة عظيمة بعظمة تاريخها الإنساني الذي يتعاظم يوما بعد يوم، فلقد ضمت هذه القارة ومازالت تضم بين رجالها ونسائها أمما وشعوبا وقبائل شتى.

وشهدت حضارات سادت ثم بادت إلاّ أن القارة بقيت محافظة على توازنها ،ومن بين تلك القبائل التي كان لها دورها التاريخي الهام ،قبائل الهوسا محور دراستنا، فدراسة هذه القبائل تعد من حيث نشاطها في نشر الدعوة الإسلامية والعلوم الشرعية من أهم الدراسات في التاريخ الإفريقي.

فقد أدت قبائل الهوسا دورا كبيرا في مجال نشر الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، مما جعلها من أهم شعوب المنطقة التي تركت أثرا واضحاً في تاريخ القارة وحضارتها، وهو الدور الذي خلد اسمها أكثر من غيرها من القبائل التي جاورتها ،والجدير بالذكر أن قبائل الهوسا ارتبط اسمهم بقبائل الفلان، وهذه الأخيرة ظهر منها علماء مصلحون كثر من أشهرهم الشيخ عثمان الذي ينتمي إلى عائلة بن فودي المعروفة بالعلم والصلاح ، حيث قام هذا الشيخ بمحاربة الفساد العقائدي والسياسي، وواجه المشكلات التي كان يعيشها المجتمع الهوسي.

فبلاد الهوسا التي دخلها الإسلام في وقت مبكر جدا ، كانت التجارة تربط بين بعض مدنها ، وبعض بلاد شمال إفريقيا، وذلك منذ بداية القرن 1هـ،(7م) ، إذ قام التجار الوافدون من شمال إفريقيا بدور فعّال وملموس، فنشروا تعاليم الإسلام بين أبناء بلاد الهوسا، وتركوا آثاره الحسنة على هذه البلاد ، فقد وفد إليها علماء و فقهاء من مالي ، ومن الونغار ، وجاء تيار آخر مصدرة بلاد برنو في الشرق ،ثم تيار ثالث على رأسه تجار من تنبكتو وجني الذين كانوا يترددون على

أسواق كانو وكاتسينا أواخر القرن 9هـ وأوائل القرن 10هـ ،(15 -16م)، إبان انتعاش ممالك الهوسا واستقر أولئك التجار في هذه البلاد وقاموا بتدريس علوم الشريعة الإسلامية، ونشر المذهب المالكي.

كل هذا أعطى للهوسا مكانة جعلها تبرز كقوة علمية ، وتصبح مراكزها من أقوى المراكز العلمية في غرب إفريقيا، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده في هذه الدراسة.

الإشكال الذي يمكن طرحه في هذا البحث :

" ما هي أسباب تقدم الحركة العلمية باللغة العربية ونشر الدعوة الإسلامية في بلاد الهوسا".

ومن خلال هذا المنطلق فقد كان سبب إختياري لهذا الموضوع ، هو أنني مهتمة جدا بتاريخ إفريقيا وبالفتوحات الإسلامية، وكنت دائما أقرأ الكتب حول ذلك، ومرة وقع بحوزتي كتابٌ حول انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، وقرأت عن شحصية الشيخ عثمان بن فودي ،فشدني تفكيري لدراسة هذه الشخصية ، فبدأت ألتمس طريقي نحوه شيئا فشيئا، وسرعان ما أخد موضوعه يسيطر على جل تفكيري، إلى أن وجدت أن دراسة هذه المنطقة تمثل عمقا سياسيا وفكريا وعلميا واجتماعيا، لم يحظ بالاهتمام اللازم من قبل الدارسين العرب والأفارقة على السواء، وأن جل الذين كتبوا في هذا المجال أوروبيون لم تتوفر فيهم نزاهة الباحثين.

وبذلك ركزت على التخصص في تاريخ هذه المنطقة، وعلى هذا الأساس حضرت فيها موضوع مذكرتي.

وككل الباحثين قد عرضت لي العديد من المشاكل والصعوبات وأنا في طور تحضير هذه المذكرة ، يمكن أن أوجزها فيما يأتي:

صعوبة فهم الأحداث التاريخية ،وصعوبة التنسيق فيما بينها ، إضافة إلى قلة البحوث والمراجع العلمية التي تناولت موضوع حركة العلم بالهوسا ،والذي كان نتيجة قلة توفر المادة العلمية في المصادر من جهة ، وتشتتها في مختلف أنواع المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية والتراجم وغيرها من جهة أخرى.

أما المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي التاريخي الذي يقوم أساسا على جمع المعلومات وتحليلها والترجيح والاستنتاج، فحاولت تفسير الأحداث ومناقشتها وفق رؤية علمية منهجية، وذلك بالتعامل المباشر مع النصوص التاريخية من مصادرها الأصلية ، محاولة بذلك استقراءها وتحليلها وتوضيحها قدر الإمكان من خلال استنباط كل ماله علاقة بالحركة العلمية

لقد استعملت في بحثي مصادر ومراجع عربية وأجنبية ومنها كذلك الموسوعات والمجلات التي توصلت إليها، وبعض الكتب الأخرى لم أتوصل إليه لبعد وجودها ، وخصوصا أن المنطقة التي ركزت حولها الدراسة تقع في نيجيريا، وإن بعض المصادر الهامة للبحث كلها موجودة بجامعة إبادن والكثير منها لازال مخطوطا، و لم أحصل إلا على مخطوط واحد بعد طول عناء .

فالمصادر التي اعتمدت عليها كان أهمها:

يعتبر كتاب انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور لمحمد بللو بن عثمان بن فودي أهم مصدر اعتمدت عليه في هذه الدراسة فقد تحدت هذا المصدر عن علماء تكرور عامة بما في ذلك

تحركات الفولاني والهوسا منذ القرن 2هـ/ 8م ، إلى عهد عثمان بن فودي ، إضافة إلى وصف المناظرات العلمية التي جرت بين العلماء وكذا وصف المعارك الحربية بدقة وصدق ، كما نجده أسهب في ترجمة أبيه وذكر مناقبه، والخلاصة أن هذا المصدر قد أفادني كثيرا في دراستي هذه وخاصة عندما ذكر العلماء الذين ظهروا في قبيلة الهوسا.

إضافة إلى كتاب انفاق الميسور ، فقد أفادني كتاب آخر وهو ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدّين من المسائل ل عبد الله بن فودي الذي تطرق صاحبه إلى حياته ومؤلفاته ، وذكر حواره مع شيخه ومعلمه الأول عثمان بن فودي ، أما في الجزء الثاني من مؤلفه تحدث عن السياسات الشرعية والمعاملات ، والجهاد وعن الأيمان والنذور ،ويمكن القول أن هذا المصدر قد غلب عليه الطابع الفقهي ، فهو كتاب فقهي أكثر منه مصدر تاريخي. فهذا المصدر هو فقهي أكثر ما هو تاريخي، إضافة إلى أنه تكلم عن الهوسا ، وعن موقعها الجغرافي وعن القبائل التي تتكون منها، إضافة إلى ترجمة الشيخ عثمان بن فودي.

إضافة إلى ما سبق فقد كان كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة ل عثمان بن فودي مصدرا مهما جدا من مصادر البحث فقد بين المؤلف ماهي السنة التي يجب اتباعها في هذا المجال العلمي والتطبيقي للإسلام،و ما هي البدعة التي يجب اجتنابها في هذا المجال،مذللا كل مسألة بما علق بها من بدع ، كما تحدث أصول الدين كالتوحيد والفقه، ثم أشار إلى البدع التي أحدثها المسلمون في كل واحدة محتجا بما أورده علماء الشرق والغرب .فقد أفادني هذا الكتاب كثيرا في التعريف على الحركة العلمية في بلاد الهوسا، عند حديثه عن العلوم التي اشتهربها علماءها، حيث عالج هذا

المصدر ماهية السنة النبوية وكيفية تطبيقها في الواقع، كما عرج على البدعة وخطرها وكيفية اجتنابها.

كما أنني اعتمدت على مصدر آخر لا يقل أهمية عن سابقيه وهو كتاب وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان الفاسي: الذي ذكر صاحبه قبيلة من قبائل الهوسا، حيث تكلم عنها وعن الخيرات التي كانت تزخر بها المنطقة التي سكنتها (كانو) بصفة عامة ،رغم أهميته إلا أنه لم يستوف الموضوع حقه.

وقد تطلب للبحث الاعتماد على كتاب مملكة سنغاي في عهد الأسقيين لعبد القادر زبادية الذي جاء فيه ذكر مملكة سنغاي، التي تربطها مع الهوسا علاقات كثيرة أفادني الكتاب في معرفتها.

كما اعتمدت على كتاب آخر أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي لعبد الكريم المغيلي: فقد تكلم هذا المصدر عن رحلاته ، واعتمدت عليه في ترجمة المغيلي وزيارته لبلاد الهوسا وعن علاقته بحكام الهوسا.

و كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لمحمد بن أبي بكر البرتلي ويعد هذا المصدر من أهم مصادر الترجمة ، فقد استعملته في ترجمة العلماء الذين ذكرتهم في المذكرة.

فهذه كانت أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها ، أما المراجع فكان أهمها:

الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا لأحمد محمد كاني: فهذا الكتاب هو تاريخي فتحدث عن تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا وقبائل السودان الغربي والأوسط وأعطى هذا المؤلف لقبيلة الهوسا حقها ،

فقد ذكر الحياة السياسية والاجتماعية ، كما ذكر علماء الهوسا ، وتحدث عن الشيخ عثمان بن فودي ، فقد أفادني كثيرا،وكان له دورا فعالا في كل الفصول.

واعتمدت على كتاب آخر لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس و اليوم لعلي أيوب ناجي: فقد تحدث هذا المرجع عن تاريخ نيجيريا ، وكيف دخل الإسلام إليها ، وذكر الممالك و القبائل الموجودة فيها ، ومن بينهم قبائل الهوسا ، فتحدث عنها وحياتهم السياسية والاجتماعية ،وترجم بعض العلماء الذين كان لهم دور بارز في القبيلة.

كما استعملت كتاب موجز تاريخ نيجيريا لآدم عبد الله الآلوري : فهذا الكتاب عبارة عن قاموس صغير، ولكن توجد فيه معلومات كثيرة عن نيجيريا و قبائلها، وخصوصا أعطى تاريخ كل قبيلة من قبائل الهوسا.

وكتاب حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا لعبد الفتاح مقلد الغنيمي: فقد تحدث هذا المؤلف عن انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، وخصص جزءا للهوسا والفلاني ، وتحدث عن لغتهما وموقعهما وذكر المراكز الإسلامية العلمية التي توجد بالهوسا، وقد أفادني كثيرا في رسالتي خصوصا في اللغة و المراكز العلمية.

وكتاب جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي لعثمان برايماباري: فقد ذكر المؤلف كل الطرق التي أدت إلى دخول الإسلام في غرب إفريقيا، وذكر الممالك الإسلامية التي قامت في الغرب، ومن بينها قبائل الهوسا، فذكر كيف دخل الإسلام ، وتحدت عن العلماء الذين ظهروا

هناك والذين زاروها ،إضافة إلى ترجمة الشيخ عثمان بن فودي مؤسس الدولة السكتية في الغرب الإفريقي.

كما اعتمدت على كتاب الفلاتة في إفريقيا، للطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: هذا المرجع فريد من نوعه فقد أعطى للموضوع حقه ، وكان هذا المرجع هو أول ما تحصلت عليه ومن خلاله فهمت الموضوع كله، فقد أفادني كثيرا بحيث وجدت فيه معلومات ق

وعلى كتاب دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب االصحراء، ل عطية مخزوم الفيتوري: فقد غطى هذا المرجع كل الجوانب السياسية والاجتماعية.

وكتاب إفريقيا تحت أضواء جديدة ،لباذل دافدسن ترجمه جمال .م. أحمد: فقد جاء فيه ذكر الهوسا وقبائلها ، وذكر خصائصها وكيفية دخول الإسلام إليها.

كما أعطى كتاب الوثنية والإسلام ، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقية ، لبادهويا نيكار،للموضوع حقه فقد خصص جزءا للهوسا ،وعلاقتها مع الدول المجاورة لها، وذكر كيف تحولت مراكزها إلى القوة.

فهذه كانت أهم المراجع التي استعملتها، إضافة إلى مراجع أخرى لا تقل عنها أهمية .

ولدراسة الموضوع من جوانبه المختلفة رأينا تقسيمه إلى ثلاثة فصول ، ففي الفصل الأول تحذث فيه عن التعريف بالمنطقة، وقسمناه إلى تلاتة مباحث، فتحذث في المبحث الأول عن البيئة والسكان ،وحاولت قدر الإمكان تحديد تواجدهم جغرافيا ومن أين جاءت التسمية وأصولهم ونظامهم الإجتماعي والسياسي، وأثر الإسلام واللغة العربية على اللغة الهوسية.

وتطرقت في المبحث الثاني إلى الأوضاع السياسية لهذه المنطقة، و تطرقت في المبحث الثالث إلى الوضع العلمي قبيل القرن 19م، على أن نتحدث عن المراكز العلمية في الفصل الثاني.الذي قسمناه بدوره إلى ثلات مباحث، تعرضنا في المبحث الأول إلى مركز كانو ، وفي المبحث الثاني إلى مركز كاتسينا، أما في المبحث الثالث مركز زنفرا (زكزك).،أما في المبحث الرابع الذي أوردت فيه دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام.

ثم أفردت فصلا لأبرز ساسة وعلماء الهوسا، تحذث فيه عن أشهر العلوم والعلماء الذي كان لهم دور بارز في هذا المجال، والذي قسمته إلى مبحثين، فتحذث عن أشهر العلوم الفقهية وكذلك عن علم الأدب والتاريخ الذي كان علماءها متميزين فيهم،كما تحذث عن الشيخ عثمان بن فودي ودوره السياسي والعلمي في بناء الدولة الإسلامية، ثم تحذث عن الشيخ عبد الله بن فودي من حيث مولده ونشأته وإنتاجه الفكري والصراع على السلطة، ونهايته على مسرح الأحذات، وتعرضت لشخصية محمد بلو وسياسته الداخلية والخارجية، ونشاطه العلمي، ونوهت بآثاره التي بلغت سبعا وسبعين مؤلف في مختلف معارف عصره، كما تحذث عن شخصية نانا أسماء بنت الشيخ عثمان.

وخلاصة الدراسة ضمنتها بخاتمة تتناول أبرز النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول: البيئة والسكان

يعتبر تاريخ الدول الإسلامية و المماليك التي قامت في القارة الإفريقية من الأمور المجهولة بالنسبة للمسلمين إذا ما استثنينا الشمال الإفريقي، و منطقة الهوسا جزء من مناطق القارة الإفريقية التي تقطن في غرب إفريقيا، وتمثل هذه المنطقة جزءا من حضارات غرب إفريقيا التي أطلق عليها السودان الغربي ،أي أنها تقطن غرب السودان ،ترى ما هو موقع هذه المنطقة ؟ ومما تتكون ؟و هل سكان الهوسا مسلمون ؟ وما هي اللغة التي يتكلمون بها ؟

1_الموقع الجغرافي:

تمثل الهوسا معظم إمارات دولة نيجيريا[1]، و يقدر سكان الهوسا حوالي 15مليون نسمة، وقد كانوا يعيشون في السابق ـــ قبل دخولهم لنيجيريا ـــ في الأقاليم الوسطي لجنوب الصحراء شرق نهر النيجر. وقد أخرجتهم قبائل الطوارق[2] من مواطنهم، فاتجهوا نحو الجنوب[3].

وتقع الهوسا في شمال نيجيريا، وتمتد مساحتها من جبل الهواء بجمهورية النيجر شمالا إلى منطقة حوس بلاتو وسط نيجيريا جنوبا، ومن بحيرة تشاد شرقا إلى مدينة جني بجمهورية مالي غربا.

1- نيجيريا : معناها ما حول النهر، وهو اسم مستمد من نيغرو، أي الزنج الأسود .ثم أطلقوه على النهر المنسوب إلى الزنج و سموه نهر نيغرو ،أي الزنج أو نيل السودان، و تقع ما بين 4و 14 درجة شمالا ،و 30درجة أسفل خط الاستواء، وتحدها شرقا بلاد الكامرون، وغربا الداهومي، وشمالا منطقة النيجر، وجنوبا المحيط الأطلسي ،يبلغ عدد سكانها حوالى 16مليون، وفي شمالها تقع الهوسا وهي تدين بالإسلام ،ينظر : آدم الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ـــ لبنان ،ط1965م،ص21.و لوتروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، نقله إلى العربية أ.عجاج نويهض بقلم أمير البيانو المجاهد الكبير المير شكيب أرسلان، دار الفكر، ط3.: 1391هـ، 1971م. ج 3، ص 58.

2- الطوارق: من أكبر مجموعات البدو التي تعيش في الصحراء الكبرى حيث يعيش أكثر من 300000طوارقي خاصة في صحراء الجزائر، و مالي و النيجر، و هم مسلمون لهم صلة بقبائل شمال إفريقيا حيث يتحدثون اللغة البربرية ،ينظر:الموسوعة العربية العالمية ،الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ،ص ب 92072ـ الرياض 11253المملكة العربية السعودية ،ط2: 1419هـ ـــ 1999م، ج 15، ص 6

3- عطية مخزوم الفيتوري :دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قازيونس بنغازي، دار الكتب الوطنية، رقم الإيداع 98/3347، ط1 :1998، ص

و الهوسا أكبر التجمعات العرقية النيجيرية، إذ تبلغ نسبتهم ربع سكان البلاد[1].

ومن هنا فإنّ الهوسا تحتل موقعا إستراتيجيا حيث تقع في المناطق الشمالية لنيجيريا، وهنا نتساءل هل هذه المنطقة عبارة عن منطقة واحدة، أم هي عبارة عن مجموعة قبائل،و ماهو أصلها؟

2_أصل الهوسا:

قسم علماء اللغات اسم الهوسا[2] إلى قسمين :

1- هو: Hau .بمعنى اركب.

2- سا: Sa .بمعنى الثور .

وفي مجمل معناها اركب الثور أو راكب الثور، ويعتقد كثير من المؤرخين أنّ اللغة التي أطلقوا عليها اسم الهوسا كانت موجودة ومستخدمة من قبل وصول الغوبير(GHUBAIR) إلى أرض نيجيريا، إلاّ أنّ استخدام الثوركوسيلة للنقل ،كانت غريبة عن أهل غوبير ،أو أنهم زأوا غرابة الثور من عربي إلى بغدادي حسب روايتهم التي تقول : "...هزم يزيد(بايزيدا BAYAZIDA) العرب الزيديين الوثنيين، ولعلهم يقصدون أهل الصحراء[3] الكبرى الذي يطلق عليهم المؤرخون البربر والروم، وقسم بلادهم إلى أربعين مقاطعة، وصار هو رئيسا على الجزء الأكبر منها .بما في ذلكم أرض البرنو[4] التي أعلن حكامها الأقوياء معارضة قوية وتعويقا

1 - MICHL leuis : arts and peupeles de L'afrique noire , introduction à une analyse des creaion plasthque , Bibiotheque de sciences humaines mf, Le MAI 1967 , paris . P 153.

2- اسم الهوسا أو الحوسا أخذ من اسم الآلهة و السلطان المروي و النوبي المصري حوسHOURS و الذي قد يؤكد هذا الإفتراض أو يحققه، هو التشابه الكبير بينالآلهة الثلاث | الآله و السلطان أبا أماك إله و سلطان كنو الذي هزمه بقاودا بن يزيد جد الهوسا فأسس حكومته و الأله أباداماك إله مروى و النوبى، و الأله حورس إله النوبة و مصر أصحاب القدرات المتشابهة و الخرقة في إصطياد الفيلة و المقدرة على حملها على الظهور، والذى يزيد التأكيد لهذا الإفتراض هو الهجرات العربية المتعاقبة على إفريقيا عبر أربى و مروى و مصر، ينظر: أ الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي ،الفلاتة في إفريقيا و مساهماتهم الإسلامية في السودان، دار الكتاب الحديث. دولة الكويت، ط1 : 1415هـ ـــــ 1994م، ص 339.

3 -Hubert Deschamps : L'afrique noire precoloniale Presses Universitaires de France, Paris 1962..P 43.

4- البرنو ينتشر البرنو في كل أنحاء السودان، الطيب عبد الرحيمالفلاتي :المرجع السابق،ص 339.

لانتشار استمرارنفوذه على أرضهم ،فقرر سرؤا التخلص من بعضهم إلاّ أنهم علموا بنوياه فنافقوه بتزويجه إحدى بناتهم المسماة ناجرا nagra، في الوقت الذي كانوا فيه يريدون اغتياله.

فقرر نقل مقر قيادته وإدارته إلى بيرام BIARAM أو برم BURMA برفقة زوجته البرناوية، حيث استقر به المقام إلى أن ولدت له ابنا سمته يوركيبا بيرام YOURKIBA BERAM الذى صار سلطانا على بيرام قارنقبس GARINGABAS .، فأراد أبو يزيد بسط نفوذه على أرض غوبير[1] ـــ التي أسسها غابر GHABIR بن كنعان أحد أبناء نمرود بعد هجرة دامت قروناـــ الذين كانوا يعانون من هيمنة تقديس حية كانت تسيطر على مصادر المياه في تلك المنطقة (دورا).فجاء ليلا رجل يدعى أبو يزيد برفقة جنود من جنوده فقتل الحية التي يسميها الهوسا سركي فأعجبت به الملكة دورا DAURA التي تلقب بلقب مقاجيا دوراما MAGAGIYA DAURAMA وهي من سلالة ثقاجيا TAGAGIYA الأولى التي وصلت إلى هذه الأرض من فلسطين وأرض كنعان مارين بالسودان حيث مكثوا وقتا في دنقلا، وبالتحديد في المنطقة أربي URBE ،وواصلت رحلتها إلى أن وصلت على منطقة دورا، وكان ذلك قبل التاريخ الميلادي ،وقيل في القرن 9م ، والأقرب الرواية الأولى التي تطابق قصة اليربا YORBA أنفسهم[2]، واصل نمرود رحلته مارا بمصر إلى أن حط رحاله في منطقة أربي ORBE ثم غادرها إلى خسرى khusiry التي تقع غرب بحيرة تشاد[3]، ثم واصل رحلته إلى باتسكوم PATISKOM بأرض برنو، ومنها إلى دورا حيث استقر فيها لزمن قام فيه بحفر لبئر التي سيطرت عليها الحية المقدسة ذات الرؤوس السبعة.[4]

1- غوبير : اسم قبيلة، أصلهم من الأقباط الذين هاجروا من مصر إلى هذه البلاد ـــنيجيرياـــ عن طريق الصحراء الكبرى حتى واحات بلاد آهير و أزوين و سكنوها وقتا من الزمن ـــ .ينظر آدم عبد الله الآلوري :موجز تاريخ نيجيريا ،المرجع السابق، ص 83.

2- هذه الرواية اتفقت مع رواية محمد سمبو الكلوي في كتابه" كتر الأولاد في تاريخ الدراري و الأجداد "مخطوط جامعة بايرو ـــ كنوـــالتي حدد فيها اسم جد اليربا باسم نمرود NAMROUD ابن كنعان الذي قاد الهجرة عقب واقعة النبي " إبراهيم عليه السلام " التي هزم فيها نمرود و جماعته مابين 2000ـــ750سنة .نقلا من ،محمد باي بن عمر، قبيلة فولان في الماضي و الحاضر و ما اها من العلوم والمعرفة والمآثر، مطبعة دار هومه، ط 1425هـــ /2004م، ص 403ن ع ص ك 514.

3- تشاد: تقدر مساحتها ب 13.284.000كم2، عاصمتهاة فورت لامي، تقدر نسبة المسلمين ب 60%وغالبية السكان مسلمون، دخل الإسلام إليها من السودان ومن شمال نيجيريا.ينظر ،عبد الرحمن زكي، الإسلام و المسلمون في غرب إفريقيا، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية .، مطبعة يوسف، ص 141.

4- الطيب عبد الرحيم الفلاتي ،المصدر السابق، ص 339.بالطبع هذه الرواية لا يسدقها العقل ولكن هذه الرواية صحيحة لأن الإسلام كان غير موجود، فكانوا يصدقون أي شيء.

ومن ثم واصل رحلته إلى بوساBUSA أرض البرقوBURGO، ومنها إلى إفيEFFE، المقر المقدس لقبيلة اليربا.

والملاحظ أنّ قبيلة اليوربا والغوبير قد مرتا بالسودان، وسكنتا بأربي الدنقلاوية، وقد يكون أبو يزيد جد الهوسا نفسه مرّ بها إبان حكم الكوشيين[1]، ثم اتجه إلى الغرب مستخدما ثورا في ترحاله على عادة الكوشيين، وقام بإنقاد أهل تلك المنطقة من حية خطرة كانوا يقدسونها و يخشون قوتها[2] ،مما أدى إلى إعجاب الملكة به، فتزوجته و أنجبت منه ولدا سماه باوا BAWA الذي يعتبر الجد الأكبر للهوسا، وباوا هذا أنجب بدوره أولادا وهم:

1- باغودا Bagada الذي صار ملكا على كانو kano.
2- كنزور Kanzuru الذي صار ملكا على دورا.Dawra
3- غنقوما Gangoma الذي صار ملكا على زاريا. Zaria
4- دوما Duma الذي صار ملكا على الغوبير .Ghobire.
5- كمايو Kamayo الذي صار ملكا على كتسينا.Katsina.
6- زمانقاري Zamangari الذي صار ملكا على رانو Rano .

وتقع جميعها في شمال نيجيريا.

أما زوجة أبي يزيد البرناوية فهي التي تزوجها قبل وصوله إلى دورا، والتي أنجبت له بيرام Beeram الذي صار سلطانا على الولايات الهوسوية السبع بما فيها قارن قبس Garan Gabes مقر مملكته.

وتعد هذه الإمارات ممالك السبع الأصلية التي يطلق عليها اسم هوسا بكوى hausa bakwai، وهناك رواية أخرى[3] تقول إنّ بيرام سلطان قارن قد تزوج دقارا من شمال بورنو فأنجبت له:

1. زاريا Zaria 2. كتسينا Katsina

1- حكم الكوشيين:هي أكثر الحضارات التي نشأت في إفريقيا، تميزت بطابعها الإفريقي، مع استفادتها بمظاهر الحياة من حولها، ينظر الأنترنت الموقع :.www.googel.com، اليوم 29ـــ05ـــ 2007.الساعة، 17:01.

2- أخذوا هذا النوع من العبادة من الديانة المصرية القديمة التي وردت لها من الهند عن طريق مروى التي تتمثل في الآلهة أباداماكAbadamak الحية التي عبر عنها الفينيقيون بصورة ثعبان ضخم له رؤوس و أربعة أيدي و أن الكتاب الكلاسيكيين اعتبروا هذا النوع من العبادة سودانية قديمة. ينظر الطيب غبد الرحيم الفلاتي،المرجع السابق،ص340.

[3]هذه الرواية لم يذكر اسم صاحبها ،أخذت من كتاب ،علي أيوب ناجي،المرجع السابق،ص 35

3.كانو Kano 4. رانو Rano

5. غوبير Gobair 6. دورا Daura

وقد عين غوبير قائدا للجيش ليحمي إخوته من الهجمات الآتية من الشمال .

كما عين كانو ورنو مسئولين على الصناعة كالصباغة والنسيج.

وعين كاتسينا ودورا رؤساء الأسواق ،كما عين زاريا رئيسا للمبيعات.

أكد الشيخ محمد بيلو هذه وزاد عليها بأن لباوا Bawa أبناء ستة منهم خمسة ذكورا و انتى واحدة وهي دورا[1].وإلى جانب الممالك الهوسوية الأصلية السبع ،فتوجد ممالك أخرى وعددها أيضا سبع كما ذكرها بعض المؤرخين[2] ويطلق عليها اسم بندا بكوى أي الممالك السبع غير الأصلية التي انتمت إلى الهوسا ولغتهم لغة الهوسا، وهم:

1. كبي 2. زنفرا 3. نوبي 4.غواري.

2. يربا 6.كررفا 7. ياورى.

وخلاصة ما أجمعت عليه فالهوسا عبارة عن مزيج من العنصر الحامي (البربر) مع العنصر الزنجي، نتيجة هجرات البربر من شمال إفريقيا. فاختلطت هذه الهجرات بالعناصر الزنجية المستقرة في إقليم السافنا الأوسط الذي يعرف اليوم ببلاد الهوسا.

ويتصف شعب الهوسا بقامة متوسطة، وبنيانه المليء على جانب عظيم من القوة، وشدة التحمل ، وسواد البشرة، والملامح أدق من ملامح الزنوج الحقيقيين، كما أنهم فلاحون مجدون، و تجار أذكياء، ورحالة مغامرون ،فضلا عن ذلك فهم محاربون شجعان، تشهد لهم خدمتهم في حربين ضمن القوات النيجيرية بالكفاءة العالية.[3]

وتعتبر الزراعة العمل الأساسي لمعظم أفراد شعب الهوسا ، حيث أصبحوا يتمتعون بمستوى عال من المهارة في هذا الميدان[4]، إذ يزرع القطن الطباق، كما يزرع الفول السوداني والذرة حول كانو وشماليها، وتشغل أودية الأنهار عقب الفيضان الفصلي في زراعة الأرز والخضروات

1- محمد بيلو، المصدر السابق، ص 67.

2- هم أحمد محمد كاني في الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، و الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي في الفلاتة في إفريقيا .

3- أنتوني سيلور : الجغرافية افجتماعية لإفريقيا، « AFRIQUE A SOSIAL GEOGRAFHY »نقله إلى الغربية د. لإبراهيم أحمد رزناقة و محمد جمال الدين رزناقة، الناشر دار النهضة العربية 32ش عبد الخالق بيروت، دار الحمامي للطباعة، ب ط، ص 288.

4- أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، الإسلام و الدولة الإسلامية، جنوب الصحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن، الناشر مكتبة النهضة المصري ،ط:1981م ،ج :6، ص 130.

وتنتج الأرض المروية مختلف أنواع الخضروات النيلية والحنة. وحول المدن تزرع الأراضي بصفة دائمة زراعة كثيفة. [1]

كما عرفوا بمهاراتهم في الصناعة اليدوية، وأهمها صناعة صهر الحديد[2]، إذ كانت تتم بالقرب من إمارتي "رانو" و"كانو" صناعة الحديد في بسرعة كبيرة، بل يقال أنّ مؤسسي كثير من مدن الهوسا كانوا من الحدادين، كما أنّ نسيج الأقمشة وصبغها كانت تعتبر من الصناعات الهامة في هذه المدن، كما أصبحت صناعة الجلد الهوسوي مشهورة في كل مناطق شمالي وغربي إفريقية.[3]

إضافة إلى الزراعة والصناعة فقد كانوا يقومون ببيع منتوجاتهم خارج قبائلهم، مما أعطاهم مكانة خاصة في مجتمعهم حتى اصبحت مدنهم أكبر مراكز للتجارة، حيث تقع طرق القوافل التجارية القادمة إلى ظرق غرب إفريقيا والخارجة منه، وعندما تدهورت مدينة السنغال نتيجة الغارات المغربية من مراكش في نهاية القرن 10 هـــ، 16م، تحول طريق التجارة الرئيسي إلى شرق إقليم الهوسا المتاخم إلى الوادي واشتهرت فيه مدن هامة مثل كاتسينا التي أصبحت أهم مركز تجاري وثقافي، وبسببه سيطرت الهوسا على طريق التجارة حتى امتد نفوذهم إلى عدة مناطق أخرى[4].

وخلاصة القول إن شعب الهوسا هو شعب مؤلف من فلاحين وتجار ماهرين ، استطاعوا أن يبرزوا في عدة مجالات، مما يعني أنهم ذوو كفاءات مختلفة، وكل هذا أدى إلى توطيد العلاقة مع المدن المجاورة لهم، وذلك عن طريق التجارة.

فترى ماهي لغة التفاهم التي كانوا يتعاملون بها، هل هي لغة التجارة؟ أم لغة القول؟.

3_لغة الهوسا:

1- جودة حسنين جودة : قارة إفريقية ،دراسة في الجغرافية الإقليمية ،دار المعرفة الجامعية 40ش سوتير الأزاريطة، 387ش قناة سويس، الشاطبي الإسكندرية ،ط:2000م، ص:331.

2- فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، مراجعة د. ميلاد أ. المقري، ط :1997م، ص 57.

3- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 130

4- فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص 58.

يمثل شعب الهوسا هجرة من هجرات المزيج العربي والبربري الملثمين الذين كانوا لا يكفون عن المضي صوب الجنوب كلما أتيحت لهم الفرصة ،ولقد كانوا في بداية الأمر جنسا له خصائصه ومميزاته، ولكن لما انتشرت لغتهم وأصبح المتحدثون بها أكثر، فإنّ اللفظ أصبح يطلق على جميع الشعوب التي تتحدث بهذه اللغة اليوم يعني لغة الهوسا في هذا العصر. ومن أهم اللغات المنتشرة في غرب إفريقي

وقد أدى اشتغال شعب الهوسا بالتجارة والتحرك في منطقة غرب إفريقيا إلى انتشار لغتهم حتى أصبحت هي اللغة السائدة في غرب إفريقيا، بل هي لغة التفاهم المشتركة لحوالي 80%من سكان نيجيريا، وذلك باعتبار أنها اللغة االوحيدة المستعملة لعدة مناطق[1]، وبهذا فهي أساسا لغة الشعب الذي يعرف بهذا الاسم، ومنطقة وجوده تمتد من مناطق شمال نيجيريا جنوبا عبر النيجر و المناطق الشمالية من داهومي، توغو، غانا و الكامرون، عدا ذلك ينتشر أبناء شعوب الهوسا في المناطق الغربية و الشمالية من إفريقيا باعتبارهم من التجار[2].

ويتحدث بهذه اللغة 15مليون نسمة[3]حسب إحصائيات 1919م، وبذلك فهي تعتبر اللغة الرسمية في نيجيريا الشمالية حيث تستخدم على نطاق واسع[4] بصفتها لغة ثالثة في إفريقيا بعد العربية والسواحيلية من حيث انتشارها واستخدامها، وهي غنية بالمفردات العربية التي تتراوح نسبتها بين الأربعين والخمسين في المائة.[5]

وتعتمد اللغة الكتابية للهوسا الحالية على لهجة كانو العامية ،حيث أنها كتبت في القرون الماضية باللغة العربية أولا وذلك من1 إلى 200سنة، ثم بلغة عامة في الأبجدية اللاتينية التي كانت داخلة في بداية القرن 20م ،مع أربعة حروف مكملة وهي:(b.d.k.y)و كذلك علامة التوقف (ʻ) وكتابتها على الطريقة اللاتينية تستخدم إشاراة للتمييز بين اللغتين، إذ تستعمل إشارة إلى صوت النغمة لفظ نغمة منخفضة، حادة، نغمة مرتفعة، ممدودة نغمة منخفضة[6]،

1- الطباعة للجامعة38ش جامع العيسورية، دار السلام ــ المعادي، ط 1: 1985م، ص 75.

2- معجم العالم الإسلامي، إشراف كلوس كريزر، آرتريم لفانس و جورج ماير ،ترجمة د.ج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2: 1418هـ/1998م، ص 694

3- محمود شاكر : سكان العلم الإسلامي، مؤسسة و التوزيع 10نهج ابراهيم شرفة باب الواد، ب ،ط، ص 78.

4- منير البعلبكي ك موسوعة المورد، دار معارف إنكليزية عربية مصورة، دار العلم للملايين بيروت، ط 1: 1981م، ص 78.

5- كلوس كريزر و شركاؤه: معم العالم الإسلامي، المعجم السابق ،ص 694.

6- alharfalarabic .org /lang-haoussa.asp51k,www .googl.com Le:0103_2007,20 :00-21

وبدخول الإسلام إلى منطقة الهوسا،وتأثرهم بالإسلام ،أصبحت اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في لغة الهوسا،باعتبارها لغة القرآن ،واستعملوها في جميع الميادين ،حتى أصبحوا يترجمون كل ما كتب على اللغة العربية.

وهذه بعض الحروف التي تعطي بعض أسماء عربية المستعملة لكتابة الهوسا:[1]

ب [b] ، ث[t] ، د[d]، ط [d] ، ف [B] ، غ[g]، هـ [h] ، ج[d] ك [k] ، ق[k'] ، ل [l] ،م [m] ، ن[n] ، ر[r] ، س [s] ، ت [t] ،ظ [ts'] ، و [w] ، ي [j] ، ز [z] .

هذه بعض النماذج التي توضح مدى العلاقة بين اللغة الهوسوية واللغة العربية:

اللغة الهوسوية	اللغة العربية
أبد	أبد
أبد اللأبادين	أبد اللآبدين
إثفاقي	إثفاق
اثنين	الإثنين
إجابا	إجابة
إجازا	إجازة
إجتهادي	إجتهاد
أجنبي	أجنبي
لحد	الأحد
حراما	حرام
لاهرة	الآخرة

هذه كانت أمثلة عبارة عن مقارنة بين كلمات عربية مقارنة بالهوسوية،ومن خلال ذلك فهناك صلة حقيقية بين القبائل الهوسوية والقبائل العربية.

1- ـــ الطيب عبد الرحيم الفلاتي، المرجع السابق، ص 318.وعلي أيوب ناجي، المرجع السابق ،ص 41.

ومن خلال ما ورد فإنّ اللغة الهوسوية شبيهة باللغة العربية، إذ لغتهم تشبه لغة الطوارق الذين دخلوا إلى هذه البلاد، وبدخول الإستعمار الأوروبي فقد أصبحت تستعمل معطيات جديدة وكتابة لاتينية.

هذه بعض الأمثلة بين ثلاث لغات العربية والهوسوية واللاتينية:[1]

اللغة اللاتينية	اللغة الهوسوية	اللغة العربية
Terre	Kasa	الأرض
Ciel	Sama	السماء
eau	Ruwa	ماء
Feu	Wuta	نار
Homme	Midji	رجل
Femme	Mace	امرأة
Manger	Ci	أكل
Boire	Sha	شرب
Grand	Babba	كبير
Petit	Karami	صغير
Nuit	Dare	ليل
Jour	Gari	يوم
Dormir	kwana	نام
Ina kwana	bonjour	صباح الخير
Ina wuni	bonsoir	مساء الخير
Gari ya waye	Il fait jour	هذا اليوم
Faim	Yunwa	جاع
Soif	kishi	عطش

1- alhafalarabi.org/lang – hawsa.asp -51k , www.googl.com,Le

ومن خلال ما ورد فلغة الهوسا بمجملها قريبة من اللغة العربية واللاتينية، إذ توجد بعض الحروف قريبة من كلتا اللغتين.

وهذه امثلة تمثل مدى قرابة اللغة الهوسية من اللغة العربية وذلك في الظواهر الصوتية وهي ظاهرة الأطباق حيث توجد في الأولى وتنعدم في الثانية.

وفيما يلي الأصوات التي تحذت فيها ظاهرة الإبدال مع ذكر مثال لكل ظاهرة:[1]

الباء ــ خاء : كسب ــkasafi

الميم ـــ نون : حكم ـــhukunta

الظاء ـــ زاي : الظالم ـــــAzzalumi

التاء ـــــسين : مثال ـــــMisali

الضاد ــ لام : القاضي Alkali

الضاد ـــ سين : أصل ـــAsali

القاف ـــ كاف : مخلوق ــMahaluki

القاف ـــ جيم : طاقة ـــTaga

الغين ـــــ جيم : غنيمة ـــGanima

الخاء ـــــ هاء : تاريخ ـــTarihi

العين ـــــ همزة : جماعة ـــJama’a

الحاء ـــــ هاء : حاكم ـــــHakimi

ومن خلال ما ذكر فاللغة الهوسية تعتبر اللغة الثانية التي يتكلمون بها سكان الهوسا، وفي مجملها فهي قريبة من اللغة العربية.

وبعد الإشارة إلى أصل الهوسا واللغة التي يتكلمونها، يمكن الحديث عن قبائل المنطقة وأصلها.

لقد جاء شعب الهوسا إلى هذه المنطقة ــ شمال نيجيريا ــ عن طريق الهجرات التي كانت من أطراف الصحراء الكبرى الشمالية إلى الجنوب حيث المسالك الصحراوية والمعابر

[1]- مصطفى حجازي السيد حجازي: معجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط 1406هـ ، ص 09.

والواحات التي تقع في طريق الهجرة، ولقد كانت هجرات العرب الهلالية[1] من مصرخلال العصر المملوكي، سببا في دفع كثير من البربر إلى الجنوب وهجرتهم إلى واحة إيروـــ توات –غدامس ـــ[2] أغاديس[3] وهاجرت بعض شعوب البربر الأخرى من المنطقة الممتدة من ليبيا شرقا إلى المغرب الأقصى غربا إلى الجنوب، و بالاحتكاك و التزاوج مع بعضهم ظهر شعب الهوسا، ومن ثمّ انطلق نحو الجنوب بحثا عن موطن جديد عبر الوديان والواحات، فكان الاستقرار على الأطراف الشمالية من نيجيريا، حيث اختلطوا بالشعب الفولاني، وذلك بدخول الفولانيون إليهم،مما أدى إلى انتشار الإسلام واللغة العربية على نطاق واسع.[4]

ومن هنا فإن الهوسا تمثل خليط من العرب والعجم والبربر الذين اختلطوا بالفولانيين،ومن هنا فمنهم فلابد من تعريف عن الفولانيين.

تكتب الفلاني، الفلاتة، الفولا، فلاليت ،تكرور، دكرور، كلها أسماء جاءت حسب الرواية التي تقول : إنّ تميم و جهينة قد هاجرتا من الجزيرة العربية إلى الهند، عقب فتنة بختنصر[5]، وعادتا مرة أخرى إلى الجزيرة العربية بعد انتهاء الفتنة، ومع تميم الأبقار والسيوف والطاقية ذات اللسانين، ومع جهينة الغنم، ولقلة المراعي واصلت القبيلتان هجرتهما إلى إفريقيا حيث تتوفر المراعي. فسلكت تميم طرق الشام[6]، إلى صحراء سيناء، حيث استقرت في طور سيناء فترة من الزمن، واستمرت هجرتها إلى أن وصلت منطقة ليبي Leebe (ليبيا الحالية) .وسلكت جهينة

1- بنو هلال :هي أحد بطون قبيلة هوازن، في جبل غزوان عند الطائف و ربما كانوا يطوفون رحلة الصيف و الشتاء أطراف العراق و الشام، فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة و يقطعون على الرفاق، ينظر، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر، دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان، ط1ـــ 1413هـــ، 1992م، ج 6، ص 16.

2- غدامس: هي مدينة قديمة ينسب إليها الجلد الغدامسي ،ومنها يدخل إلى تادمكة و غيرها من بلاد السودان، وبينهما أربعون مرحلة، وأهلها بربر مسلمون و ملثمون على عادة بربر الصحراء من لمثونة و مسوفة، ينظر محمد بن عبد الله الميري /: الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام) حققه د إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافة، دار السراج بيروت، ط2: 1980م، ص 427.

3- أغاديس: لم أجد لها موقعا في كتب الجغرافيا.

4- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 761.

5- بختنصر:بخت النصر أو نبوخت نصر (2000ـــ 750ق.م)، الذى قام بفتنة أدت إلى إلحاق الدمار الشامل بشبه الجزيرة العربية .

6- الشام : بلاد كثيرة و كولر عظيمة و ممالك و سميت الشام لأنها تقع شمالا، ينظر محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 335

طريق اليمن[1] إلى أن وصلت منطقة ليبي التي استقرت بها تميم من قبل، ولكنها انتشرت جنوبا في الوقت الذي فيه وصلت إلى أوداغست[2] audagiste التي سميت أخيرا بأرض غانا ganna[3] القديمة.

وقد عادت هذه الأسرة من تميم مرة أخرى إلى وطنها في الجزيرة العربية، فلما ظهر الإسلام قاد أحفاد هؤلاء العائدين حملة فتح غرب إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع الفهري. [4]

وبرفقة عقبة بن عامر التميمي[5] وعقبة الجهني[6] وعقبة الهندي[7] وغيرهم من المجاهدين رضوان رضوان الله عليهم وسلامه، فأسلم جميعا ملك الروم وهو ملك غانا يدعى برمندانا Brimindana بعد مقاومة ضعيفة، وتزوج عقبة بن نافع من ابنة الملك التي تدعى بج منقو Bajjo-mango وأنجبت له خمسة أولاد وبنتا وهم:

1- اليمن :سميت اليمن لتيامنها، و اليمن وما اشتملت عليه حدودها بين عمان إلى نجران ثمّ يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشّحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة ـــ بين عمان و البحرين ـــ ينظر شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،معجم البلدان، دار صادر للطباعة و النشر ص. ب 10بيروت لبنان، ط 1995م، ج 5، ص 447.

2- أوداغست : مدينة بين صحراء لمتونة و السودان، وهي مدينة عظيمة آهلة، لكنها صغيرة، وهي بين جبلين شبيهة بمكة في الصفة، وليس بها تجارة كبيرة، ينظر : محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص63.

3- غانا : القديمة التي كانت تحت التأثير الحكم الروماني، التي تقع مابين مالي و موريتانيا و صحراء توات، وهي من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسافة شهرين، وهي أكبر بلاد الالسودان قطرا ،وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، ينظر الحميري : الروض المعطار، المصدر السابق، ص 425.

4- عقبة بن نافع الفهري : هو عقبة بن نافع بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن البظر بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري، أمه سبية من عنزة اسمها النابغة، ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بسنة واحدة، وهو آخر الصحابة التي تشرفت بهم أرض المغرب العربي، استطاع نشر الإسلام في بلاد كثيرة وفتح كثير من بلدان المغرب و نتيجة عمله استطاع بناء مدينة القيروان و صيرها قاعدة للمسلمين يرابطون بها أثناء السلم، ينظر عز الدينبن الأثير أبيالحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق وتعليق، الشيخ علي محمد معوض و علول==أحمد عبد الموجود، قدّم له وقربه أ.د.عبد البري و د.عبد الفتاح أبو سنة و د. جمعة طاهر النّجار، المحتوى عدّاد ـــليشرح، دارالكتب العلمية بيروت ـــ لبنان، ج 4، ص58.و ينظر، بسام العسلي مشاهير قادة الإسلام عقبة بن نافع، دار النفائس بيروت لبنان، ط 7: 1407هـــ /1987م، ص 17. و موسى لقبال : شخصيات لها تاريخ، عقبة بن نافع، تصميم علي عفسي عبد العزيز، المؤسسة الوطنية للكتاب 3ش زيروت يوسف الجزائر رقم النشر 20/2/85، الجزائر، ط 1989م، ص 7.

5- عقبة بن عامر التميمي : هو صاحبي جليل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولي أمرة مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة 44ه، توفي في آخر خلافة معاوية ودفن بالمقطم، ينظر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـــ، تهذيب التهذيب، حققه و علق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان، ط1: 1415هـــ، 1994م، ج 7، ص 210.

6- عقبة الجهني : حليف الأنصار، ينظر ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ص 218.

7- عقبة الهندي : لم أجد له ترجمة.

2. عثمان ثور Turo.
3. محمد فلان Fulan.،
4. أبو بكر فلات Fulat
5. عمر دردو Dardaw
6. علي غردو Ghadaw
7. فاطمة شلفو أو شفو Shalffo, shaffo

وقد انتشر هؤلاء الأحفاد ما بين فوتا تورو، و إلى البحر الأحمر، فسكن أحفاد محمد فلاتي بأقدس وتاوا وبلما[1]، والسودان الشرقي ونيجيريا، ويطلق عليهم اسم "الفولانيون" وفلاتة.[2]

كما سكن أحفاد أبو بكر فلات بلاد برنو ودمغرم، وحول حوض تشاد وجمهورية مالي والسودان الشرقي وإيريثيريا، وجمهورية مصر العربية، واستقر أحفاد عثمان ثورو أرض ماسينا التي تشمل ثلاث جمهوريات وهي مالي، بلكينا فاسو، داهومي، كما استقروا في نيجيريا، والسودان وإريثيريا وتشاد وتمبكتو. ومن أحفادهم "عثمان بن فودي"

أما أحفاد عمر دردو فقد مكثوا حول نهر السنغال وصحراء مالي وتمبكتو.

كما أنّ أحفاد فاطمة شلفو استقروا في أرض السودان وذلك حول مناطق الكبابيش[3] وأرض الشايقية، وكذلك الكامرون وتشاد وإريثيريا[4].

وهناك رواية أخرى تقول أنّ الفولانيون قد جاءوا أصلا من صعيد مصر، وهاجر أجدادهم غربا إلى شمال إفريقيا، ثم إلى ساحل المحيط الأطلسي ومن هناك رحلوا إلى الجنوب الشرقي، وهم يعتبرون من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم، وكانوا يتفوقون على الوطنيين سكان المنطقة بعمق الثقافة الإسلامية ـــ في المجال العلمي ـــ وكان لهم مركز خاص بين شعوب غربي لإفريقيا[5]

1- تقع هذه المدن الآن بجمهورية النيجر الحالية.

2- الطيب عبد الرحيم الفلاتي، المصدر السابق، ص 19.

3- الكبابيش :تعتبر هذه المنطقة من أعظم قبائل السودان و أشهرها، تعمل في تربية الإبل و الضأن و الكباش التي أخذوا منهم هذه التسمية، و موطنهم وادي الملك ينظر الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا، المصدر السابق، ص 239.

4- علي ايوب ناجي، المرجع السابق، ص 11.و الطيب عبد الرحيم الفلاتي، المصدر السابق، 19.

5- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص378.

ومن خلال هذا التحليل، فإن تواجد الفولانيين أثريا وبيئيا واجتماعيا وحضاريا في غرب إفريقيا منذ بدء تاريخ المنطقة.

ومهما يكن من أمر اختلاف الروايات حول أصل الفولانيين هل هم أحفاد عقبة بن نافع أومن صعيد مصر كان أصلهم،غير أنّ العوامل العرقية والبيئية واللإجتماعية واللغوية للشعب الفولاني تدل دلالة قاطعة على وجود الجنس الفولاني في القارة الإفريقية سابق بكثير لفتح الإسلام لهذه القارة.

منذ القرن 7 هـــ، 13م ،بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال إلى الشرق حيث استطاعوا أن يصلوا إلى الشمال الغربي لنيجيريا حيث استقروا للرعي، والدعوة للإسلام بين القبائل التي سكنوا بالقرب منها.[1]

وقد أقاموا لهم إمارات محلية، ودخل هؤلاء إلى بلاد الهوسا في القرن 7هـــ ـــ 13م، وبالنظر لذكائهم ونباهتهم فقد احتلوا مكانة خاصة فيها .

وقد إشتغل فريق من الذين يقيمون في الحقول بالرعي، وقد كانت هذه خصبة ولها ميل خاص بتربية المواشي على اختلاف أنواعها.

و الفريق الآخر الذي يشكل العدد الأكبر ، يعيش في المدن حيث هناك حياة أكثر تطورا إذ توجد الصناعة والتجارة ، وامتدت هجرتهم شرقا حتى وصلت بلاد برنو[2].

ومنذ القرن 13م بدأوا يغادرون مواطنهم متجهين نحو الشرق، وكانت هجرتهم تمثل تسربا سلميا بطيئا، فهم يلتمسون الإذن بالرعي، ثم يرتقبون الفرص السامحة، فإذا ضعف القائمون بالأمراغتصبوا هذه الأرض لأنفسهم وأقاموا إماراة محلية[3] كما فعلوا بأرض الهوسا.

ومن هنا أصبحت قبائل الهوسا مرتبطة بالفولانين، إذن فالهوسا هي خليط من العرب والعجم والبربر والفولانيين.

3_ الإسلام والهوسا:

1- عبد الله حشيمة : في إفريقيا السوداء، العالم والعصر، المطبعة الكاتوليكية ـــ بيروت.ط 1 : 1962،ص140.

2- نفس المرجع، ص 78

3- حسن أحمد محمود : الإسلام و الثقافة العربية في إفريقيا ، ماتزم الطبع و النشر، دار الفكر العربي 94 ش عباس عقاد مدينة القاهرة، رقم الإيداع : 1686/4717، ط 1 : 1419هـــ، 1998م، ص 218.

كانت قبائل الهوسا تدين بالوثنية قبل أن تدخل في القرن 7هـ ـ13م، في الإسلام الذي انتشر انتشارا واسعا وترك أثرا بعيدا في حياة هذه القبائل الاجتماعية والدينية،حيث نشأ بينها نظام للحكم مستمد من تعاليم الإسلام، كما تمّ إنشاء نظام مالي دقيق ونظام قضائي دقيقين يقومان على تطبيق الشريعة الإسلامية.[1]

وهناك روايتين حول دخول الإسلام إلى المنطقة:

فتقول الرواية الأولى: " ...إنّ الإسلام قد دخل بلاد الهوسا في عصر ياج بن ثاميا yaji ban thamya سلطان كانو الحادي عشر (1349ـ 1384م) وتقل الرواية . ـ رواية تاريخ أرباب هذا البلد المسمى كانوـ إنه في زمان ياج جاء نفر من الونغريين من مالي بالإسلام بقيادة عبد الرحمن زيتي "

والرواية الثانية عن أصل الونغريين والتي تختلف عن سابقتها فتقول " أنّ الونغريين قد تركوا بلادهم مالي في سنة (835هـ، 1431م) و هاجروا إلى كانو في عصر السلطان محمد رمفا (1463/ 1499م)".[2]

إن في اختلاف الروايتين دلالة على أنّ ظهور الإسلام في بلاد الهوسا قد يكون سابقا للقرنيين 6و7هـ/ 14و 15 م، وأنّ هجرة الونغريين إلى بلاد الهوسا ونشاطاتهم الإسلامية قد حدثت بعد ظهور الإسلام في تلك المنطقة ويؤكد لنا هذا صاحب كتاب **انفاق الميسو**ر "إذ يقول : "... أنّ الإسلام قد دخل إلى هذه البلاد عن طريق المسافرين والتجار بلا تحديد لمجموعة معينة أو لزمن معين ...".[3]

كما أن في القرن 15م شهدت المنطقة هجرة جماعية لقبيلة الفولاني أو الذين نزحوا من أقصى الغرب الإفريقي إلى وسطه وشرقه ، حيث بدأت الأنشطة الثقافية ومحو الأمية على أيديهم.

وهكذا دخل الإسلام إلى هذه المنطقة، وبدخوله أصبحت القبيلة إسلامية، روحها الإسلام، وأصبح العلم يتدفق في ربوعها حتى كثر الوافدين إليها من كل بلاد.

1- حسن إبراهيم حسن : إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية، المرجع السابق ـص 116.

2- أحمد محمد كاني : الجهاد الإسلامي في الغرب الإفريقي، المصدر السابق، ص 33.

3- محمد بيلو، المصدر السابق، ص 67.

ومن خلال ماورد فقد وصل الإسلام إلى إماراة الهوسا عن طريق الشمال وإن كان يختلف انتشاره من إمارة إلى أخرى.

ويذكر أن الإسلام وصل إلى إمارة غوبير من الشمال ،كما أنها خضعت لنفوذ بورنو المسلمة في الشرق،ودانت لمملكة مالي المسلمة في الغرب،ثمّ مملكة صنغاي،وهي مسلمة أيضا في الغرب،وبذا عمّ فيها الإسلام .[1]

وبقيت إمارة زاريا على الوثنية،وان انتشر الإسلام بين بعض أبنائها،وخضعت سنة 921هـ ،1515م، إلى دولة صنغاي،وبعد ضياع مملكة صنغاي في القرن11م أصبحت إمارة زاريا مركزا لتجارة الرقيق ،وفي مطلع القرن13م دانت لدولة الفولانيين.[2]

وأسلم ملك إمارة كاتسينا في القرن 8هـ، على يد أحد العلماء من مالي،وأصبحت من مراكز العلم، وتبعت لمملكة صنغاي سنة 921هـ، ثمّ خض عنه لإمارة غوبير,

وانتشر الإسلام في إمارة كانو في القرن 8هـ على يد علماء من مالي، وتبعت في القرن 10هـ، لمملكة صنغاي ،وفي القرن 13 لدولة الفولانيين.وأصبح الإسلام دينا رسميا في عهد الملك "محمد رومفا" الذي أبدى اهتماما بالغا بنشره متعاونا في ذلك مع العلماء، كما أدخل إصلاحات دينية كثيرة في سياسة وإدارة دولته والمناطق المجاورة لها، فاستبدلت العادات والممارسات الوثنية القديمة السائدة بين الناس بالممارسات الإسلامية.[3]

ومن خلال ما ذكر فقد دخل الإسلام إلى قبائل الهوسا كلها، وكل قبيلة دخلها الإسلام بطريقة مختلفة . غير أنه من المعروف أن أول ذكر للإسلام جاء في مخطوط كانو والذي ظهر في غهد ياجي 1349ـ 1385م ،حيث أوضح أن عناصر من المانديي من مالي قد أقنعوا ياجي بأهمية العقيدة الجديدة، كما أورد المخطوط أيضا أن تلك العناصر كان على رأسها عالم يدعى عبد الرحمن زغيت،وكان ذلك سنة 1380م، وبعد سنة1381 أقيم أول مسجد في كانو، كما أوضحت المخطوطة أن اعتناق ياجي للإسلام قوبل بمعارضة شديدة من قبل رجال الدين الوثنيين.[4]

---

[1] محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ،التاريخ المعاصر ،غربي إفريقية،المكتب الإسلامي ،بيروت دمشق ،عمان ،ط2:1418هـ،1997م، ج 15،ص 275.

[2] - NR/esceres/ CA6C94 86-657D3_802C-33CB6 2B 41410 hym- 59K .Le 13-04- 2009www.aljazeera.net/

[3] محمود شاكر : المرجع السابق،ص 275.

[4] -عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 90.

والواقع أن انتشار الإسلام كان انتشارا بسيطا في بدايته، واعتمد على عامل الإقناع الفردي بدليل أن خليفة ياجي لم يحمل اسما إسلاميا بل حمل اسما وثنيا، ويعتبر وصول الملك عمر 1410ـــ1431م، نقطة تحول رئيسية بالنسبة للإسلام، حيث قام بكسر كل التماثيل التي ترمز إلى الوثنية، وفي عهد خليفته يعقوب 1431ـــ1463م ، انتشرت المساجد في كثير من القرى، وواصلت هجرات كثيرة من الفولاني والتي ساهمت هي الأخرى بدور كبير وواضح في انتشار الإسلام. [1]

وبدخول الإسلام إلى الهوسا تحولت من الوثنية إلى الإسلام ،وهذا يعتبر اول تحول ديني لهذه الممالك ،ورمز هذا التحول بعود لبياجيدا ولبغداد التي كانت قاعدة الإسلام في ذلك الزمان، وهذا يعني أنه منذ القرن 5هـــ، 11م. أصبحت المؤثرات الإسلامية تلعب دورا كبيرا في التكوين الفكري والثقافي والسياسي لهذه البلاد.

[1]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق،ص 216.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية لقبائل الهوسا

بعد دخول الإسلام لقبائل الهوسا،وخروجها من الوثنية ،أدى هذا التحول إلى ظهور نظام حكم مستمد من تعاليم الإسلام ،ويحكم كلا من هذه الإماراة ملك أو أمير يعاونه بعض الوزراء ، وتستمد كل إمارة اسمها من اسم القبيلة الرئيسية فيها،ويحيط بكل هذه القبائل سور كبير مبني باللين، وخندق متسع يجري فيه الماء للدفاع عنها في أثناء الخطر [1].

1_ العلاقات السياسية الداخلية:

كانت كل قبيلة مستقلة عن الأخرى، حيث يؤكد ذلك الشيخ محمد بيلو، "... وهذه الأقاليم السبعة قد كان فيها من العجائب والغرائب أموركثيرة، وأول من وهبت له الدولة فيها على مازعموا آمنة بنت زكزك[2]، غزت هذه البلاد واستولت عليها قهرا، حتى أدت إليها الخراج من كاشنة وكنو، وغزت بلاد بوش[3]، حتى وصلت البحر المحيط من جانب اليمن و الغلرب، وتوفيت بأقّاعز... ".[4]

وشهدت مملكة نتنتم، في عهد الملكة آمنة، توسعا كبيرا، وذلك لغزواتها المتعددة وطموحاتها الكبيرة في خلق إمبراطورية كبيرة تشمل أجزاء من من قبائل الهوسا، وغيرها من البلاد المجاورة، خاصة مناطق جنوب زاريا، وقد أرغمت الملكة كلا من كانو وكاتسينا على دفع خراج كرمز للهيمنة السياسية، كما أنها غزت بلاد بوش حتى وصلت إلى البحر المحيط أي نهر كوارا (kwara)، من الناحية الجنوبية و الغربية، إلى أن توفيت الملكة في احدى غزواتها في مكان يسمى التاغرا...[5]

1- حسن ابراهيم حسن:انتشار الإسلام في القارة الإفريقيةلملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، ط2: 1963م، ص 116.

2-آمنة: أميرة سودانية حكمت مملكة زكزك لمدة 34 سنة (نهاية القرن 14م و بداية القرن 15م)، وقد امتد نفوذها خلال هذه الفترة إلى باقي ممالك حوض، كمملكة كانو، كاتسينا، ولازالت بعض المدن تحمل اسمها حتى الآن، كمدينة مينة التي تقع جنوب بيجيريا .ينظر محمد بيلو : انفاق الميسور، المصدر السابق، ص23

3- بوش : توجد مرتفعات بوش في نيجيريا شمال نهر البنوي ويبلغ أعلى إرتفاع فيها 1781م.، ينظر محمد بيلو : المصدر السابق ص68.

4- المصدر نفسه، ص68

5- أحمد محمد كاني : الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص 51.

ويعود الفضل لهذه الملكة بأن أصبحت زكزك أوسع القبائل الهوسوية، إذ فيها أقاليم بوش، وهي أقاليم السودان، ومن تلك الأقاليم "إقليم غوار وهي سبعة أقاليم لسانهم واحد و لم ينتشر الإسلام فيهم، وهم غندر[1]، يورى ـــ بها معدن الرصاص ـــ باس، كدور، ويسكو، أدام، كتو.[2]

هكذا كانت مملكة زكزك ـــ زاريا ـــ أما "كانو" و"كاتسينا" فقد تميزت العلاقات بينهما في القرن11هـ/ 17م بالمشاحنات، فتارة يكون النصر حليف كاتسينا، وتارة أخرى يكون لكانو، نستشف ذلك من قول أحمد بابا التمبكتي في كتابه " الكشف والبيان عن أصناف مجلوب السودان ".يقول :"...وربما تقاتل سلاطين هذه بعضهم ببعض فيتحرك سلطان على غيره و يغير على بلاده و يسبى ما تيسر له منهم وهم مسلمون، ويباع السبي وهو حر مسلم ف" إنا لله وإنا إليه راجعون "، وهذا مستفيض عندهم في بلادهم...".[3]

ويتضح مما ذكره التنبكتي أنّ العلاقة بين القبيلتين كانت في خلاف وتنافر دائم، إذ كل واحدة تفعل ما تراه في مصلحتها .

ومما يؤكد هذا هو ما كان في أحد سلاطين كانو إذ يروى أن ملك كانو في عهد ملكها يوسا[4] هذا الملك كان قويا، ومن أجل أن يقيم سلطته على أساس سليم فقد قام ببناء سور حول كانو، وأنشا ابنه ناغوشي[5] نظاما لإيرادات الأرض بالإستلاء على ثمن المحصول[6]. فهذا كان من جهة رغم أنّ ممالك الهوسا كانت في حروب متواصلة مع جيرانها وخاصة برنو وصنغي.

1- غندر : تقع شمال بحيرة تانا الواقعة غرب اثيوبيا، ورغم كون موقع هذه المملكة يبدو بعيدا عن ممالك الهوسا، إلا إنّ محمد بيلو وصف امتداد آمنة حتى المحيط من جانب اليمن و الغرب .محمد بلو : انفاق الميسور، المصدر السابق، 68.

2- المصدر نفسه ،ص 68.

3- نقلا عن كتاب الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، ل أحمد محمد كاني، ص 51.

4- يوسا أو ساراكي بن جيجيما سو، الساركن الخامس حكم في فترة 1136م ـــ 1194م، 530هـ، .ينظر محمود شاكر، المرجع السابق، ص15.

5- ناغوجي بن يوسا، الساركن السادس، حكم فترة 579هـ / 1193م، ينظر، نفس المرجع، ص 1861.

6- ك .مادهو بانيكار : الوثنية و الإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ترجمه إلى العربية :أحمد فؤاد بليغ، دار المجلس الأعلى للثقافة، ط 2 : 1998، ج 1، ص 202.

أماكاتسينا فكانت أكثرها ولعا بالقتال، ولهذا انهمكت في حروب دائمة، إذ أنها منذ البداية حاولت أن تقيم لنفسها موقعا سائدا، فأعلنت الحرب ضد سوتا[1] ودخلت في حرب طويلة ضد غوبير و نوبي و يورا، وعندما اتسعت رقعة مالي كثيرا فيما بين عامي(711هـ، 789هـ /1311م، 1387م) خضعت لها ممالك الهوسا الشمالية، بيد أنّ كاتسينا استفادت حتى من تبيعتها (كانو)، فبحلول سنة 762هـ /1360م، كانت مملكة أسبين القديمة المستقرة، قد فقدت قوتها البدنية، وأخذت كاتسينا تتوسع جنوبا.

وهكذا كانت كاتسينا برغم تبعيتها دولة قوية، بينما ظلت كانو أقل حظا منها فبسبب قربها الشديد من برنو التي لم تشهد استقلالها، إلاعندما ضعفت تلك الإمبراطورية.

ولعل سبب هذا النزاع هو أنه كان يحكم كانو رجل مغامر يدعى باغودا[2]، وفي كاتسينا كان بربريا يدعى كومايو، والأمر المثير في أحداث السيطرة هذه ،هو أنّ البربر لم يحققوا ولو لمرة واحدة سيطرة سياسية عن طريق القوة العسكرية المتفوقة، وإنما كانوا يأتون إلى السلطة عن طريق الحيل والمناورات.[3]

بيد أن ملوك كانو لا يحسنون تدبير الأمور، وكانوا يفعلون ما تمليه عليهم مصلحتهم. ولكن رغم الحروب التي كانت بينهما إلا أنهما كانتا تتحدان عند الشعور بخطر خارجي.

أما فيما يخص قبيلة كبي[4] فقد دخلت مسرح الأحداث في سنة 906هـ/ 1500م ، وبمجرد دخولها هيمنت على المسرح السياسي في "الهوسا الغربية " في القرن 16م.

وأصبحت هذه الهيمنة نتيجة دخولها في حروب متواصلة مع جاراتها : غوبير، زمفرة، زكزك، كاتسينا وكانو. ودالت القبيلة لزمفرة في القرن 18م، وقامت ببسط سلطتها على غوبير، وثم ذلك على حساب كبي التي بدأ نجمها يأفل قبل ذلك.[5]

1- سوتا : مملكة زنجية بالقرب من أسبن.

2- باغودا : هو ملك كانو من أسرة هابة و هو الملك الأول، حكم من سنة389هـ / 455هـ ـــــ 998م /1063م ينظر محمود شاكر، المرجع السابق، ص 1861.

3- ك مادهوبانيكار : الوثنية و الإسلام، المرجع السابق، ص 201.

4- كبي : هي احدى المدن القديمة بشمال بيجيريا ـــوقد ارتسمت باسم أول من سكنها و كان من أهل سنغي، وزوجته من أهل كاشنة، ينظر آدم عبد الله الآلوري : موجز تاريخ نيجيريا، المصدر السابق، ص 77، ومحمد بيلو : انفاق الميسور، المصدر السابق، ص 69.

5- أحمد محمد كاني : الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 51.

والسبب في ذلك هو أنّ كبي بظهور ملكها كنتا كانت قوية إذ أنه استطاع الدخول إلى القبائل الأخرى وبسط نفوذه إليهم، ونتيجة لذلك جعل قاعدة ملكه في بلاد سورمي وبناها قرب مدينة سوكوتو، كما بنى قلعته غنغوا بالقرب من زاريا[1]، وسبب ضعف شوكته هو أنه لما ضاق على سلطان آهير قسوة كنتا استغاث إليه "**بالمي علي** "سلطان برنو ليحرر منه سلطته، فخرج هذا الأخير من برنو عبر كاشنة ودورة، وانضم إليه عدد كبير من أهل تلك البلاد ـــ آهير ـــ ولكن لم يتمكن من مواجهة هذا العدد الكبير، فإلتجأ إلى حصنه، فحاصره سلطان برنو، ولما طال الحصار، ولم يستطع فتح الحصن رفع عنه الحصار وقفل راجعا بجيشه إلى بلاده وفي طريقه تمكن منه كنتا في مدينته إنغرو وهزمه وغنم منه أموالهم وأسلحتهم، وفر سلطان برنو إلى بلده مع البقية الباقية وفي طريق عودة كنتا إلى كبي واجهته طائفة من أعدائه، وأصيب برمية سهم، وكانت هذه هي نهايته، وبعده ضعفت قوة كبي.[2]

وبعد موته تدهورت كبي، وقام عليها سلطان غوبير " **محمد بن ستروم** "وسلطان زنفره، واقتسموها فيما بينهم، وذلك في سنة 1009هـــ، 1600م، ولكن بعد هذا كله لما بدأت تضعف زنفره تمكن منها سلطان غوبير "**باباوي**" فخرب ديارهم وعقبها لبنيه 50سنة[3] وبهذا برزت غوبير كأقوى سلطة سياسية وعسكرية في بلاد الهوسا في منتصف القرن 18م.

ومن الظواهر السياسية الفريدة في تلك البلاد أنّ سيطرة مملكة على حساب الأخرى تنتج عن هزيمتها وقبولها بالدخول تحت سيطرتها. وذلك عن طريق الخراج كغنيمة للمحافظة على استقلالها، بدون سيطرة عسكرية مباشرة ، كما فعلت الملكة آمنة ، وعندما يقوى سلطان الدولة المهزومة تعاود الهجوم أو التحالف مع الممالك الأخرى للتخلص من السيطرة السياسية للدولة الغالبة، وكسر شوكتها، كما حصل لكبي في القرن17م، عندما تحالفت قبائل غوبير وزنفرة مع آهير لإخراجها من مراكز الهيمنة السياسية ، وهذا لايعني أنّ هذا الإتفاق فيما بينهم نتيجة الحب، وإنما لكسر أية قوة عسكرية أو سياسية تكون أقوى منهم.[4]

1- آدم عبد الله اآلوري : موجز تاريخ نيجيريا، المصدر السابق، ص77.

2- م عبد الله الآلوري، المصدرالسابق، ص 78، ومحمد بيلو : انفاق الميسور، المصدر السابق، ص70.

3- محمد بيلو، المصدر السابق، ص69.

4- عبد الرحمن زكي،للاسلام و المسلمون في غرب إفريقيا، المرجع السابق،ج 2، ص 84.

ولعل السبب في هذا النزاع القبلي الذي كان بين قبائل الهوسا السبع كلها هو عدم وجود سياسية موحدة تجمعهم، إذ حتى القرن 19م ظلت هذه القبائل مستقلة عن بعضها البعض .

وبظهور شخصية تاريخية وهي شخصية الشيخ عثمان بن فودي تغيرت الأوضاع في هذه القبائل كلها، و بظهوره تغيرت مجرى الأحداث و استطاع تغيير كل شيء في هذه القبائل، خلع سلاطينهم، ونصّب مكانهم عمالا يخضعون لسلطان سوكوتو، كما انصهر الفولة في الهوسا، وكان نتيجة هذا أنهم اختلطوا بهم وأصبحت لغتهم لغة الهوسا .وتمّ له ذلك في سنة 1217هـ/ 1802م .[1]

و لم يكتف هذا الأمر بدخول الفولانيون إلى أرض الهوسا، ففي الربع الأخير من القرن 19م حاول الأوروبيون أن يخضعوا قبائل الهوسا ،فاتفقت إنجلترا مع فرنسا على اقتسام الهوسا، ولكن الإنجليز كان أكثر توفيقا من فرنسا، فقد دخلت الهوسا بأسرها تحت السيادة البريطانية بناءا على المعاهدة الإنجليزية الفرنسية المبرمة في أوت سنة 1308هـ 1890م ، و المكملة بإتفاقيتي 1311هـ، 12جوان 1893م و 1312هـ.[2] 14جويلية 1894م.

وعند دخول الاستعمار لهذه القبائل كان نفوذ الشيخ عثمان بن فودي وجماعته قويا وكانت ملاحظة الإستعمار هي عدم وجود وحدة إدارية وبشرية، إضافة إلى ذلك عدم التعاون بين السكان وإن اختلفت جذورهم وقبائلهم.[3]

وخلاصة القول فإنّ العلاقة التي كانت بين قبائل الهوسا السبع، كانت علاقة تنافر فيما بينهم، وكانت كل قبيلة تمارس حياتها السياسية والإجتماعية ، إلى أن جاء المرابط عثمان دان فوديو الشخصية التي غيرت مجرى التاريخ الهوسوي، وأصبحت هذه القبائل موحدة تحت إمرته.

2ـ العلاقات السياسية الخارجية:

إنّ التاريخ القديم لبلاد الهوسا، يشير، إلى أنّها تشكلت في عام 388هـ /999م ، على يد الملك " **كانو**"ـ حيث كانت تضم مجموعات صغيرة من المستوطنات، تحولت فيما بعد إلى

1- عبد الرحمن زكي ،المرجع السابق، ص 84.

2- نفس المرجع، ص 85.

3- علي أيوب ناجي ، المرجع السابق، ص 153

مدن ودول، وكانت أقوى جيرانها إمبراطورية كانم ـــ برنو، من الشرق، وإمبراطورية السونغاي من الغرب.

2- 1: مملكة سونغاي:

تقع بلاد "سنغي" التي تعرف بأرض "دندي" الواقعة بالإقليم الشمالي من الداهومي، وكانت عاصمتها تدعى مدينة غاو، وشعب سنغي منحدر من أصل مزيج بين صنهاجة والفلان والتوارك والعجم ، وهو إقليم ظهر فيه الخير والبركة وفشا فيهم الإسلام، وكان فيها العلماء.[1]

تأسست دولة سنغي في القرن1هـــ/ 7م، وبدأت تقوى باستمرار وتتوسع حتى القرن 16م، حتى دخلت في طور الضعف نتيجة لانهماك الأمراء المتأخرين في المنازعات العائلية التي أعاقتهم عن الإهتمام بشؤون الدولة وخدمة البلاد.[2]

هذه كانت نبذة وجيزة عن هذه الدولة إذ أنّ المقام لا يسعنا التحدث عنها مطولا.لأسباب منهجية.

إن قبائل الهوسا بعدما أن برزت كقوة تجارية بين الدول المجاورة، واستطاعت أن تبرز وجودها، أصبحت محط أطماع في أوقات مختلفة منذ القرن 16م.

وقدا كانت هذه القبائل تمرا بمرحلة من الرخاء الاقتصادي في هذه الفترة، فأصبح الآستلاء عليها مغريا.[3]

ففي سنة 919هـــ/ 1513م، استطاع "**السلطان أسكي محمد**"[4] ضم عدد من مدن الهوسا[5]، إذ رغم إتحاد جميع القبائل فيما بينها، فشلت في الدفاع عن نفسها، فسقطت القبيلة تلوى الأخرى، وبهذا تمكن من بسط نفوذه على جميع قبائل الهوسا الغربية.[6]

1- آدم عبد الله الآلوري : موجز تاريخ نيجيريا، المصدر السابق، ص156، محمد بيلو، انفاق الميسور، المصدر السابق، ص311.

2- عبد القادر زبايدية : مملكة سنغاي، المصدر السابق، ص 25.

3- عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوبب الصحراء، المرجع السابق، ص 218.

4- أسكي محمد، حكم سنغاي وهوفي عمر 50سنة وكانت فترة حكمه مابين 1493م ـــ 1528م /899هـــ، 932هـــ، ينظر عبد القادر زبايدية ك مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص69.

5- أمثال كانو، كاتسينا.

6- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق ن ص 153.

وفي هذا يقول **حسن الوزان** في كتابه " **وصف إفريقيا** "، " أنّ أسكيا الحاج محمد ملك جاو (صنغي) العاصمة لدولة سونغاي قتل ملك الهوسا وضم البلاد إلى مملكته في عام 918هـ، 1512م .." ويضيف قائلا " أنه تمكن من السيطرة عليها وفشلت الولايات في الدفاع عن نفسها، وسقطت الواحدة تلوى الأخرى، وقتل ملوك كل من جوبير وكاتسينا وزازو، وأسر ملك كانو بعد سقوط دولته .ولكنه رجع إليها بعد أن تعهد بدفع الضرائب، والتي كانت عبارة عن تلت دخل البلاد السنوي.[1]

وبهذا أصبحت كل الولايات تابعة لأسكيا محمد ،وقام بتغيير شؤون الإدارة تحت سلطته، فعيّن على كل منها أميرا من أتباعه، وأرهق كاهل السكان بالضرائب.[2]

ومن هذا نستنتج أن العلاقة التي كانت تربط الولايتين، علاقة صراع الغلبة للأقوى، ظل هذا الوضع ساريا إلى أن بدأت مملكة سونغاي تضعف، وذلك في أواخر القرن 16م، وكان هذا الضعف في مصلحة قبائل الهوسا أنفسهم، إذ لولا ضعفها لبقيت هذه القبائل تعاني من التعسف، وكان ضعف هذه المملكة بسبب نشوب نزاعات داخلية بين أبناء الحاج محمد أسكيا و أقاربه، وهذا الأمر ساعد على قيام دولة السعديين المغربية بغزوها والقضاء عليها في سنة1000هـ / 1591م، ، طمعا في فرض السيطرة على موقعها الممتاز، المتمتل في الممرات التجارية والاستيلاء على مناجم الملح والذهب.[3]

ورغم العلاقة التي كانت بينهما ، إلاّ أن قبائل الهوسا استفادة منها وكان هذا في مجال العلم، إذ نجح أسكيا محمد الكبير في مد نفوذه إلى كانو، كما ذكرت سابقا، واشتهر هذا السلطان بتشجيعه للعلماء، حتى برزت في المجال العلمي.[4]

وكان هذا السلطان يطبق الشريعة الإسلامية على أكمل وجه، وهذا الفعل شجع تدفق العلماء إلى تلك المنطقة واشتراكهم في تعميم الثقافة الإسلامية على السكان في منطقة السودان الغربي و الوسط. كما مكّن العلماء من تكوين طبقة خاصة بهم ومن إيجاد مراكز الثقافة الإسلامية و إنعاشها في مدن كاتسينا، كانو وسوكوتو.[5]

1- حسن الوزان : وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص

2- عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 218.

3- عثمان برايما بارى : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، المرجع السابق، ص 47

4- شوقي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرزاق، تاريخ المسلمين في لإفريقيا و مشكلاتهم، المرجع السابق، ص 119.

5- عثمان برايمابارى : جذور الحضارة الإسلامية بالغرب الإفريقي، المرجع السابق، ص 47.

إنّ انتهاء "سنغاي" واختفاؤها عن مسرح الأحداث السياسية في بلاد السودان ، أتاح الفرصة لظهورمراكز قبائل الهوسا ،وأن تصدر مكانة لا تقل أهمية عن مراكز سونغاي.[1]

هذه كانت علاقة قبائل الهوسا مع إمبراطورية سنغاي، رغم عنف وسيطرة هذه الأخيرة ، إلا أن هذه القبائل استفاذت منها، وكان هذا ناتج عن انتشار العلم بين هذه القبائل ودخول العلماء إليها. فترى كيف كانت علاقتها مع مملكة "كانم – برنو" في الشرق.؟

2-2: إمبراطورية كانم ــ برنو:

قامت مملكة كانم ــ برنو شرقي بحيرة تشاد وامتدت في الشرق حتى بحر الغزال، وشملت وادى في منطقة تشاد والمناطق الواقعة إلى الغرب من بحيرة تشاد والتي تعرف قديما بإقليم برنو بجمهورية نيجيريا[2]، وتقع كانم شرقي برنو ،وارتبط تاريخهما ارتباطا[3] ولذلك عرفت في التاريخ بمملكة كانم برنو .

وبمجرد دخول الإسلام إلى قبائل الهوسا أصبحت المؤثرات الإسلامية تلعب دورا هاما في التكوين الفكري والثقافي والسياسي لهذه القبائل، فمن جهة كانت علاقة القبائل مع كانم برنو علاقة ود وتراض، إذ أنّها قد تأثرت لحد ما بالنظم السياسية لبلاد البرنو، وفي هذا المجال فقد لوحظ في الألقاب الحكومية والإدارية لقبائل الهوسا أصلها برنوية، وعلى سبيل المثال، الغلاديمية (galadima)، والشيروما (chiroma)، وتطورت هذه العلاقة السياسية بين الهوسا و البرنو حتى القرن 18م، إلى درجة القوة والحماية السياسية، وكان مقابل هذه الحماية أنها كانت تدفع إتاوات للقوة العظمى (برنو) ويذكر لنا المؤرخ الفيلسوف **عبد القادر بن مصطفى التورودي** في كتابه "**أخبار هذه البلاد الهوسوية والسودانية**"، " أنّ أهل هذه البلاد (بلاد الهوسا) تحت حكمهم (أي برنو)، وكان هؤلاء السلاطين يؤدوا الخراج والغلات إلى السلطان برنو، ويوصلون ذلك لأمير دورة فيوصله إلى أمير برنو، وكان ذلك دأبا فيهم، لم ينحرم إلى

1- عبد الفتاح كمقلد الغنيمي : حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص153.

2- عطية مخزوم الفيتوري : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، المرجع السابق، ص219.

3 - thomas H odgkin :Nigirian Perspectives , An historical Anthology second edition, P : 93.

قيام هذا الجهاد (أي جهاد الشيخ عثمان بن فودي). ومن هنا يبين لنا هذا القول أنه كانت الهوسا تحت حماية برنو إلى قيام جهاد الشيخ بن فودي[1].

وإضافة إلى اشتهار منطقة كانم ــ برنو بالعلم وبروز العلماء فليها، الذين أثروا في الحياة الاجتماعية والسياسية، و لم تقتصر النشاطات والآثار العلمية لعلماء برنو على منطقتهم فقط بل تعدتها على مناطق أخرى كالهوسا وغيرها.[2]

وهذه كانت علاقة تنافر وحروب بينهما، إذ يذكر أنّ قبيلة "كانو" قامت بالإعتداء على قبائل "ونغارة" التي كانت تخضع لنفوذ برنو السياسي. وهذه القبائل كانت تقيم شرق إمارة زامفرا وهي أيضا من قبائل الهوسا، ومما يروى أيضا أن قبائل ونغارة كانت تقوم بجهود كبيرة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين قبائل الهوسا الغربية منها، ولاسيما في القرن 7هـ/13م، فقد قام ساركن ملك كانو[3] بالإغارة على هذه القبائل، وبناءا على هذا الفعل، طلب سلطان برنو[4] من الملك ساركن بأن يقدم له تيريرا بإعتدائه على هذه القبيلة وخصوصا أنها تدين بالإسلام، ولكن ساركن رفض هذا التبرير، وبموجب هذا الفعل أثار غضبا سلطان برنو، وما كان عليه إلا أن يجهز حملة قوية ليرد عليه بضربة قوية، وكانت نتيجة هذا أنه استطاع أن يهزمه ويطرده من إمارة كانو، وقد لجأ ساركن إلى الجبال الصخرية هربا من انتقام سلطان برنو منه، ومن هنا نستنتج أن مملكة برنو وصلت إلى أوج مجدها.[5]

وكذلك مما زاد حدة الصراع بين الهوسا والبرنو، هو أن إمارات الهوسا كانت مسرحا للصراع المستمر بين برنو وسراكنة الهوسا لاسيما الإمارات القوية منها، إذ نجد السلطان إدريس ألوما1570- 1603م، سلكان برنو يقوم أثناء مد نفوذه وتوسيع رقعتها، بالإستلاء على الكثير من قبائل الهوسا وكانت في ذلك الوقت أقوى الإمارات هي كانو، ولكنها لم تستطع

1- لم أتمكن الحصول على هذا المخطوط غذ أته موجود في خزانة بايرو ــ نيجيريا، أخذت هذا النص نقلا من كتاب أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 50.

2- نفس المصدر، ص51.

3- **ساركن:** في لغة الهوسا بمعنى الملك أو الرئيس، وكان حكام بعض ممالك الهوسا يحملون هذا اللقب و بخاصة حكام كانو ، و الساركن المشار إليه هو ياجي بن تساميا، الساركن الثاني عشر، والذي حكم في الفترة 1349م ــــــ1385م/ 750هـــــ 787 هـ، ينظر ك.مادهو يانيكار، الوثنية و الإسلام، المصدر السابق، ص 191.

4- **هو عبد الله بن رمفا،** فترة حكمه من سنة 1499م ــ 1509م/ 905هـ 911هـ.

5- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 153.

أن تقف أمام قوة برنو حيث استطاع السلطان إدريس أن يدمر عددا كبيرا من معاقلها كلما سار ،وأن يستولي على العديد من مدنها وقراها.[1]

كذا كانت علاقة الهوسا مع البرنو، علاقة ود وحماية من جهة ومن جهة أخرى علاقة صراع من أجل التوسع والحكم والتسلط على القوى الضعف.

وهذه كانت علاقة الهوسا مع الدول المجاورة بحيث أعطيت مثاليين عن مملكتين مجاورتين واحدة في الغرب و أخرى في الشرق. باعتبارها مملكتين قويتين وقس على هذا ممالك أخرى لا تقل أهميتهم عن هاتين المملكتين في القوة السياسية وقوة الدين والعلم، وكل هذا ساعد على دخول الإسلام إلى هذه القبائل، ووفود العلماء إليها من كل الأقطار، مما جعل بعض قبائل الهوسا من أفضل المراكز الإسلامية في غرب إفريقيا، وهذا هو موضوع حديثنا حول كيفية بروز هذه المراكز، وعن العلماء الذين شجعوا هذه المراكز وزادوها قوة وصلابة.

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 153.

المبحث الثالث: الحياة العلمية بالهوسا قبيل القرن 13هـ/19م

اشتهرت قبائل الهوسا من جراء العلاقات السياسية مع الخارج بحركة علمية حتى أصبحت كانو وكاتسينا من أكبر المراكز العلمية تفوق شهرتهما، في القرن 16م،مما أدى إلى انجذاب العلماء إليها من المغرب والمشرق والسودان الغربي.

1-علماء قبائل الهوسا:

في هذا سوف أذكر مجمل العلماء الذين كان لهم دور فعّال في تدوير عجلة القوة العلمية في هذه القبائل، منهم:.[1]

- عبد الله سك البكاوي الفلاني، وقد أخذ عن البكري المؤرخ والجغرافي.
- محمد الكشناوي الفلاني الذي رحل إلى مصر وتوفي فيها.
- القاضي محمد بن محمد ةبن أحمد بن أبي محمد التازختي، رحل إلى الشرق قاصدا الحج ،توفي سنة 936هـ.
- الشيخ المعروف بالكتشف بن الصباغ، رحل إلى الشرق قاصدا الحج.
- الشيخ هارون الزكزكي شيخ الشيوخ الفلاني، من الذين انذروا بظهور مجدد يعلن الحرب على الكفرة في هذا الزمان ،وطلب من اتباعه تأييد متى ما ظهر.
- الشيخ عمر بن أحمد بن أبي بكر التورودي،رحل من بلده طالبا الحج ، إلاّ أنه لم يصل لأن الأعذار حالت دونه وتنفيذ رغبته.
- رمضان بن أحمد آدم الفزاني موطنا، رحل إلى الشرق وتوفي فيها، من العلماء الذين عاشوا قبل الشيخ غثمان بن فودي في زنفرا،بشر بظهور مجدد في المستقبل له أحفاد في حلفا دغيم ومنهم الزعيم السياسي محمد نور الدين ـ الزعيم الإتحادي ،والذي كان شديد الحماس للوحدة بين مصر و السودان.

1- عثمان برايمارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، المرجع السابق، ص 91.و الطيب عبد الرحيم الفلاتي : المرجع السابق ،ص 133.

- الشيخ جبريل بن عمر أستاذ الشيخ عثمان بن فودي، سافر إلى الحج وعاد منه ،توفي بعد إعلان الشيخ عثمان الجهاد.

2-الإسهام العلمي لعلماء الهوسا قبيل القرن 19م:

كان من بين العلماء الذين وفدوا إلى قبائل الهوسا وخصوصا المركزين العلميين "كانو"، و"كاتسينا"، الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي[1]، وكان دخوله إلى بلاد السودان عامة لاسباب سياسية منها بعد فشله في محاربة السلطة الفاسدة في زمنه التي كانت تتعاون مع الطبقة البرجوازية اليهودية التي كانت تسيطر على الميدان الإقتصادي سيطرة كاملة .والتي أثرت على الوضع السياسي في المغربي الإسلامي، وكان هذا السبب الذي جعله يرحل، ويدخل بلاد السودان لنشر أفكاره الثورية، وهناك تمكن من دخول قبائل الهوسا.

قام بدور فعّال في كانو، حيث ساعد سلطانها محمد رمفا[2] في إصلاح الأمور السياسية والإجتماعية والعقدية، وكان نتيجة هذا المجهود تخرج عدد كبير من العلماء، وثمّ تأسيس مدارس علمية ،ومقابل هذا العمل المثمر كافأه السلطان ،فعينه مستشار سياسي وشرعي،وكان يرجع إليه في المسائل الفقهية المعقدة، والسياسات الشرعية التي يجب على الحاكم اتباعها حتى يعتذل الميزان على حد قول المغيلي.

جاء في إحدى الرسائل التي كتبها المغيلي لسلطان كانو : " من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني إلى عبد الله بن يعقوب سلطان كانو وفقه الله[3] لما يرضاه وأعانه إلى ماولاه من أمور دينه ودنياه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد ... فأنت سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في

1- هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي، ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن بنواحي تلمسان، ولا يعلم تاريخ ولادته بالضبط، غير أنّ وفاته كانت في سنة 909هـ، م، ترك أكثر من 14 مؤلف معظمها في الفقه و بعضها في اللغة، إضافة إلى الرسائل التي كتبها في مواضع الدّعوة إلى الإصلاح .ينظر محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقية و أجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق، أ.عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، رقم النشر 28672، ط سنة 1974، ص 9.

2- هو محمد ريمفا بن عبد الله بورجا، وهو من ملوك كانو، من أسرة هابة، 866هـ، 1462م.ينظر محمود شاكر نالمرجع السابق ،ص 1862.

3- هو يعقوبو بن عبد الله و هو السلطان العشرين، حكم سنة 856هـ، 1452م كان مدة حكمه 10 سنوات، ينظر محمود شاكر،ص 1862.

درء الناس عن الحرام، فلا بد من إزالة الفساد على كل حال، وإن تعارضت مفسدة ومصلحة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وإن تعارضت مفسدتان إحداهما دينية و أخرى دنيوية فدرء المفسدة الدينية أولى. وكذلك إذا تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عابدا ولا شريفا ولا أميرا. وأقم على جميع عباد الله بالتقوى لا بالهوى. ومن عارضك في شيء من ذلك عاقبه بما فيه ردع له و لـــمثله وإن لم يكن إلاّ يقطع يده أو رجله أو نفيه أو صلبه فافعله.ولكن بعد ثبوت أو تثبت في ذلك كله"[1] ومن خلال هذه الرسالة فإن المغيلي كان هو الذي يسير هذه البلاد وإليه يرجع في تسيير شؤن هذه البلاد وعليه تأخد الأمور الشرعية.

وفي أواخر القرن 09هـــ/15م ـــ ، نالت بلاد الهوسا اهتمام العالم المصري الإمام جلال الدين السيوطي(849هـــ، 911هـــ). (1445م ، 1505م)، الذي أبدى اهتماما خاصا بالشؤون السياسية والإجتماعية في بلاد التكرور عامة وأرض الهوسا خاصة.

وجاء هذا الإهتمام نتيجة لتعرفه بالحجاج والعلماء الذين اعتادوا أن يمروا بمصر وهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج. وما يؤكد هذا رسالة وجهها الإمام السيوطي إلى حكام أرض الهوسا عامة وإلى حاكم كاتسينا خاصة. وجاء فيها : " ...ومن الفقير عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي إلى الملوك والسلاطين ببلاد التكرور عموما، وإلى الملك الزاهد محمد بن صطفوا وصاحب أعذر وأخويه محمد وعمر وبن أختهم محمد بن عبد الرحمن، وإلى الملك إبراهيم صاحب كاسنة ...فمن عرض له أمر فليعرضه على حملة الشريعة، ويسأل عالما يوثق بعلمه، و يجب أن يعطيه ..."[2]، " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ".[3]

يدل محتوى الرسالة على أنّ السيوطي كان ملما بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في بلاد الهوسا. فبعد أن أشار إلى المساوئ الناتجة من بعض الحكام، أخذ يوصيهم بإقامة العدل ويرشدهم على ضرورة الإلتزام بأحكام الشرع وعدم تجاوز حدودها.

1- محمد بن عبد الكريم المغيلى، أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي، المصدر السابق، ص

2- نص أخذته عن، أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص 38.

3- سورة ألآية

وقد ذكر الشيخ محمد بيلو في كتابه " انفاق الميسور "بعض العلماء الذين وفدوا إلى قبائل الهوسا السبعة دور، كاتسنة، كانو، غوبير، زكزك، من بينهم الشيخ الإمام العلامة، النحر ير الفهامة فريد دهره ووحيد عصره ذلك عبد الله سكا الفلاتى البعاوي، رحل إلى طلب العلم، إلى أغدر و فزان، وأخذ عن ابن غانم ثم أخذ عن الشيخ البكري، ثم رجع إلى بلاده.[1]

ومن العلماء البارزين الذين جاءوا إلى كانو من مصر، عبد الرحمن سوجين، تلميذ ابن الغازي الذي جلس يدرس فنون العلوم المختلفة في إحدى مدارسها[2]، وكذلك من العلماء الذين زاروا هذه المنطقة وأسهموا في دفع عجلة الثقافة الإسلامية في هذه البلاد العالم عمر بن محمد عتيق جد أحمد بابا التمبكتي الذي سكن في كل من كانو وكاتسينا لفترة ليست بالقصيرة في طريق عودته لبلاده من الحج، وكانت زيارته لبلاد الهوسا قبل وفاة ملك سنغي سنى علي(Sanni Ali) عام 898 هـ /1492م .[3]

ومن العلماء المشاهير الذين سكنوا بلاد الهوسا، الشيخ التاذختي[4]، وكانت زيارته لهذه البلاد أيضا بعد أداء فريضة الحج في عام1420هـ/ 1409م ، استقر في مدينة كاتسينا، وشغل فيها منصب القاضي الشرعي، وقام بالتأليف وتفسير نصوص بعض المختصرات الفقهية، مثل "**مختصر خليل** " في الفقه المالكي.[5]

ومن المشاهير الذين سكنوا هذه البلاد كذلك، الشيخ **مخلوف بن علي بن صالح البلبالي** الذي وصفه أحمد بابا التمبكتي في كتابه "**نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**" بالفقيه الحافظ الحجة، قيل إنّه كان يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب، ولهذا اشتهر بقوة الحافظة وغزارة العلم ، دخل بلاد السودان وخصوصا كانو، كاتسينا وغيرهما، وأقرأ أهلها وجرى له هنالك نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الأنصمني، ومن الأماكن التي جلس فيها، تمبكتو قبل رجوعه إلى مراكش التي درس فيها، وتوفي مسموما هناك سنة 1359 هـ، 1940م .[6]

1- محمد بيلو ،انفاق الميسور، المصدر السابق، ص 73.

2 عثمان برايمابارى، جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 91.

3- أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص 41.

4- جاء من المشرق، توفي سنة 1503م ـــ 909 هـــ

5- عثمان برايمابارى: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، المرجع السابق، ص 91.

6- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 41، وعثمان برايمابارى، المرجع السابق، ص 93.

شهدت قبائل الهوسا في القرن 17م، حركة علمية ، كان نواتها العلماء المحليون الذين بدأو يساهمون في الإنتاج الفكري والثقافي كغيرهم من علماء المشرق والمغرب والسودان الغربي، واشتهرت كاتسينا بمدارسها العلمية ذات المستوى الرفيع، والتي تخرّج منها عدد من المثقفين الذين أسهموا في الحياة السياسية والإجتماعية، ومن المشاهير الذين تركوا آثار علمية عظيمة في بلاد الهوسا العالم **محمد الصباغ** المشهور ب "دان مرينا" (Dane Marina) وصفه **محمد بيلو** في كتابه "**انفاق الميسور** " ب " "**دهليز العلم** " له عدة مؤلفات في السياسة والتربية والتاريخ منها، شرحه على عشرينات الغازازي ولكنه لم يشتهر[1]، وأشهر مؤلفاته كتاب "**مزجرة الفتيان**" الذي ضمنه مبادئ التربية وقصيدة سياسية يمدح فيها سلطان برنو" المي علي "، على انتصاراته العظيمة على قبائل الجكن (Jukun) الوثنية التي هددت إمبراطورية البرنو بالسقوط في ذلك الزمان.

تدل هذه القصائد على الروابط العقدية والثقافية بين ممالك الهوسا وعلمائها مع وصفائهم في البرنو، ويعتبر **محمد دان مسني** تلميذ **بن الصباغ** من العلماء الصالحين الذين حرّكوا الحياة العلمية والثقافية والروحية في قبائل الهوسا.[2]

وقد أشار إليه **محمد بن أبي بكر البرتلي** في كتابه " **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** " تحت اسم محمد بن مسنة بن عمر بن عبد الله بن نوح البرناوي أصلا الكشناوي مولدا، وذكر له عدة مؤلفات من بينها : "**شرح على العشماوية**" سماه "**بزوغ الشمسية والنفحة العنبرية في حل ألفاظ العشماوية** "، و " **تزيين العصا في ضرب من يعطى** ".[3]

وفي القرن 18م، ظهر عالم آخر اشتهر في المنطقة، وهو محمد بن محمد الفولاني الكاتسيناوي[4] كان عالما في شتى مجالات العلم والمعرفة، تعدّت شهرته حتى حدود بلاد السودان السودان إلى بلاد مصر والحرمين الشريفين مؤلفاته مدونة بقائمة كتب المكتبة الخديوية الأميرية بالقاهرة. من بينها: كتاب " **منح القدوس** " هذا الكتاب عبارة عن منظومة شعرية في علم

1- محمد بيلو، انفاق الميسور، المصدر السابق، ص75.

2- أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب لإفريقيا، المصدر السابق، ص 42.

3- محمد بن أبي بكر البرتلي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، دار فكر التوحيد، ط 1400هـ، 1980م، ع ص ك 229. ص 131.و ذكره الشيخ محمد بيلو في كتابه انفاق الميسور، بنفس الاسم، ص 71.

4- محمد بن محمد الفولاني الكاتسيناوي، ت 1741م ــ 1151هـ، تلقى العلم في صغره على أيدي علماء ،شيخه محمد بندو، ولحبه الشديد للعلم هاجر إلى عدة أماكن ــ ينظر أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، صص، 42، ــ43.

المنطق، وكتاب " **بلوغ الأرب من كلام العرب** " يتناول في هذا الكتاب قواعد اللغة العربية ونظريات صوفية، وبعض هذه المؤلفات محفوظ في مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ونيجيريا ومكتبة جامعة لندن بانجلترا[1] توفي الكشناوي بمصر في عام 1154هـ، 1741م، ودفن ببستان ببستان العلماء بالمجاورة، والكشناوي كان شاعرا ومما ذكره عن نفسه في هذه الأبيات : [2]

طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر بأرض مستقر

تبعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لكنت حرا

وأشار الشيخ عبد الله بن فودي في كتابه "**إيداع النسوخ مما أخذت من الشيخ**"[3] إلى العديد من العلماء الذين برزوا في القرن 18م، في السودان الغربي، ومن بينهم الشيخ جبريل بن عمر الذي أخذ عنه الشيخ عبد الله، وأخوه عثمان بن فودي العلم.

ذاع صيت جبريل كعالم علامة وحبر فهامة، وداعية إلى سبيل الله وهادم للبدع الردية ومقيم للسنة المحمدية[4]، ولم يشتهر كعالم فحسب بل كمجاهد في سبيل الله في بلاد السودان، السودان، ومحاولاته المتعددة لحمل الناس على الإستمساك بالشريعة، ونبذ العادات الجاهلية والبدع الشيطانية، والخلط بين الوثنية والإسلام، وبالرغم من أنّ حركته لم تشتهر طويلا، إلا أنّ آثارها الإصلاحية قد أثرت في مجريات الأحداث في السودان الغربي في أوائل القرن 19م.[5]

وفي هذا فقد مدح الشيخ عبد الله بن فودي شيخه جبريل لقصيدة أرسلها إليه، وجاء فيها:

شمس الضحى بزغت بغرب * فانحنت للشرق تشرق في قريش وخزرج

متفنن متبحر في علمه * متعطف متلطف لمعفج

شيخ الشيوخ فريد دهر ظاهر * فوق المبارز بالعلـــوم متتوج

جبريل من جبر الإله به لنـــا * دينا حنيفا مستـــقيم المنهج

1- عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، المصدر السابق، ص ص 92، 93.

2- أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص 45.

3- عبد الله بن فودي أخو عثمانبن فودي، هذا الكتاب لم أتمكن الحصول عليه، فأخذت هذا المقول من كتاب للمؤلف عثمان برايمابارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ص93.

4- عبد الله بن فودي: ضياء السياسات و فتاوى النوازل، المصدر السابق، ص 80.

5- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المصدر السابق، ص 28.

وافي و حزب ظلالة تلعة * و الدين في مهد كشيء بهرج

فأزاح عنه حنادس الأعلاج * عاداتهم وكساه حلة زبرج

لم يخشى في إظهار دين الله من * مستهزئ أولا ثم متمجمج[1]

وفي هذا أيضا يقول الشيخ عثمان في كتابه "**شفاء الغليل في كل ما أشكل من كلام شيخنا جبريل** "، وهو يعد فضائله قائلا: "... ليعلم أهل بلادنا السودانية هذه، بعض ما أنعم الله عليهم، ليجتهدوا في شكر الله تعالى على وجود هذا الشيخ في هذا البلد، فيستوجبوا المزيد، ومن فضائله أنه كان ممن حمل لواء العلم في زمانه، ومنها أيضا، أنه بلغ الغاية في الإشتغال بالكتاب والسنة، وحض الناس عليهما، ومنها، كان أول من قام بهدم العادات الرديئة في بلادنا السودانية هذه، وكان كمال ذلك ببركته على أيدينا، ومنها، أنه بلغ الغاية في العبادة و الخلق الحسن والغيرة على الإسلام، كان حليما صبورا هينا، لينا، حسن الكلام مع من لقيه، متبسما معه، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه، ويطيب كلامه لجميع الناس على طريق البسط حتى تظن أنّ كل واحد صديقه، ومنه أيضا، أنه بلغ الغاية في تعظيم المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى أنه قل ما يذكره إلا باسمه "**افضل الخلق**".[2]

ولفضائله الكثيرة اشتهر الشيخ جبريل،إلى أن قيل فيه "فموجة أنا من أمواج جبريلا " وهذا العالم من خلال ما ذكر تلاميذه هو ذو مكانة عالية وهو لايتميز عن غيره من العلماء، ويعتبر نقطة تحول كبيرة في بلاد الهوسا ،فبفضله ظهر علماء متميزين أمثال عثمان وعبد الله بن فودي وواصلوا من بعده ما بدأه هو، فهذا أقل ما يقدمونه له، وإلى غاية هذه الدرجة فقد مدحوه في كثير من القصائد، وألفوا عنه بعض الكتب خاصة به هو و يذكرون فضله عليهم، إذ أنّ عبد الله بن فودي ترجم له مخطوط بعنوان " **إيداع النسوخ ما أخذت من الشيوخ** " ومنهم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم، شيخ شيوخنا الإمام العالم الحاج جبريل بن عمر.[3]

1- عبد الله بن فودي: المصدر السابق، ص 14.

2- محمد بيلو: انفاق الميسور، المصدر السابق، ص 78

3- عبد الله بن فودي: ضياء السياسات و فتاوى النوازل، المصدر السابق، ص 14.

اشتهرالشيخ شرقا وغربا بين العلماء تغني عن ذكر شمائله، يقول عبد الله بن فودي أنه أخذ منه كتب أصول الفقه،كالقرافي، والكوكب الساطع، وجمع الجوامع، مع شروطها، وقرأ عليه بعض تواليفه، ولازمه واستفاذ منه كثيرا، ولقنه كلمة التوحيد مع أخوه الشيخ عثمان ..وأجازها أيضا في كل مروياته، وكذلك أعطاهما كتاب ألفية السند الذي ألفه شيخه المصري **مرتضى الزبيدي**، وألفية السند عبارة عن إجازات متسلسلة تضم اسم جبريل بن عمر وبعض كبار العلماء.

ورغم ماقدمه هذا الشيخ ومن مكانته العلمية إلا أنّه لم يحض بكثير من الإهتمام و لم يكتبوا عنه، و لم تصل شهرته كما وصل بها تلميذه عثمان بن فودي، وذلك لأنّ مؤلفاته غير موجودة رغم كثرتها، إلا ماذكره الشيخ عثمان بن فودي في كتابه بعنوان "**شفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخ شيوخنا جبريل**" هذا المخطوط يناقش فيه آراء الشيخ جبريل بن عمر وفيه إشارة إلى كتابين: "**المنظوم**" و "**المنثور** ".[1]

وبالرغم من أنّ أفكار الشيخ جبريل قد تأثرت بالدعوة الوهابية من الناحية الإصلاحية والإجتماعية، فإنه كان صوفيا ملتزما بالطريقة القادرية[2] التي أخذها كما يرويها تلميذه الشيخ عثمان بن فودي "...أما أنا، شيخي أبو الأمانة جبريل بن عمر وشيخه أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي (الزبيدي) وشيخه العارف محي الدين نور الحق بن عبد. الله الحسيني أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي، وشيخه جار المصطفى وشيخه علي بن حرز وشيخه أبو يعزى وشيخه عبد القادر الجيلاني، وهؤلاء كلهم صوفيون، وبهذا فإنه تتلمذ صوفيا...".[3]

ومن خلال ما ذكره الشيخ عثمان فإنّ الشيخ جبريل تتلمذ صوفيا على يد شيخه المرتضى الزبيدي، وذلك خلال تواجده في مصر، أثناء رحلته لأداء فريضة الحج في إحدى رحلاته التي دامت عشر سنوات ،وقد أجاز لتلميذه عثمان في أكثر من مائتي تأليف في فنون شتى، منها

1- عبد الله بن فودي: ضياء السياسات و فتاوى النوازل، المصدر السابق، ص 25.

2- الطريقة القادرية تنسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني، وهي أقدم الطلرق الصوفية ـــ ينظر، محمد عبد الرحمن زكي، الإسلام و المسلمون في شرق إفريقيا، مجموعة محاضرات أليقيت في معهد الدراسات الإسلامية مطبعة يوسف بالقاهرة، ص 74.

3- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع السابق، ص 29.

شرح على القاموس المحيط في عشر مجلدات، وشرح على إحياء علوم الدين، وشرح على الحزب الكبير للقطب أبو الحسن الشاذلي.[1]

ومن المعروف أنّ الشيخ جبريل كان يتنقل من مكان لآخر لتلقي العلم وزيادة المعرفة، وقد حضى بأداء فريضة الحج مرتين في حياته، وقضى قرابة "عشرين سنة متنقلا بين الحجاز ومصر، إلى أن وافته المنية في بلدة أغديس" بالنيجر أثناء رحلته قاصدا الأراضي المقدسة للمرة الثالثة.[2]

وخلاصة القول ، فهذه كانت الحياة العلمية بالهوسا قبيل القرن 19 م إذ أنني ذكرت كيف كان العلم وكيف دخل إليها العلم والعلماء، إذ أنها حضيت بكثير من العلماء، وبرزت في عدة ميادين كقوة علمية، كل هذا أدى إلى ظهور مراكز ثقافية في بلاد الهوسا في القرن 18م، واستمرت وزادت قوة في القرن 19م، خاصة في القبائل كانو، كاتسينا، زاريا، وكان العلماء ينتقلون بينها للتدريس أو لتحصيل العلم، كما بينته سابقا .

1-أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص 29.

2- عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 93.

المبحث الأول:مركز كانو

قبل التحدث عن هذا المركز لابد الإشارة أولا عن موقعه و عـــن مدخراتـــه التجاريـــة ثم التحدث عن عطائه الحضاري، وعن العلماء الذين ظهروا في هذا المركز العلمي .

لقد جاوز الإسلام في حركته الانتشارية الواسعة في القارة الإفريقية منحى نهر النيجر بعد أن ثبت دعائمه في الشمال الغربي (سنغاي) وذلك متجها صوب الجنوب الشـــرقي إلى المنطقـــة الواقعة شمال نيجريا حيث شعب الهوسا.

وبما أن الإسلام تغلغل عبر الصحاري إلى أن وصل إلى شعب الهوسا أدى هذا إلى ظهـــور مراكز إسلامية قوية، إذ أنه لم يلبث القرن 7هـــ / 13مـــ، إلاّ وكان الإسلام قد رســـخ في هذه القبائل ، حيث أن قبائل الهوسا أصبحت تتحول سريعا من الوثنية التي كانت ســـائدة إلى دين الإسلام الذي انتشر بينهم، وترك أثرا بعيدا في حياة هذه القبائـــل الثقافيـــة والحضـــارية والإجتماعية والدينية، ونشأ بينهم نظام يستمد أسسه القوية من التعاليم الإسلامية، ويقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمر من الأمور التي تتعلق بأمور الرعية والدولة .

وكانو هي إحدى قبائل الهوسا التي دخل الإسلام إليها وأصبحت تستمد منه التعاليم الدينية في تسيير أمورها، إلى أن أصبحت تمثل أقوى المراكز الإسلامية بالهوسا، بل بغـــرب إفريقيـــا كافة.

وقبل الشروع بالتحدث عن عطائها الحضاري لابد بالتعرف عن هذا المركز.

1ـــ الموقع :

تعتبر كانو من أقدم المدن، نقلت شهرتها نيجيريا، وبهذا تحتل المرتبة الثانيـــة فيهـــا، بعـــد "إبادان" ولقد هيأ لها موقعها الجغرافي أولا حلقة وصل بين بلدان كثيرة في بـــلاد الســـودان الأوسط والغربي، وثانيا بوابة شرقية لبلاد الهوسا، أن تلعب دورا تاريخيا هاما.

و بهذا فإن كانو من أوسع وأكبر الأقاليم السكانية، والذي يمتد 200ميل إلى الشرق مـــن خط تقسيم المياه (تشاد، النيجر) عبر مقاطعة كانو، وشمال مقاطعة (باوجي)، وإلى الغرب من مقاطعة بورنو، وتبلغ كثافة السكان حول مدينة كانو 800نسمة/كم^2،ويعيش حوالي مليون

و3/4 نسمة ضمن 50كم حول مركز المدينة، وتقل هذه الكثافـــة إلى مدينـــة زاريـــا وإلى الجنوب الشرقي لمدينة كاتسينا[1] .

وهذا الإقليم يضم عدة شعوب يسكنون القرى ويعيشون من تربية الغنم والبقر أو من فلاحة الأراضي التي تنبت كثيرا من الحب والرز والقطن، وفيه جبال خالية من الســـكان مكســـوة بالغابات مليئة بالعيون، وفي هذه الغابات كثيرة من شجر البرتقال والليمون، ينتج فواكـــه لا يختلف مذاقها عن مذاق الشجر المغروس[2] .

تبلغ مساحتها 20131كم²، وبهذه النسبة تحتل المرتبة 20، وكثافة السكان المرتفعة تتفق مع ظروف البيئة الطبيعية، والموقع الجغرافي وعلاقة ذلك بطرق القوافل الصحراوية وبـــأرض السافانا الخالية المنقولة من ذباب تسي تسي، والحشرات الأخرى بوجود التربـــات منقولـــة الحرث وخاصة تربات الفول السوداني والقطن، كما ترتبط هذه الكثافة بوجود المياه الجوفيـــة التاي يسهل الحصول عليها [3] .

وقد كتب محمد بلو عن كانو في كتابه انفاق الميسور ..."ويلي هذا البلد من جهة الـــيمين وغربي برنو حوس وهو سبعة أقاليم لسانهم واحد، وعلى كل إقلـــيم أمـــير نظـــير للآخـــر، وأوسطها كاشنة وأوسعها زكزك، وأوذبها غوبر، وأبركها كانو، وهي بـــلاد ذات أنهـــار وأشجار ورمال وجبال وأودية وغيال، يعمرها السودانيون من مماليك البربر من أهـــل برنـــو والفلانيين والتوارك..."[4].

ومن قول محمد بيلو فإنّ كانو ذات أهمية كبيرة، وتكمن أهميتها في الثروات الـــتي تملكهـــا حيث تستطيع أن تسد حاجياتها وحاجيات سكانها، وبهذا فللمركز تاريخ عريق.

2-لمحة عن المركز:

---

[2]ـــ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعرف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة على الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضـــر، دار الغرب الإسلامي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ـــ لبنان، ط2: 1983، ج2، ص173.

[3]ـــيسرى عبد الرزاق الجوهري، ود حافظ مصطفى محمد : جغرافية السكان، دار الكتب الجامعية الإسكندرية رقم الإيداع بدار الكتب: 1970/647.ط1: 1971م.ص 213.

[4]- محمد بيلو، المصدر السابق، ص 67.

وتاريخ تكوين سكانه وذلك حسب ما روي في رواية آدم الآلوري:"ذ لما آل عـــرش دورة إلى باو بن يزيد، أوفد إليها كبير أبنائه **"بغوادا" مع** مجموعة من العبيد و الإماء، فبدات بهـــا هيئة ملكية و تعاقبت أسرته في المملكة حتى بلغ عددهم 18ملكاً في قرابة من أربعمائة ســـنة وانقرضوا في آخر سنة213هـــ، 828 م ، ثم قامت الأسرة الرمفاوية وبلغ عـــدد ملوكهـــا تسعة وتقدر مدتهم بنحو 140عام، أولهم **محمد رونفا** الذي يعد من أعظم ملوكهـــا. كـــان عهده أزهى العصور الكانوية، إذ بنى القصور والحصون والأسوار، وجدد بناء الجامع ووســـع رحابه حتى صار يضم نحو 15ألف مصل[1].

وتعود جذور هذه الولاية إلى القرن 9م ،حيث تمركز صيادون ومزارعـــون يقـــال لهـــم ماغوزاوا، نظموا شؤون حياتهم حول مزار تسومبور بورا المسؤول عنـــه الكـــاهن بـــاربوش Barbouche، وكانت معتقداتهم الدينية معتقدات إحيائية إفريقية أصيلة [2].

ويصف بارت parte ، إمارة كانو حسب مشاهداته أنها تمتاز بميزة كبرى هي :وجـــود الصناعة فيها بجانب التجارة ولكل عائلة فيها نصيب من الإثنين، وصناعة كانو عظيمو ورائعة تنتشر بضائعها في الإقليم كله في مرزوق وغات وحتى طرابلس في أقصى الشمال، وتصل غربا حتى شواطئ المحيط الأطلسي، حيث يلبس الأهالي في "الرقون "ملابس صـــنعت في كـــانو، وصبغت فيها، وتصل هذه الصناعة شرقا إلى برنو، وإن كانت تصدم بالمنافسة من الصـــناعة المحلية كما تفعل في الجنوب[3].

3-إسهامه العلمي:

لقد دخل الإسلام إلى كانو سنة700هـــ/ 1300م، في عهد عثمان زمنقـــاوي الملـــك الحادى عشرـــ من الأسرة الغوداوية، على أيدي العلماء الونغاريين الذين حظروا إلى كـــانو، وبشروا بالإسلام للملك، فأسلم وأسلم معه كثيرون،ثمّ ازداد الإسلام والعلماء، وقـــربهم إليـــه

[1]ـــ آدم عبد الله الالوري، موجز تاريخ نيجيريا، المصدر السابق، ص81.

[2]ـــ مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج 20، ص 59.

[3]ـــ باذل دافدسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة ترجمة جمال م، أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـــ لبنان، ب، ط، ص 153.

وتعلم القرآن والحديث والفقه وعمل على نشر العلم ،وأدخل إلى أهله الرزق، وشجعهم على طلبه والإقبال عليه والتبحر فيه الذي سبق محمد رنفا في ذلك كله[1].

وبدخول الإسلام إلى القبيلة أصبح حكامها يشتغلون بمحو كل المعتقـــدات الـــتي كانـــت سائدة، فبنوا المساجد لقيام الصلوات الخمس،وقيام الشـــعائر الدينيـــة،كالإحتفال بالإعيـــاد الدينية،شيئا فشيئا أصبح الدين الإسلامي هو السائد بحيث أصبحوا يقومون بكل ما جـــاء بـــه الإسلام ،وبهذا العمل أصبحت شهرة المدينة لا تقل عن شهرة تمبكتو، مما أدى دخول العلمـــاء إليها بكتبهم وعقائدهم وشهرتهم.

وبهذا التحول شهدت بلاد الهوسا وخاصة كانو تحولات خطيرة ، وحركة إصلاحية عظيمة قادها بعض السلاطين ،كالسلطان محمد رومفا الذي اعتنى بها اعتناء كبيرا بإحيـــاء الشـــعائر الدينية ومحاربة الوثنية ،وإدخال تعاليم إسلامية في تنظيم القبيلة، بالإضافة إلى توســـيع قاعـــدة التعليم وتشجيع العلماء لنشر العلم في بقاع البلاد المختلفة [2].

وهذا السلطان وضع اللبنة الأساسية للبنية السياسية والاجتماعية والشرعية ،والذي غير من ملامح البلاد الشبه الوثنية، وأدخل نظام الدواوين الإسلامية في سلطنته[3].

لقد تزامن عهد السلطان مع زيارة أحد كبار العلماء المجاهدين من الشمال الإفريقي لـــبلاد السودان الأوسط والغربي وخاصة كانو،كاتسينا ،أغدر وسنغي، وذلك الشيخ هو المغيلي"محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي"[4]

مكث الشيخ في كانو حوالي عشرين سنة،تولى فيها القضاء والإمامة ، قام فيها بدور بـــارز في مساعدة سلطان كانو محمد رمفا لإصلاح الأمور السياسية والاجتماعية والعقدية، وتـــزوج فيها وأنجب ثلاثة أولاد وهم :أحمد ومحمد عيسى والسيد الأبيض.[5]

وأثمرت مجهودات محمد بن عبد الكريم المغيلي في تخريج عدد كبير من العلمـــاء وتأســـيس مدارس علمية كثيرة.

---

[1]ـــ آدم عبد الله الآلوري، المرجع السابق، ص 82.

[2]- Keletigui A.Mariko : op.cit , p 137

[3]- J.KI-Zeerbo :Histoir General de L'Afrigue ,Methodogie et Prèhistoire Africaine ,Jeune Afrique/ Stock Unesco, 1980,paris ,Dèpot l'Egal : 4é trimestre 1979 ,Tome 1, p 225.

[4]- محمد المغيلي ،سبق ترجمته في الفصل الأول ، ص 43.

[5]ـــ آدم عبد الله الآلوري، المرجع السابق، ص 82.

وقد كافأه سلطان كانو محمد رمفا بتعيينه مستشارا سياسيا وشرعيا ،يرجع إليه في المسائل الفقهية المعقدة ، والسياسات الشرعية التي يجب على الحاكم اتباعها،"حتى يعتدل الميزان "على حد نصيحة المغيلي.[1]

وجاء في إحدى الرسائل التي كتبها المغيي لسلطان كانو:رسالة مطولة بعنوان"تاج الدين على ما يجب على الملوك"،ويعتبر كتاب تاج الدين مسودة "دستور إسلامي " ، شرح فيها المغيلي نظام حكم للدولة الإسلامية ،وقد اقترح المغيلي في كتابه إعادة تنظيم سير العمل في الدولة ،وقال إنّ الحاكم الذي يطمح إلى إلى إدارة دولته بفعالية ، عليه أن يعين مجلسا يشير عليه ويساعده في إدارة أمور تلك الدولة،كما يجب تعيين أمين على خزائن الدولة ، وتخصيص كتبه ومحاسبين يحتفظون بسجلات ينضبط بها نظام الدولة. والجدير بالذكر أنّ الخطوات الإصلاحية التي اقترحها المغيلي قد وجدت تجاوبا كبيرا من جانب حاكم كانو محمد رمفا الذي قام بتنفيذها عمليا في حكومته.[2]

ومن خلال ما فعله المغيلي اتجاه الدولة فقد أصبح مهما، بحيث يلجأ إليه في كل الأمور، وأخذ مكانة خاصة في قلب السلطان مما أعطاه الصلاحية الكبرى في تسيير أمور البلاد.

وكذلك من العلماء الذين كان له الفضل في تدوير عجلة القوة العالم الشيخ عبد الرحمن الزناتي، و العالم الكبير جلال الدين السيوطي.[3]

و بدخول الإسلام لقبيلة كانو، وذلك من خلال العلاقات الخارجية التي كانت تربطها معهم، أصبحت أهم مركز للتعليم والتثقيف الإسلاميين، انجذب إليها كثير من العلماء من المغرب والمشرق والسودان، من بين العلماء الذين وفدوا إليها العالم المغربي عبد الرحمن سوجين الذي تتلمذ على ابن الغازي، وهو عائد إلى كانو من مصر وقد قام بالتدريس في إحدى مدارسها العربية [4].

---

[1]- عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق: ص 217.

[2]- أحمد محمد كاني: المرجع السابق،ص 41.

[3]- آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق،ص 82.

[4]ـــ عثمان برايما باري ن جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة و النشر، ط1، 1421هـ ـــ 2000م، ص 91.

وكذلك من العلماء الذين زاروا هذه المنطقة وأسهموا في دفع عجلة الثقافة الإســـلامية في هذه البلاد العالم عمر بن محمد عتيق جد أحمد بابا التمبكتي الذي سكن كل من كانو وكاتسينا لفترة ليست بالقصيرة في طريق عودته لبلاده من الحج.[1]

وكل هذا أعطاها مكانة خاصة بها وزادها شهرة وقوة في كونها تعتبر أهم مركـــز علمـــي وتجاري ، وإضافة إلى ذلك فقد أصبحت من أهم المراكز العلمية في إفريقيا بعد سقوط تمبكتو، وهذا بعدما أن أسقطها المراكشيون، وهذا أعطاها دورا مهما بحيث أصبح العلماء الوافين إليها يأتون من تمبكتو وجني.[2]

ولم تصل كانوا الى هذا الحد فقد ظهر هذا النشاط فى كثير من الميادين ، فقـــد اشـــتهرت بمساجدها وآثارها الواسعة إضافة إلى أسوارها العظيمة، ومن المعلوم أن كانو اشـــتهرت منـــذ القديم ـــ قبل دخول الإسلام إليها ـــ بأسوارها العظيمة التي تحيط بها مـــن كـــل الجوانـــب، وبواباتها المتعددة ذات الطراز المغربي المتميز.[3]

يذكر أن من بنى أول سور هو الأمير غجيماسو(1095-1134م)، ولقد هذه الأســـوار والبوابات بعد ذلك خاصة في القرنيين 9هـــ،10هـــ،15 -16م،كما وصف العالم الإنجليزي كلا برتون خلال زيارته لكانو بأنها مدينة كبيرة يحيط بها سور ضخم به خمسة عشر بوابة تقفل ليلا، وبها سوق في غاية النظام مقسم إلى أقسام كل منها تباع فيه سلع معينة ويشرف علـــى السوق شيخ معين من قبل سلطان كانو يجبي المكوس من التجار.[4]

وبهذا كله بدأت الجوامع تبنى، وأصبح الإسلام ديانة الولاية خلال حكم محمـــد رومفـــا* الذي استقبل في عهده العلامة عبد الرحمن المغيلي، وبني رومفا أول مسجد جامع مركـــزي في كانو، وهذا المسجد بذل له الحكام الكثير من الإهتمام والعناية،ومحاولة جعله يماثـــل مســـجد

---

[1]ـــ أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 41.

[2]- Réné Otagek, Le Radicalisme Islamique au sud du sahara, Da'wa ,arabisation et critique de l'occident ,,Edition Khartala ,paris, p 127.

[3]- محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ،ج 15، المرجع السابق، ص 276.

[4]- www. Ansab – online.com/pkp BB2 / Shouthread.pk2H4331- 38K Le 29/04/2008. 21:30-21:15.

*– هو من ملوك كانو من أسرة هابة الملك 21 حكم من سنة 867 ـــ 905هـــ، 1463-1499م، ينظر: محمـــود شـــاكر، المرجع السابق، ص: 1862.

سانكاري في تمبكتو[1]، والمسجد الكبير في جني وغاو، وقد لعب هذا المسجد وغيره من المساجد الأخرى دورا كبيرا في إنماء الحركة الفكرية والأدبية والحضارية في الإمارة[2]، مما أعيد بناءه سنة 1354هـ /1935م ، وفتح رسميا في 1365هـ/1945.[3]

وإضافة إلى المساجد فقد اشتهرت الإمارة بأسوارها العظيمة ذات البناء الفاخر كما ذكر حسن الوزان في مؤلفه وصف إفريقيا "...وفي وسط هذا الإقليم " كانو " مدينة استمد منها الإقليم اسمه يحدق بها سور مبني بالركائز والطيب والدور مبنية بنفس المواد،و السكان صناع متحضرون و تجار أغنياء.[4]

وهذه الأسوار استغلها سكانها بتأمين الطعام في أوقات الحروب، حين يتم حصار المدينة، وحتى الآن لاتزال مساحات منها لم تشغلها المباني داخل الأسوار، وخارجها توجد أحياء جديدة تسكنها جماعات من شعوب مختلفة كالأروبيين و اللبنانيين بالإضافة إلى جماعات وفدوا من الشمال ومن الجنوب.[5]

إضافة إلى هذا كله فقد اشتهرت القبيلة بالتجارة مما زادها شهرة، ومن هذا كله أصبحت من أهم المراكز التجارية في الجزء الشمالي من وسط نيجيريا.[6]

ونظرا لمكانتها فقد كانت القبيلة تتعرض للحروب المستمرة، مما أدى إلى تدهور أهميتها بسبب الحروب التي أفقدت القوافل أمنها والضرائب الباهضة التي كان يفرضها الحكام، وانتقلت التجارة إلى كاتسينا.

وفي القرن 19م حدثت حركة في الإتجاه الآخر،أصبحت تحت الحكم الفولاني، وكانو أصبحت العاصمة العظيمة لبلاد السودان ،وكانت الميزة التي تتمتع بها ذات وجهين:

---

[1]-مسعود الخوند ، الموسوعة الجغرافية ، ،ج 20، ص 59.

[2]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي :المرجع السابق، ص155.

[3]- مسعود الخوند : الموسوعة السابقة، ص 59.

[4]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي : المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1983م، ج 2،ص 173.

[5]- جودة حسنين جودة و د. أ؛/{ هارون، جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف الإسكندرية، جلال حزي وشركاه، ط 1999م، ص 498.

[6]- منير البعلبكي، موسوعة المورد، دائرة المعارف الإنجليزية عربية مصورة، دار العلم للملايين، بيروت ـط1، 1981م/مج6، ص35.

- فقد كانت أعظم مدينة صناعية داخل إفريقيا .
- كما كانت مركزا تجتريا عظيما.[1]

ونظرا لوقوعها في أكثر مناطق غرب ،إفريقيا خصوبة، كان بإستطاعتها أن تفي باحتياجاتهـــا من الطعام، وكذلك باحتياج صناعتها من المواد الأولية.

كما أنّ أسوارها التي بلغ محيطها سبعة أميال، كانت تعطي مواطنيها شعورا بالأمن.[2]

ويصف كلا من كلابرتون وبارت كانو بشيء من التفصيل،ويقولان: إنّ سكانها يتراوحـــون بين ثلاثين وأربعين ألف نسمة ،ويصلون خلال موسم العمل إلى ستين ألفا،وهم خليط يسوده الكتنوري والهوسا،وإن يوجد بها التجار من جميع أنحاء غرب إفريقية وشمالها،بل من مصر أيضا، والمدينة تفتقد الجاذبية، وبيوتها تبنى من الطين والقش، وهي مقســـمة إلى جـــزأين يفصـــلهما مستنقع "[3]

وترجع أهميتها بالتجارة، إذ يوجد بها أكبر سوق في بـــلاد الســـودان، ولســـوقها أهميـــة كبيرة،ويوجد بها موظف لتنظيمها والإشراف عليها، وتم توفير أحياء مســـتقلة بهـــا للأنـــواع المختلفة من البضائع.[4]

تباع البضائع في الضواحي، والأطعمة والخضروات في أحد الأحياء، والأقمشة سواء المنتجة محليا أو المستوردة في حي ثان،و السيوف والسكاكين والأصناف المماثلة في حي ثالث، المرايـــا وأدوات الطعام والأواني الفاخرة في حي رابع.[5]

وكانت هناك سقائف مستقلة للرقيق بعضها للذكور وبعض للإنـــاث والـــبعض الآخـــر للأطفال، وثمن كل صنف يحدده موظف السوق.

ومن العادات الأخرى التي سادت في سوق كانو أن يقدم البائع خصما مقداره إثنان في المئة من ثمن البيع" مجلبة للبيع" ،وإذ تمّ البيع في بيت مستأجر يكون صاحب البيت هو المستفيد، وإذا

---

[1]- ك.بادهويانيكار :المرجع السابق ،ص 402.

[2]- Elika M'Bokolo : afrique noire, Histoire et civilisatio jusqu au XVIIIe SIECLE ,Hatier – aupelf VREF. Hatier Paris , Novembre 1995,p 100.

[3] منير البعلبكي : موسوعة المورد، ص 402.

[4]- ك.بادهويانيكار ،المرجع السابق، ص 403.

[5]- Vincent Monteil :OP.CIT ; p282 .

لم يكن المشتري بعد وصوله إلى بيته غير راضيا عن تلك السلعة التي اشتراها يمكنه إعادتها- لأن اسم البائع يطبع غلى القماش- واستردتد نقوده بعد خصم نسبة مئوية صغيرة.[1]

وقد حاول بارت أن يعطي تقديرا لتجارة كانو وللإيرادات التي تعود على الدول منها. ووضع قائمة بالأصناف المصنوعة في شمال إفريقية وأوروبا والمتـــوفرة في كانو،فـــالقطن أهـــم الواردات التي تصل قيمته إلى أربعين مليون كردى.

كما تستورد من الحرير السميك حمولة قرابة مائة جمل قيمتها سبعون مليون كردي، ومـــن الأقمشة الصوفية قيمته خمسة عشر مليون كردى، ومن الخرز خمسون مليونا، ومن السكر إثنا عشر مليونا،ومن الورق خمسة ملايين،والسيوف خمسون مليونا،والنحاس والقصديرعشـــرون مليونا،وزيت الورد أربعون مليونا، وبذلك تبلغ قيمة واردات كانو مبلغا جديرا بالاعتبار هـــو 297 مليون كردى.[2]

كما وصلت قيمة الصادرات مثل الواردات، فقد وصلت قيمة صادرات الأقمشة القطنيـــة وحدها إلى ثلاثمائة مليون كردي، وبلغت قيمة صادرات الصنادل عشرة ملايين،و الجلود خمسة ملايين ،والعاج خمسة وسبعيين ألفا،والرقيق مائتي مليون[3].

إنّ أهم ما تصدره المناطق الزراعية في الشمال خاصة الفول السوداني، حيث تستهلك كانو لوحدها 4/3مليون طن سنويا، كما تعمل لكانو على استخراج الزيت من بذور قطن الشمال و تصدره بأجمعه إلى الجنوب، وتربى أعدادا كبيرة من الخنازير في ضواحي القبيلة، حيث يقدم لها دقيق الفول السوداني المتوفر بكثرة وتصدر جميع هذه الخنازير بسكة الحديد إلى لاجـــوس، وقد أنجزت صناعات مختلفة في كانو أهمهـــا :الـــبيرة، الســـجائر، العطـــور، الصـــابون، الأحذية.وتعتبر صناعة تعليب اللحوم ودباغة الجلود من أبرز الصناعات الحديثة في الإقليم والتي شجعت على توفر الأيدي العاملة الرخيصة ومواد الخام المحلية.[4]

---

[1]- ك بادهويانيكار: المرجع السابق،ص 404.

[2]- Elika M'Bokolo,op . cit, p 345.

[3]- J.D.Fage : A History of west Africa an .Introductory Survey ,the fourth Edition of " An Introduction to the history of west Africa" Cambridge At the University press 1969, P155.

[4]- أنظر، أحمد نجم اللدين فليجة، إفريقيا دراسة عامة و إفليمية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون طبعة، ص 376.

إضافة إلى هذا كله توجد في هذه المدينة معامل الصباغ التي لاتزال من الصباغات المشهورة و التي يعود تاريخها إلى تجارة عابري الصحراء.

إذ يوجد بها عشرون مركزا للصباغ في أجزاء مختلفة من المدينة[1]، ويوجد بها سوق مفتوح للهواء الطلق إذ يعتبر أكبر سوق من نوعه في إفريقيا، ترسل سلعه إلى الساحل، وكانو علـــى بعد ستة ساعات بالطائرة من أوروبا. ويوجد أكبر مطار في نيجيريا لتصل إلى غرب وجنـــوب إفريقيا[2].

كل هذا أعطى للمدينة شهرة في التجارة، فبدأت القوافل التجارية من دول الجوار و مـــن المغرب الأقصى بل من مصر والقيروان وفاس وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى تأخذ طريقها إليها، كمركز تجاري هام.[3]

هذا الطريق التجاري جعل من مدينة كانو تبرز في المجال العلمي، وبواسطة هـــذا البـــاب دخل العلماء إليها، إذ شجعت هذه الأخيرة العلـــم ممـــا جعلـــها تـــوفر لطلابهـــا المراكـــز العلمية.فأسست بها على سبيل المثال مدرسة للعلوم و مدرسة للقضاء الشرعي ذاعت شـــهرتها إقليميا.[4]

فقد بلغ عدد الثلاميذ التي أعمارهم بين ستة واثنا عشر سنة، -مليونين ونصف مليون تلميـــذ 1380هـــ/1960 م ، من مجموع خمسة ملايين طفل في هذا السن[5]، ويؤكد هذا الرقم إلى تزايد دخول التلاميذ إلى هذه المراكز العلمية .

وسأوضح نموذج عن مدرسة علمية في مدينة كانو تدعى مدرســـة الدراســـات العربيـــة. تأسست هذه المدرسة عام1354هـــ/1935م لتدريس اللغة العربيـــة والـــدروس الدينيـــة والشريعة الإسلامية، وكان يقوم بهذه المهمة ثلاثة من علماء الدين مـــن الســـودان، وكـــان أحدهم مديرا لهذه المدرسة وهو سماحة الشيخ عواد محمد، والذي أصبح بعد ذلك قاضي قضاة شمال نيجيريا.

---

[1]- مسعود الخوند، المرجع السابق، ص 59.

[2]- فليب رفلة، المرجع السابق، ص 526.

[3]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 154.

[4]- شوقي عطا الله، المرجع السابق، ص 119.

[5]- فيليب رفلة، المرجع السابق ، ص 526.

وفي الوقت الحاضر يدرس في هذه المدرسة أزيد من 310 طالب من ضمنهم بعض طـــلاب من القطار الإسلامية في إفريقيا، كما تجاوز عدد الأساتذة العشرة وهم من خريجـــي الأزهـــر الشريف و جامعة الخرطوم، و جامعة لندن.

ولهذه المدرسة فرعان :

1- **الفرع الأول للدراسات الإسلامية العالية،** ويقبل فيها طلاب مدارس العلم بعد اجتياز امتحان القبول، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات و سنة واحدة إضافية للذين يرغبون في مهنة التعليم في المدارس الثانوية.

2ـــ الفرع الثاني دار المعلمين،إذ يعتبر خريجوا هذه الدار معلمين من الصنف الثاني، ويقبل فيها من أكمل الدراسة الإبتدائية التي مدتها سبع سنوات مع اجتياز امتحان الصف الثاني مـــن الدراسة الثانوية، وبذلك تصبح مدة الدراسة تسع سنوات قبل الدخول في دار المعلمـــين، ثمّ يقضي خمس سنوات فيها للحصول على شهادة التعليم.

إنّ هذه المؤسسة قامت بخدمات جليلة في حقل نشر الدين الإســـلامي والمحافظـــة علـــى الشريع الإسلامية و تطبيق ما جاء بتعاليمها، ليس فقط في المنطقة الإسلامية الشـــمالية مـــن نيجيريا بل في بعض أقطار الإفريقية الأخرى . وهي تعتبر ركن مهما لتدعيم الإسلام في غرب لإفريقيا، مع العلم من أن كثير من خريجي هذه المدرسة واصلوا دراساتهم العليا في جامعة لندن و القاهرة و الخرطوم و الجامعة الإسلامية في ليبيا وجامعة لاجوس و إيبادان في نيجيريـــا، وإنّ هناك كثيرا من الحكام و القضاة و الأساتذة و مداراء المدارس الثانوية و مدرسي اللغة العربية و الأئمة من خريجي هذه المدرسة يرأسهم سماحة قاضي القضاة للمنطقة الشمالية في نيجيريا الحاج أبو بكر كومي.

ومن هنا فإنه يمكن القول أنّ مدينة كانو قد استطاعت أن تحتل مكانة بـــارزة في ميـــدان الحضارة الإسلامية، بعد أن شدّ إليها العلماء الرحال من كل مكان. وكانت ظروف الصراع الدائر في المنطقة و سقوط سنغاي مكسبا كبيرا للمدينة بحيث اســـتطاعت أن تقـــيم مركـــزا حضاريا وصلت شهرته إلى مناطق عدة، بحيث لم تقل شهرته عن مدينة تمبكتو.

و لم تكن هذه المدينة هي الوحيدة من قبائل السبع الهوسية في القوة العلمية و التجارية بـــل كانت كذلك قبيلة كاتسينا من أهم المراكز العلمية التي اشتهرت بالعلم و التجارة التي شهرتها لم تقل عن شهرة كانو إليها.

المبحث الثاني :مركز كاتسينا

بعدما أن تحدث عن مركز كانو وما كان له من عطاء حضاري و إسهام فكري من طرف العلماء، فمركز كاتسينا لا يقل أهمية عن ذلك المركز.

1- لمحة عن المركز:

كاتسينا جزء من ولايات نيجيريا، وهي واحدة من قبائل الهوسا السبع، وتقـــع شمـــال نيجيريا على بعد 160ميلا شمال شرقي مدينة كانو[1].

وتبلغ مساحتها 24192كم2، وبهذا تحتل المرتبة 17، من أصل 36 ولاية في نيجيريا.ولها موقع استراتيجي، يحيط بها الكثير من التلال وأرضها صلبة صالحة لزراعة الذرة والشعير، كمـــا يزرع بها الفول السوداني.[2]

يتألف سكانها من السودان والفولاني والطوارق والماندينغ[3]، وبهذا يقدر ســـكانها حـــوالي 6483429 نسمة سنة 2005، وهم أناس ذو بشرة سوداء و أنـــوف مفرطحـــة وشـــفاه غليظة.[4]

وكاتسينا اسم لزوجة مؤسس المدينة – جترما- يتكلم سكان القبيلة بلغة الهوسا .

وصل الإسلام إليها في وقت مبكر، ويعود ذلك في القرن 8هـــ، كما أنها خضعت لنفـــوذ صنغي مثل غيرها من قبائل الهوسا السبع[1]، فظهرت كاتسينا كمركز للثقافة الإسلامية منذ ذلك

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 227.

[2]- Vincent Monteil : op , cit, P 299 .

[3]- يسرى الجوهري، الجغرافية الحضارية، المرجع السابق، ص 439.

[4]- محمود شاكر، المرجع السابق، ج8، ص 561.

ذلك القرن، وعندما تدهورت أوضاع تمبكتو وجي وذلك أمـــام الغـــزو المراكشـــي ســـنة 1000هـــ، 1591م أدى إلى تحول المجرى الرئيسي للحركة التجارية[2]، ومن هذه الأحداث بدأ دور كاتسينا ينمو حتى أصبح الوافدون إليها بكثرة لطلب العلـــم، بعـــدما أن كـــانو يتجهون إلى تمبكتو وجني[3].

وبهذا تكون كاتسينا قد شاركت كانو في مجال الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيـــا، ذلك لأن الدور الذي استطاعت أن تلعبه في إثراء الحياة الإسلامية في تلك المنطقة –الهوســـا– لايقل أهمية عن الدورالذي قامت به قبيلة كانو.

2- عطاءه الحضاري وأثره في نشر الإسلام:

بعد انهيار تمبكتو وجني وذلك بسبب الغزو المراكشي، احتلت كاتسينا مكانهما وأصبحت من أهم المراكز الثقافية، وداعت شهرتهما بعد تلك الأحداث ممـــا أدى إلى هجـــرة العلمـــاء والطلاب والفقهاء إليها وذلك في القرن 16م.[4]

إذ لم تقل شهرتها عن كانو مما جعل الوافدين إليها يأتون من كل الجهات، مـــن المغـــرب والمشرق ومن السودان الغربي، فكان من بين العلماء الذين جاءوا إليها: العالم التزاخي (المتوفى سنة 909هـــ/ 1503م –) من المشرق استقر في كاتسينا، وشغل فيها منصـــب القاضـــي الشرعي، وقام بتفسير نصوص بعض المختصرات الفقهية مثل مختصر خليل.[5]

والعالم محمد طن ماسينا الذي ولد في كاتسينا، والعالم عمر عتيق جد أحمد بابا التمـــبكتي الذي سكن في كل من كانو وكاتسينا، والعالم الشيخ التـــاذختي، كانـــت زيارتـــه في عـــام 812هـــ 1409م، والذي تولى منصب القضاء فيها لفترة قصيرة. والشيخ عبد الله ثقة وابن

---

[1]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 227.

[2]– عطية نخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 214.

[3]– رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 52.

[4]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق، ص 157.

[5]– عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 92 .

الصباغ وابن مسنى ومحمد مود بن محمد، وهؤلاء العلماء تركوا مؤلفات كثيرة، ومـــن بـــين المؤلفات التي تركوها على سبيل المثال، ما تركه ابن الصباغ في فضل العلم:[1]

العلم نور الله كالإيمان ينقصـــــــه تلعبـــــــة الصـــــــبيان
العلم روض كالبستان أشـــــــجاره كـــــــثيرة الأفنـــــــان
أثماره تطيب بالبستان مـــــــن ذاقـــــــه إلى الكيـــــــوان

في هذه الأبيات الشعرية إشارة إلى أهمية العلم ومكانته العلمية، وأنّ العلم هو نور الله الذي يرأى الإنسان نفسه من خلاله، وحلاوته تكمن حين نتمره ونحسن استعماله.

النموذج الثاني لمحمد مود بن محمد

إن الحسود أخبث البرايا نيط به أكثفة الزرايا
من أجهل الناس سوى الحسود يغضب من قضية الودود
تزيد من حسدته شرافة ثم إلى نفسك السرافه
وللحسود فتنة شديدة وذلة ونقمة مديدة

في هذه الأبيات الشعرية يبين الشاعر مرض خبيث يصيب الإنسان المريض من غيض وهـــو مرض الحسد، وهذا المرض خطير يشعر به المصاب بغيرة فائقة زائدة كلما رأى شخص أحسن منه ولا يحمد الله على نعمه إلاّ أنه دائما ينظر لغيره ولشدة حقده فهو بمجرد رؤية رحمـــة الله تنـــزل علىشخص يمرض لمجرد رأيتها رغم ما عنده من أشياء أحسن منها.

وزيادة على هذا كله فقد ذكر الرحالة هنري بارت العالم الألماني الشهير في كتابه "**رحلات في شمال إفريقيا**"[1] أنّ هناك علاقة وثيقة كانت قائمة بين شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي،

[1]- أحمد محمد كاني ، المصدر السابق، ص 41.

وغيره من علماء الإسلام وبين أمير كاتسينا، ويكدّ ذلك ابن نيجيريا آدم عبد الله الآلوري في كتابه موجز تاريخ نيجيريا:"أنّ الشيخ جلال الدين السيوطي قد ربطته صلات وطيـــدة مـــع حكام بلاد التكرور، ويضيف إلى أنّ السيوطي قد رحل على شمال نيجيريا، واقـــام في مدينـــة كاتسينا فترة من الزمن يعلم الناس ويفقههم ويتدارس معهم جميع المســـائل والمشـــاكل الـــتي تعرضهم، وعاد من رحلته إلى القاهرة عام 876هـــ، 1471م.[2]

والواقع أنّ الشيخ السيوطي كان يتمتع بمكانة عالية في غرب إفريقيا عامة، وقد زار بـــلآد الهوسا عامة وكاتسينا بصفة خاصة، ودرس في مسجدها الكبير.وقد أشار الشيخ السيوطي إلى رحلته هذه إلى بلاد التكرور[3]، وترجمة رحلته بقلم يده في كتاب أسماه "**حســـن المحاضـــرة في أخبار مصر والقاهرة**"،وأنه كان صديقا حميما للساركن "**إبراهيم ماجي بن إيره كومـــايوة**" سلطان كاتسينا وملكها، وألف له كتاب بناء على طلب سلطان كاتســـينا، سمـــاه "**رســـالة الملوك**"، **وأهداها للساركن إبراهيم وكان ذلك في سنة (1023هـــ، 1614م)**.[4]

ومن خلال زيارة شيخ الإسلام الإمام السيوطي لقبيلة كاتسينا، وعلاقته بسلاطينها يـــدل على أنها وصلت شهرتها إلى خارج البلاد، إضافة إلى ما بلغته القبيلة من تقدم علمي وتفـــوق حضاري إسلامي .

وقد زارها علماء آخرون لاتقل شهرتهم عن العلماء المذكورين سابقا،ومن بينـــهم : ابـــن الصباغ وهذا يؤكد لنا أنّ القبيلة وصلت إلى تقدم علمي، كل هذا ساعدها على الاســـتقرار والتفوق مما جعل المشايخ[5] ورجال الدين على الاستقرار في هذه الإمارة.[6]

كل هذا ساعد على انتشار الإسلام انتشارا سريعا، بفضل تأثير العلماء الذي كـــان قويـــا وسريعا في نفوس سكان كاتسينا، لاسيما سلوكهم الإسلامي الحسن، وحسن خلقهم وطيب

---

[1]– هذا الكتاب لم أتمكن الحصول عليه.

[2]– شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 119، و آدم عبد الله الآلوري، المرجع السابق، ص 80.

[3]– أبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة في غرائب اللأمصار و عجائب الأسفار،دار الفكر للطباعـــة و النشـــر و التوزيـــع بـــيروت – لبنان،ط1: 1423هـــ،2003م،ج2، ص 133.

[4]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص158.

[5]– أمثال الشيخ السيوطي

[6]– أمثال عثمان بن فودي و أخوه عبد الله بن فودي

عشيرتهم ومكانتهم العلمية، كل هذا ساعد على تقريب نفوس الأفراد إليهم للإستماع لهـــم، والأخد منهم العلم وحضور حلقات الدروس التي كانت تعقد في المسجد الكبير.[1]

وبفضل هذا العمل ساعد على ازدهار القبيلة بالعلم، وذلك بفضل العلمـــاء الـــذين زاروا القبيلة وحب طلبة العلم بالإستماع لهم ، وإضافة إلى ذلك فقد شجع حكامها العلم والعلمـــاء مما جعلهم يقربون العلماء مما زاد تشجيع العلم للبحث عن المزيد من العلم.[2]

غير أن موقع كاتسينا أعطاها مكانة قوية في ميدان العلم، وهي تقع شمال غربي كانو مـــن جهة، ومن جهة أخرى فإنها تقع قريبة من برنو، ومن الطريق الهام الذي يربطهـــا بالشـــرق الإسلامي، فقد استفادت القبيلة من ثقافة برنو الإسلامية وكذلك من الثقافـــات الإســـلامية الأخرى القادمة من الشرق والشمال.[3]

وزيادة على هذا كله فقد استفادت كاتسينا بنفس الظروف التي استفادت كانو منها، بل إنّ شهرتها العلمية بدأت تظهر بعد الأحذات التي أصابت مدينة تمبكتو في القرن 16م.[4]
ومنذ ذلك اليوم أصبحت أهم مركز تجاري وثقافي[5]، إذ أنّ شهرتها في المجال التجاري لم يكـــن قويا لما وصلت إليه كانو في السودان الغربي، إلاّ أنّ هذا لايقلل من مكانتها في هذا المجال، بل أنّ هذا المجال العلمي هو الذي اشتهرت وبرزت فيه أكثر[6].

وزاد هذا المركز إشعاعا بسبب إتصاله الدائم والمستمر مع سكان برنو ونتيجة لهذا الاتصال زادها قوة في مجال التجارة، وتشجيع حركة العلم كل هذا أعطاها مكانة مما جعل الوافـــدين إليها أكثر، وبسببها انتشر الإسلام في القبائل التي كانت تسكن الغابات الاستوائية .

ومن هنا فقد أصبحت كاتسينا من أهم المراكز الحضارية الإسلامية في شمال نيجيريا، بل في منطقة غرب إفريقيا، حيث يوجد بها جامعة كبيرة ومدرسة للعلوم وأيضا مدرســـة للقضـــاء الشرعي.

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، 158.

[2]- Baghli ouafad :op, cit, p 07 .

[3]- Réné otagek:OP ,Cit,P 131 ,

[4]- حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص218

[5]- فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، مراجعة د. ميلاد أ. المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة، ط 1997م، ص 58.

[6]- thomas Hodgkin :OP ,Cit ;p 157 .

وخلاصة القول: فكاتسينا قد برزت في ميدان الثقافة والحضارة الإســـلامية، وأصـــبحت منارة إسلامية بين تلك المنارات التي انتشرت في غرب إفريقيا والتي أصبح يأتي إليها العلمـــاء عند اشتداد الأزمات السياسية في بلادهم.

إضافة إلى هذا كله فقد رحل إليها العديد من علماء تمبكتو وغاو وجني، كل هذا ســـاعد على ظهور القبيلة كمركز إسلامي هام ، وبها تحركت الحركة الإسلامية إلى الأمام وأخـــذت تشق طريقها لنشر الثقافة العربية الإسلامية.

وإضافة إلى هذه المراكز فيوجد مركز آخر لايقل أهميته عن المركزين السابقين،فقد اشـــتهر هذا المركز كما اشتهر المركزين،فترى في أي مجال اشتهر، وفيما تكمن أهمية هذا المركز؟

المبحث الثالث:مركز زكزك (زاريا)

زكزك هي إحدى الهوسا السبع، كما ذكرها الشيخ محمد بيلو : (...وبلاد الحوس هو سبع أقاليم لسانهم واحد، وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر، وأوسطهم كاشنة وأوسعهم زكزك...)[1]

1- الموقع:

زاريا هي أكثر ممالك الهوسا بعدا عن الجنوب[2] تقع في الجزء الشمالي من وسط نيجيريا[3]،فهـــي بهذا تحتل موقعا ممتازا إذ تقع بين كانو وكادونا، عند مفترق الطرق الحديدية المتجهة إلى نجور وكاورا،وهما محطتان تنتهي عندهما الخطوط الحديدية المتجهة شمالا[4]، فهي بذلك تقع جنـــوب غرب كانو وكاتسينا، كما تقع جنوبها زمفرا، يبلغ عدد سكانها أكثر من 170 ألف نسمة[5]

[1]- محمد بيلو : المصدر السابق، ص 67

[2]- محمود شاكر : المرجع السابق، ج 8، ص561.

[3]- منير البعلبكي، موسوعة المورد، دائرة المعارف إنجليزية عربية مصورة، دار العلم للملايين، بـــيروت، ط1 1981، مـــج 10، ص200.

[4]- أحمد نجم الدين فليجة : إفريقيا دراسة عامة و إقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، ، ص 376.

[5]- أ.جي بريل، موجز دائرة المعارف، ص 1005.

تعتبر زاريا مركزا تجاريا مهما لإقليم القطن الذي يزرع ضمن منطقة لاتبعد عن المدينة بأكثر من 80كم،كما يوجد فيها مركز للبحوث الزراعية الخاص بشمال نيجيريا.[1]

2- تاريخ المركز:

زاريا اسم للمدينة المعروف قديما ببلاد زكزك التي تولى عليها غتغما من أسرة ابا يزيد، وتعاقب أحفاده على عرش زكزك أحقابا طويلة ثمّ سقطت منها ووقعت في قبضة امرأة بكوة كرنكو التي نقلت العاصمة إلى مكانها الحالي وسمتها ولية عهدها المسماة زاريا.

ولما ماتت الملكة خلفتها زاريا، وفي أيام دولتها قامت أختها المسماة (مدينة) بفتوحات واسعة النطاق امتدت حتى المحيط واكتسحت فيها بلاد الهوسا ونوفي ويوربا وخلفت في كل نها آثارها التي تنطق عن جلالتها و سلطنتها.[2]

ومن خلال ما تقدم فإنّ زاريا كانت عبارة عن قرية صغيرة سكنتها بعض القبائل التي رحلت على الجنوب والتي هي من نفس فصائل القبائل التي تنتمي إليها بقية شعوب الولايات السبع الهامة في بلاد الهوسا وغيرها من الإمارات الصغرى.

في سنة 906هـ/ 1500 م ، أصبحت زاريا أقوى دول الهوسا وكانت تسيطر لبعض الوقت على ممالك النوبة و جوكاون بالجنوب.[3]

وصل الإسلام إليها عن طريق التجارة والدعاة والعلماء الذين أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام إليها، وصل فيها إلى إمارات الهوسا الأخرى، كانو وكاتسينا، وأنه قد انتشر فيها على نطاق واسع منذ القرن 8هـ، 14م.[4]

لقد لعبت زكزك دورا هاما في التاريخ القديم بين دول الهوسا السبع، وتعرضت مثل غيرها من قبائل الهوسا إلى مملكة صنغي.[5]

---

[1]- أحمد نجم الدين فليحة، المرجع السابق، ص 377

[2]- آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص74

[3] -**Preface de Jean** : Afrique Noire occidentale et centrale ,revue et mis à jour Editions sociales ,Paris (10°)sevisce de vente 24Rue racine paris (6°)4ème trimestre1973,p188 .

[4]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق، ص 161.

[5]- Nehema levetzion ,Muslims and chiefs in the west Africa ,p 16.

ورغم ما وصلت إليه زاريا من تقدم، إلاّ أنها لم تصلفي الصدارة لما وصـــلت إليـــه كـــانو و كاتسينا، إلاّ أنّ سكانها لم يعدوا أولئك الأشخاص البدائين الذين كانت الوثنية تسودهم، غير إنهم اختلطوا بالوافدين إليهم من القبائل البربرية والعربية.

وقد اكتسبوا الكثير من المفاهيم والقيم الإسلامية منهم، وبفضل دخول الإسلام إليهـــا أصـــبح سكانها يتطورون و يأخذون بأساليب التطور ويشاركون مع جيرانهم من سكان المدن والإمـــارات الهوسوية الأخرى في دفع عجلة التطور الإسلامي .إضافة إلى أنّ اللغة العربية قد وجدت طريقهـــا إليه، حيث استخدمها سكانها في أساليب حياته المعيشية كالتجارة والمعاملات وكتابة العقود ومنها حفظ القرآن الكريم. [1]

وهكذا وبفضل دخول الإسلام إلى هذه القبيلة تغير نمط حياتها، إذ تعرضت وســـقطت تحـــت الدولة الفولانية، وكان أول من تولى الإمارة بها هو المعلم موسى، واقتصرت الإمـــارة في أســـرته وبلغوا حوالي سبعة عشر أميرا، ونشطت الحركة الأدبية بها.[2]

3- علماء المركز وأثرهم العلمي

بفضل دخول الإسلام إلى المدينة أصبح إشعاعها ينير بحيث أصبح نمط الحياة يتغير فيها، حـــتى أصبحت تساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية مع كانو وكاتسينا ...

لقد استفادت زاريا بنفس الظروف التي حدثت في منطقة السودان الغربي، ذلـــك لأن هـــذه المراكز الإسلامية، ومنها زاريا كانت تتأثر إلى حد بعيد بسياسة الدول المجـــاورة الـــتي قامـــت في السودان الغربي، إذ عاشت في ظل الطمأنينة والأمن والرخاء، قد مدت يد العون والمساعدةبالعطايا والمنح والهبات للمستغلين بالعلم.[3]

ومن خلال هذا فقد ازدحمت مدارسها بالطلاب الذين برعوا في قواعد اللغة العربية واختـــاروا للمنتهين في العلم زيا خاصا يتميزون به عن المبتدئين والمتوسطين على غرار الزي الجامعي.[4]

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق، ص 161.

[2]- آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص 75.

[3]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص 162.

[4]- آدم عبد الله الآلوري : المرجع السابق، ص76.

ومما زادها قوة وشهرة وقوعها جنوب غربي كانو أهم المراكز الحضارية في بلاد الهوسا سببا من أسباب قدوم العلماء إليها من مالي وسنغاي.[1]

كذلك فقد خضعت لبعض الوقت لسلطنة برنو الإسلامية لاسيما في فترة حكم السلطان إدريس ألوما، وقد استفادت من كل العناصر الحضارية التي انتشرت في تلك الأنحاء.[2]

كان طلاب زكزك ينتقلون من بلدهم إلى كانو وكاتسينا وتمبكتو للاستفادة من تلك المعاقـــل العلمية القوية وكذلك اتجه طلابا منهم إلى القاهرة للدراسة في الجامع الأزهـــر، وأقـــاموا في رواق التكارره الذي خصصه الأزهر لهم، وكذلك درسوا في مدرسة ابن رشيق بالقاهرة حيث درســـوا المذهب المالكي، المذهب السائد والمنتشر في بلاد الهوسا وباقي بلاد غرب إفريقيا.[3]

وعلى هذا فإنه يمكن القول أنّ زاريا أو زكزك قد ساهمت مع كانو وكاتســـينا وغيرهـــا مـــن إمارات الهوسا في نشر الإسلام وحضارته، بل إنّ سكانها قد نشطوا في الدعوة للإسلام بين القبائل الوثنية نظرا لأنها تقع إلى الجنوب من هذه المراكز الإسلامية، وكان ظهور زاريا كمركز حضاري إسلامي في الجنوب .إذ أنّ سمعتها لم تكن قد علت في بلاد العالم الإسلامي، إلاّ أنها علت في منطقة السودان الغربي وشاركت بدور لايقل فاعلية و تأثير عن دور غيرها من الإمارات الأخرى.

المبحث الرابع: الطرق الصوفية

1- مفهوم الطرق الصوفية:

لقد وردت أقوال كثيرة حول تعريف الصوفية،وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون ،أنه علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ،وأصله :أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ،ومن بعدهم ،طريقة الحق والهداية.[4]

وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى،والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها،والزهد فيما يقبل عليه جمهور من لذّة ومال وجاه،والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.

---

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق، ص 162.

[2]- مادهوبانيكار : المرجع السابق، ص 198.

[3]- عثمان برايماباري : المرجع السابق، ص 94.

[4]- ابن خلدون : المصدر السابق ،ص262.

وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ،فلما شاء الإقبال على الدنيا في القرن الثاني هجري وما بعد،وجد الناس إلى مخالطة الدنيا،اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

وفي هذا يقول :أنّ اشتقاق هذا الاسم من الصفاء،أو من الصفة، وقال كذلك من الصوف لأنهم يختصون بلبسه.[1]

ويقول الإمام الشعراني: التصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة ،إذ خلا من عمله العلل وحظوظ النفس.

ومنهم من يقول :أنّ التصوف هو صدق التوجه إلى الله تعالى.[2]

ومن خلال ما ذكر فإنّ تعريفات التصوف صادقة وتدور حول هذا المعنى،وهو نفسه الذي توجه إليه التعاليم الإسلامية.

لقد جاء أعرابي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول تالله :إني لا أحسن من دندنتك[3] ولا دندنت أبي بكر،ولكني أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وكان هذا الأعرابي يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم،يبتهل إلى الله ويتحدث بدعاء رائع متنوع،ويسمع أبا بكر كذلك، والأعرابي لا يحسن شيئا من هذا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك :"دندن يا أخا العرب".[4]

وفي هذا فإن الصوفية أخذوا بهذا الكلام، وأصبحوا يدندنون حول التوحيد،مهما اختلفت عباراتهم ولهجاتهم.

والطريق الصوفي في عرف رجال التصوف، هو وسيلة السفر إلى الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى:" ففروا إلى الله" [5]، وقوله كذلك :" إني مهاجر إلى ربي سيهدين"[6]

والسالك لهذا الطريق أو المسافر إلى ربه برغبة المحب ولهفة المشتاق ،وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ،وأنهم في يقظتهم يشاهدون

[1] – ابن خلدون:المصدر السابق ،ص 263.

[2]- عبد الرحمن عميدة :التصوف الإسلامي (منهجا وسلوكا)مكتبة الكليات الأزهرية ،حسين محمد أمبابي،وأخوه محمد ،الأزهر ،القاهرة ،ط1982م،، ص 13.

[3]- الدندنة : أن يتكلم الرجل بكلام تسمع نغمته ولا يفهم.

[4]- لم يرد هذا الحديث بهذا اللفظ في كتب الحديث، وإنما ذكر بلفظ آخر في كتب الصحاح بلفظ معاذ بدل عن أبي بكر، وأخذ الحديث الذي ورد عن أبي بكر من كتاب عبد الرحمن عميدة ،التصوف الإسلامي،ص 14.

[5]- سورة الداريات ا لآية 50.

[6]- سورة العنكبوت الآية 26.

الملائكة وأرواح الأنبياء ،ويسمعون أصواتا منهم ،ويقتبسونه منهم فوائدهم،ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها النطق.[1]

وفي هذا الإيطار يقول الشيخ عبد الله بن فودي عن الصوفية في كتابه:" تقريب الضروري من علوم الدين: ثلاثة علوم:علم التوحيد وعلم الفقه وعلم الصوفية،وقال:وهي المتعلقة بأقسام الدين الثلاثة: وهي الإيمان والإسلام والإحسان،فمن اتصف بها فقد كمل ،ومن لم يتصف بها كلها فإيمانه ناقص.[2]

ومن خلال قول الشيخ فإن علم التصوف هو أحد فروع الإيمان، ومن لم يأخذ به فلا يصل إلى الله وبذلك فإيمانه ناقص وعليه، فلا بد لمن يكمن إيمانه أن يجمع بين العلوم الثلاثة،وهي التصوف والفقه والتوحيد.

ولقد أكثر الشيخ عثمان بن فودي التحدث عن التصوف في كثير من مؤلفاته، كما أن الشيخ محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور عن التصوف وخصص له جزءا ، وجاء فيه تحت عنوان فصل في ذكر ما يحذث به الناس في فن التصوف ،"اعلموا أن صفات القلب على ضربين : مهلكات ومنجيات.

فالمهلكات هي العجب والكبر والحسد والبخل والحقد والرياء، وحب الجاه، وحب المال للافتخار والأمل وإساءة الظن بالمسلمين.

فهذه العشرة من المهلكات، من أصول الأخلاق ،فيجب على كل مسلم أن يتخلى عنها، ويتحلى بالمنجيات، وهي التوبة والإخلاص والصبر والزهد والتوكل،وتفويض الأمر إلى الله تعالى، والرضى بقضائه والتقوى والخوف والرجاء ، وهذه أيضا من المنجيات من أصول محمودات الأخلاق، فمن أثبتها أثبت فروعها فيه بإذن الله."[3]

وقال الشيخ عثمان بن فودي عن التصوف في كتابه" حصن الإفهام منه جيوش الأوهام" ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أنّ علم التصوف ليس من فروض الأعيان ، بل هو مخصوص الأولياء من غير تفصيل ، وهذا أيضا باطل، وهو على الإجماع لأن علم التصوف على قسمين:

- علم التصوف للتخلف ، وهذا فرض على كل مكلف.

[1]- سميح عاطف الزين : الصوفية في نظر الإسلام ،دراسة وتحليل ،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان، مكتبة المدرسة،ط3 :1405هـ،1985م، ص24.
[2]- محمد بل : المصدر السابق، ص 12.
[3]- محمد بلو : المصدر السابق،ص 121.

- علم التصوف للتحقق، وهذا هو المخصوص بالأولياء.

فالأول هو الذي كان على طريق الإمام أبي حامد المحاسبي، ومن مشى على ذلك ولا ينبغي أن يهمل علمه ولا أن يقصر عليه دون عمل بـــه"

والثاني هو الأحوال والمعارف، وهي أمور خاصة بالمخصوصين.

واعلم أنّ علم التصوف للتخلف يلزم بذلك لكل أحد، أما علم التصوف الذي هو للتحقق فيقتصر فيه على المريدين والعارفين غير أنّ مشايخه اختلفوا في بذله لغيره."[1]

ومهما كثر الإشكال حول تعريف علم التصوف ، فهو الطريق الذي اتبعه بعض علماء وأصبحوا يعملون به ويأتون بأشياء حسب ما يقوله لهم لسانهم، وبهذا الصدد فقد اتبعه الكثير من العلماء أمثال علماء الهوسا وانتشروا إلى أن أصبحت تسيطر عليهم ، غير أنهم استطاعوا بهذا العلم أن يدخلوا الكثير من الناس إلى الإسلام وإخراجهم من الوثنية السائدة هناك كما فعلوا مع قبائل الهوسا.

2- دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام :

يرتبط معظم المسلمين السودانيين برجال الدين ، بواسطة إحدى الطريقتين القادرية[2] والتيجانية[3]، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين عظيما جدا في القرن 19م، على شمال نيجيريا.[4]

وإذا تتبعنا تاريخ دخول هذه الطرق وكيف بدأت ، فنجد في القرن 13م ، أن عدد علماء الصوفية زاد بشكل واضح، وقد أقام هؤلاء العلماء زوايا كبيرة بعيدة عن المدن، حيث كان يعيش شيخ الطريقة مع عائلته وخدمه وتلاميذه، وسرعان ما انتشرت تعاليم هؤلاء إلى المدن المجاورة، كما تناقلها البربر الذين أصبحوا مسلمين صادقين.[5]

---

[1]- الشيخ باي بلعالم محمد : المرجع السابق: ص 214.

[2]- القادرية: أسسها الشيخ عبد القادر الجيرني، ولد في إيران سنة 471هـــ، توفي سنة 561هـــ/ 1106م ، تعتبر من أقدم الطرق الصوفية المعاصرة ، وأكثرها اعتقادا في المعتقدات، أنظر عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص228.

[3]- التيجانية أسسها الشيخ أحمد بن محمد المختار بن أحمد بن سالم، ويضاف إلى هذه التسمية لقب التيجاني، ويرجع أصلها إلى كلمة تيجانا ، وهي اسم لقبيلة بربرية من سكان الجزائر بشمال إفريقيا، ولد سنة 1150هـــ، 1737م، توفي سنة 1815م، انتشرت الطريقة في شمال إفريقيا، ومن خلالها إلى الجنوب، أنظر المرجع نفسه،ص 232.

[4]- عبد الرحمن زكي : المرجع السابق،ج2، ص 108.

[5]-عثمان برايماباري: المرجع السابق، ص227.

وفي القرن 14م، انتقلت تعاليم النظم الخاصة بالطرق الدينية، وكثيرا ما كان يتردد الناس على مؤسس الزاوية ليحظوا ببركته ، فإذا توفي بزاويته فسرعان ما يتحول هذا الضريح إلى مزار مبارك يؤمه الناس أفواجا، وأصبح مع مرور الوقت مكانا مقدسا عندهم.[1]

وفي القرن 15م، بفضل بعض الرجال الصالحين من أمثال ابن عبد الله محمد الجازولي المتصوف، وكان بعد عودته من الحج ،انصرف عن العبادة سنين طويلة ، وأنشأ طريقته الجزولية المنبثقة من الشاذلية[2]، فتبعه أناس كثيرون في المغرب الأقصى، وألف دلائل الخيرات، ومن خلال ما فعله انتفل نشاط الدعوة الصوفية والطرق الأخرى إلى البربر القاطنين في موريتانيا، وفي منطقة الساحل الصحراوي.[3]

واجتذبت الطريقة القادرية الشيخ عمر تل الفوتي[4]وهو يؤدي فريضة الحج، ولما كان من رؤساء قبيلة كنـــتا العربية، فقد كان لنفوذه القوي أن انتشرت القادرية في السودان الغربي، وخاصة بين الزنوج المسلمين الرحل والمقيمين في المدن، وقد أقبلوا عليها بعد أن اتخذت أشكالا تطابق غاياتهم الدينية.

وبهذا وجدت الطرق الصوفية أرضا صالحتا بين قبائل الهوسا، ولاسيما ممن يشتغلون بالتجارة.[5]

ومن خلال هذا فقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما وبارزا في نشر الإسلام في قبائل الهوسا، وتعتبر الطريقتان القادرية والتيجانية من أقدم الطرق التي سيطرت على الهوسا بشكل عام، وانتشرتا بين سكان المنطقة من خلال جهود أفراد من التجار والمشايخ الذين ينتمون إلى قبائل الهوسا.

وكان نشاط القادرية في الدعوة ذو طابع إسلامي يعتمد على الإرشاد، وعلى أن يكون الواحد منهم قدوة لغيره، وبهذا برهن دعاة القادرية على أنهم أوفياء لمبادئ مؤسس الجماعة ولتقاليدها، ولمبادئ منشأها الذي أوصى تلاميذه بهذا السلوك السمح.[6]

---

[1]- عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص 110.

[2]- الشاذلية تعتبر هذه الطريقة إلزامية وأفكارا فلسفية أكثر من كونها طريقة صوفية ذات ممارسات محددة كسائر الطرق الصوفية الأخرى، المنتشرة في غرب إفريقيا، أنظر عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 231.

[3]- عبد الرحمن زكي : المرجع السابق، ص جé، ص 110.

[4]- الحاج عمر ولد في قبيلة فوتا الفولانية سنة 1210هـ ،1796،تلقى العلوم التوحيد الفقه واللغة العربية من طرف عائلته وعلماء قريته، تزوج من ابنة الشيخ محمد بلو،وهو مؤسس الدولة العمرية الصوفية، أنظر عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 194.

[5]-الشيخ باي بن عالم: المرجع السابق، ص213.

[6]-عبد الرحمن زكي : المرجع السابق، ص 111.

ونظرا لأن الشيخ عثمان كان صوفيا يتبع الطرقة القادرية، فقد نالت هذه الطريقة قسطا كبيرا من مؤلفاته، وهذا ما زادها قوة في الانتشار، فأعلن مع بداية جهاده أنه رأى رؤية وهو في الأربعين، وأنه جالس في إجتماع يضم سيد البشر ومعه الصحابة والشيخ عبد القادر الجيلاني، وقاما بإعطائه سيفا وأمراه بالجهاد في بلاد الهوسا، من أجل إقامة شرع الله، ومن خلال ذلك فقد تبنت جميع إمارات سوكوتو الإسلامية الطريقة القادرية.[1]

وفي هذا الصدد فقد كان لهذا الشيخ أهمية كبيرة في دخول القبائل الهوسية للإسلام، والذي كان يحمل في أفكاره الطرقة القادرية التي سيطرة عليه .

وبناءا على ما رآه الشيخ فأخذ يعمل بذلك وأقام الجهاد ضذ جماعات الكفر ، وقام بمحاربة أعداء الله، محاولا نشر الإسلام في هذه البلاد الهوسية، فحارب ملك غوبير :يونفا باوا نفاتا" على وجه الخصوص، وهذا الملك حاول اغتيال الشيخ عثمان وتصفية أتباعه، ولكنه نجى منها بأعجوبة، فحمله ذلك على جهاد هذا الملك ومقاتلة غيره من الوثنين، ودخل جميعهم في معارك وحروب ضارية.[2]

أما الطريقة التيجانية فقد دخلت إلى الهوسا في القرن 19م، حينما قام الشيخ عمر تل الفوتي بالإقامة في سوكوتو أثناء عودته من مكة، مكث فيها سبع سنوات، وقد لعب هذا الشيخ دورا حيويا دينيا وثقافيا وسياسيا، ومن خلال ذلك زوجه الشيخ بلو أمير سوكوتو، وقام هذا الشيخ بنشر الطريقة التيجانية في مختلف أنحاء سوكوتو.[3]

وصفوة القول فقد لعبت الطرق الصوفية دورا مهما في الهوسا، بحيث اتخذها زعماء القبائل كمذهب لهم، وأصبحوا يعملون بما جاء به أصحاب الطرق.

وفي هذا الصدد فقد تطرقوا إلى عدة مواضيع تتصل باهتماماتهم الروحية الغالبة على حياتهم، مثل الدعوة إلى التخفف من أعباء الدنيا والتزهد فيها والإقبال على ذات الله تعالى، ومناجاته وطلب العفو والرضا والرأفة منه، والسعي إلى التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم، والتشفع به والحديث عن المقامات، ومدح شيوخ طرقهم الصوفية، والعارفين بالله من عبادة الصالحين.

ونستشف من ذلك بتلك المواضيع والمضامين الصوفية:

---

[1]- الشيخ باي بلعالم محمد: المرجع السابق، ص 214.
[2]- أحمد شلبي: المرجع السابق،ص215
[3]- محمود شاكر: المرجع السابق، ص 1860

1- 2: المناجات الإلهية: والتي يراد بها الحب الإلهي المشار إليه في الآية القرآنية" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"[1]والمراد به انعطاف قلب العبد بطاعته، وباجتناب نواهيه والانقياد لأوامره مظهرا ذله وضعفه أمام جبروت الله، راجيا مستنصرا بقوته مبديا شوقه الروحي العارم.

ومن النصوص التي نقرأها لهؤلاء العلماء القصيدة المسماة" المستجابة " للشيخ محمد بلو بن عثمان بن فودي، والتي يناجي فيها ربه سرا وجهرا، ويرتمي في واسع رحمته ليرجوا تحقيق أمانيه.[2]

أناديك يا مولاي في السر والجهر بأسمائك الحسنى السنية كالبدر

لتكفينا من كل سوء وفتنة وترزقنا كفافا مدى الدهر
إلهي ومولايا ترى ما العدا سعوا وكادوا به فينا من الكيد والمكر
فكدا يا إلهي كل من رام كيدنا وخذه إذ ينبغي علينا على قدر
فنصرا عزيزا يا إلهي لقومنا فمنك نرجي الفوز باللطف والنصر
أغثنا أنت مالك أمرنا وعجل بيسر لا يعقب بالعسر
ويسر لنا يا رب نصب دعائم منه الشرع في هدي البلاد علالفوز[3]

1-2: **التزهد:** والمراد به التزهد في الدنيا والتهوين من شأنها، وأنها دار الفناء ومعبر إلى الآخرة، التي هي خير وأبقى، فالعاقل الذي عاش فيها ورأى خداعها وزيفها حربة، ألاّ يغتر ببريقها الخدّاع، وأن لا يعطي جهده وطاقته في سبيل جمع حطامها المنقضي، وهي المعاني الدينية الإسلامية الواردة في

[1]-سورة المائدة الآية 54.
[2]- شيخو أحمد سعيد غلاذنتي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الرياض، شركة العبيركا، ط 1993، ص 951.
[3]- أمين أبو منفة:المجلة السابقة،ص 41.

الكتاب العظيم والسنة النبوية الشريفة، قال تعالى" وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب وإنّ الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعملون"[1]

كما نلمس من أبيات الرثاء للسيدة نانا أسماء [2]بنت المجاهد الشيخ عثمان بن فودي، التي ترثي فيها السيدة عائشة بنت عمر البموي زوجة أخيها محمد بلو، وهذه الأبيات يغلب عليها الطابع الصوفي بصفة عامة.[3]

إلى الله أشكو من صنوف البلابل توت في سويداء قلبي داخل
لفقد شيوخ قادة الدين سادة وأخوتنا أخدان خير ونائل
وذكرني موت الحبيبة من مضت من الإخوات الصالحات العقائل
وزادت كروبي وانفراري ووح شتي وسكب دموع فوق خدي هواطل
بفقد العائشة الكريمة ويا إلها من املرأة حازت جميع الفضائل
من الصالحات القانتات لرّبهم من الحافظات للغيب ذات النوافل[4]

1-3: **التوسل والتشفع:** والمراد به ما يذكر كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى ،بما يحبه ويرضيه من الأنبياء والرسل والأنبياء الصالحين والأعمال الصالحة، وقد استشهد القائلون بالوسيلة بنصوص من كتاب الله تعالى وجوازه، كقوله تعالى:" يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة"[5]وقوله الوسيلة"[5]وقوله أيضا " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذ ببهم وهم يستغفرون"[6].

[1]_ سورة العنكبوت الآية 64.
[2]- سوف يأتي ترجمة هذه السيدة في الفصل الثالث ص 131.
[3]8 عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 140.
[4]- عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 141.
[5]- سورة المائدة الآية 35.
[6]- سورة الأنفال الآية 33.

وأوردوا في ذلك أدلة أخرى من السنة ، وقد شاع التوسل والتشفع لذا هؤلاء العلماء، فتوسلوا طلبا لرضا الله سبحانه وتعالى وعطفه عليهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ،وبالأنبياء والرسل ،والصالحين من عباده، وتشفعوا بمشايخ الطرق الصوفية من الدرية والتيجانية.[1]

فمنه لتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل عليهم السلام، قول محمد بلو في القصيدة المسماة المستجابة:[2]

أناديك يا مولايا في السر والجهر بأسمائك الحسنى السنية كالبدر
وبالمصطفى الهادي الرشيد محمد وأصحابه والآل والتبع الغر
وبالأنبيا والرسل والملك والرضا وبالأوليا الصالحين أولي الأمر
اتكفينا من سوء وفتنة وترزقنا رزقا كفافا مدى الدهر

ومن ذلك كذلك تشفعه في عمه عبد الله بن فودي، فقد رأى خيرا ما يتشفع به التوسل في أن يجعل الله الفقيد من أهل القبول، جاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:[3]

سقى الله الكريم ثرى إمام ونيل القرب من رب السماء
بجاه نحمد كهف البرايا شفيع الخلق بين الأنبياء
صلاة الله مع أزكى سلام عليه وآله أهل الصفاء

1-4: الإصلاح والتوجيه:والمراد به الطريق التربوي التهذيبي أو الحكمة والأمثال، ولقد اتخذ الشيخ عبد الله بن فودي منهجا في علمه،وخير ما قاله ما جاء في حائيته:[4]

ولا تخشى في إظهار دين محمد بقولة قالها تأتسيه كنائح
ولا تخشى تكذيبا وإنكار جامد وهزء جهول ظل والحق صابح

[1]- شيخو أحمد سعيد غلادنتي: المرجع السابق ،ص 951
[2]-.محمد بلو: المصدر السابقن ص 208.
[3]- علي أبو بكر: الثقافة العربية في نيجيريا،ص 58.
[4]- عثمان برايما باري: المرجع السابق،ص 139.

وليس لما تبنى يد الله هادم وليس لأمر الله إن جاء

1-5: الجهاد وذكر المغازي: ويشتمل على اهتمام العلماء بتسجيل الأحداث التاريخية التي تقع في زمانهم أو أزمنة غيرهم، سواء في نفس المنطقة أو في المناطق المجاورة، مثل مجيء الإستعمار.

وقد ذكر معظم الأدباء وعلماء سوكوتو سواء في النثر أو بالشعر باللغات الأهلية والغربية، هذا الحذث التاريخي المشأوم في نظرهم.

ولقد استطرد محمد بلو بقولة بعد غزوة كان، والذي ظل يفخر فيه ببلاء جنده وشجاعته، وانتصار الدين على الكافرين:[1]

سائلوا عنا وعن أعدائنا يوم دار الحرب في كنو الأغر
قد تركناهم بها مثل الهبا أو كأحطام الهشيم المحتظر
ولكم كربه فرساننا في صناديد " كياوا" المنكسر
إذ رجعنا لهم وقت الضحى بجنود طجراد منتشر
وكأنّ الخيل في أرجائها حدا تخطف أشلاء البقر
فألقيناهم وأوغلنا بهم برماح وسهام كالمطر
واشربوا فرمينا مثلها فأقمنا هكذا حتى الظهر
فدعونا يا نازال للوغى فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايا فرووا فهم مثل جذوع منقعر

بينما يغطي كتابا الشيخ عثمان بن فودي نفسه "إحياء السنة وإخماد الفتنة " وحصن الأفهام في جيوش الأوهام " جانبا الفقه والشريعة،اتخذ الاتجاه الأدبي لعلماء وأدباء المنطقة الطابع الصوفي أو

[1]- محمد بلو : المصدر السابق، ص132.

الزهد بصفة عامة وأيام الناس والفقه والشريعة، وبما أن هناك قواسم مشتركة بين علماء المنطقة يسهل تأثير عالم أو فقيه على نظرائه من خلال تيارات فكرية وأدبية.

المبحث الأول: العلوم الشرعية وأشهر علمائها

لقد اهتم علماء الهوسا بعلوم كثيرة وكان من بين العلوم التي اهتموا بها،هي العلوم الفقهية،علم العقيدة والسنة النبوية الشريفة، وذلك بفضل الإسلام الذي انتشر بسرعة في ربوع القبائل الهوسية، ومن خلال هذا فعلم الفقه قضى على كل المفاهيم التي كانت سائدة، وهذا ما سنذكره في هـــذا المطلب.

1- الفقه:

لقد اهتم علماء الهوسا بهذا العلم وذلك منذ دخول الإسلام إلى المنطقة، ومحوا كل المعتقـــدات السائدة هناك، فقد كان العلماء يقومون بجلسات علم يتدارسون فيها علوم دينـــهم ،ويقومـــون بتثقيف سكانها، وتعليمهم كل ما يجب عليهم اتجاه دينهم ومن خلال هذا العمل وتجاوبهم معهـــم اهتموا بالفقه وأعطوه أهمية كبرى باعتباره علم من علوم الشريعة الإسلامية.[1]

لقد برز في بلاد الهوسا كثيرون من المعلمين والمتفقهين، وكان في مقدمتهم عبد الله سك،الذي درس في أغاديس وفزان ،ومن المسلّم به أنه أعظم عالم في زمانـــه. وفي كاتســـنا كـــان هنـــاك محمد[2]الذي درس على المغيلي وسافر إلى الشرق حيث التقى بشيخ الإسلام زكريا والعالم الكـــبير القلقشندي، ووضع تعليقات وشروحا على كتاب مختصر خليل.[3]

[1]- عبد الله سك من علماء قبائل الهوسا، هو فلاتي البغاتي، رحل لطلب العلم إلى أغاديس وله من شيخه البكري جزء يسير في مجاوبته ، ينظر محمد بلو:المصدر السابق،ص 50.

[2]محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي:عرف بأيد أحمد مضافا لإسم أحمد ومعناه:ابن كان فقيها عالما ،فهامامحدثا،متفننا متحصل،جيد الحفظ، حسن الفهم كثير المنازعة ... لقي بتكدة الإمام المغيلي،وحضر دروسه ثم رحل إلى الشرق أجلاء كشيخ الإسلام زكريا و البرهانين القلقشندي.... له تقاليد وطرز على مختصر الشيخ خليل .المصدر نفسه ،ص51.

[3]- ك.مادهويانيكار: المرجع السابق، ص 514

وفي هذا المقام فقد كان الاهتمام منصبا في المقام الأول على أمور الفقه والشريعة، وكان العمل الذي أنجز في هذا الجانب في بلاد الهوسا عملا نقليا أكثر منه عملا إبداعيا، وكانت أغادس هي المركز العظيم الذي يزوره الدارسون من الهوسا ،إذ كانت معروفة في تخصصها في علوم الفقه[1].

وقد ركز معظم معلمي أغادس على التدريس في المسجد، ولكن بعضا منهم مثل الشيخ عثمان والشيخ جبريل بن عمر،جمع بين التدريس في المسجد والوعظ المتجول خارجه.[2]

وتخصصت الغالبية العظمى من معلمي أغادس في قضايا معينة منهم محمد ثنب[3] الذي ألّم بأخبار قريش وعلّق عليها جبريل الذي تخصص في الكوكب الساطع، ومحمد المغوري الذي اشتهر على نطاق إفريقية كمعلق على المختصر.[4]

ومن خلال ما ورد فقد تخصص تلاميذ جبريل أمثال عثمان وعبد الله بن فودي في مجال الفقه، حيث كانوا يحاربون البدع عن طريق ما أملاه عليهم الله ورسوله الكريم،واعتنوا بهذا العلم أيما اهتمام بحيث كانوا يتجولون في رحاب هذه البلاد للوعظ والإرشاد، ومن خلال ما قاموا به فقد كتبوا كتبا كثيرا في هذا المجال، وبعض هذه الكتب لازالت مخطوطة فكتب الشيخ عثمان بن فودي كتاب إحياء السنة وإخماد الفتنة، هذا الكتاب كتبه الشيخ ردا على آراء علماء محليين بقصد توجيه نشاطهم إسلاميا.[5]

إن" كتاب الفقه:" السنة وإخماد البدعة" ، مقسم إلى ثلاث وثلاثون بابا، وكل باب يتعرض إلى ركن من أركان الإسلام، فتحدت عن الصلاة والزكاة والصيام والحج وعن آداب الطعام والشراب، وعن كل ما أوصى به الإسلام وكل ما فرضه الله على عباده المسلمين ، إضافة من نكاح وميراث وبيوع، فجمع فيه العبادات والمعاملات مستدلا بذلك من الكتاب والسنة.[6]

---

[1]- عثمان برايماباري:المرجع السابق[1]،ص 92.،

[2]-_ الشيخ جبريل بن عمر تخصص في صحيح البخاري،وكان له أثر كبير على الشيخ عثمان دان فودي نفقد رحل عثمان إلى أغادس حيث يقيم الشيخ جبريل ،ولازمه مدة عام،وأخذ عنه صحيح البخاري وهو مالكي متشدد ،محمد بلو المصدر السابق ،ص 54

[3]- محد المنغوري نقل مختصر خليل ،ومهر جدا في هذا المجال ،وتفرغ للتدريس ،المصدر نفسه ،ص56

[4]- ك.مادهويانيكار: المرجع السابق، ص 515

[5]-Vincent MONTIEL :OP , CIT,P16

[6]- عثمان بن فودي : المصدر السابق ،ص ص 5_50.

فكان في كل مرة يعطينا قاعدة فقهية ويستدل بها من الكتاب والسنة، فمثلا تأخير وقت الصلاة حتى يخرج وقتها، فيقول بأنها بدعة محرمة على الإجماع ،إن أريد بالوقت الضروري ،وعلى المشهور إن أريد بالوقت المختار،وأمّا من أخر الصلاة لآخر وقتها فغير آثم.

وقس على هذا فكان في كل باب يبين ما جاء فيها ،ويعطينا أدلة من الكتاب والسنة ثمّ يبين لنا بعض البدع الشيطانية لكي لا يقع فيها الغافل،وبهذا الفعل فهو يقوم بتنبيه الغافلين من الإخوان".

ومن خلال هذا يتضح لنا أنّ الشيخ كان متشددا في كتابته غيور على دينه فقد كتب بكل ما أملاه عليه دينه معللا ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

وقد اشتهر أخوه عبد الله وابنه محمد بلو في هذا المجال فكتبوا وأبدعوا، فقد اشتهر أخوه بالكتابات الفقهية والأدبية ومنه الكتاب المطبوع ضياء السياسات وفقه النوازل ، أما ابنه فاشتهر بالكتابات التاريخية ويأتي الحديث عن كتاباته في مجاله.

ويعتبر كتاب فقه النوازل للشيخ عبد الله حجته في ذلك، فقد قسمه إلى بابين وباب تمهيدي ذكر في الباب الأول السياسات الشرعية والثاني في فتاوى النوازل جاء فيه عن الأعمال الفقهية والمعاملات من بيع وغيره،وتحدث في الباب التمهيدي عن مقدمة وترجمة الشيخ كما تحدث عن الحوار الذي جرى مع الشيخ وأخوه عثمان ،وكذلك عن كل ماحدث للشيخ في حياته مع أخيه وابن أخيه بيلو.

فكان هذا الكتاب هو فقهي إذ ذكر الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج كما ذكر الجهاد في سبيل الله،إضافة إلى ذلك أمور المعاملات البيع والشراء وكيف يكون ذلك وفق ما جاء في كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- العقيدة الإسلامية:

لقد اهتم علماء الهوسا بالعقيدة الإسلامية منذ دخول الإسلام إلى القبيلة، وحاول كل عالم أن يترع من القبيلة الوثنية السائدة هناك، بيد أنّ غالب من اعتنق الإسلام في أول الأمر لم يدركوا الحقائق الإسلامية، فاستمروا على جاهليتهم، مع تأدية لبعض شعائر الإسلام كالصلاة والصوم.

فلم يمتنعوا عن إتيان الكهنة والسحرة، وشرب الخمر، وسفور نساءهم وغير ذلك من المنكرات، ومما زاد الطين بلة أنّ كثير من السلاطين الذين ادعوا الإسلام لم يؤمنوا به حق الإيمان, وإنما أرادوا استغلالهم لمصلحتهم، لما رأوا إقبال الناس على ذلك الدين الجديد.[1]

وكان العلماء أيضا في أول العهد قلة و لم يكن لدى التجار الذين تسببُ في انتشار الإسلام الكفاءة العلمية التي تؤهلهم لشرح المعاني الدقيقة والقواعد الأساسية للإسلام، إضافة إلى كثرة ترحالهم وعدم استقرارهم في مكان واحد، مما جعل إمكانية التعليم الجاد المستمر أمرا عسيرا.ولكن الأمر تحسن مع مرور الوقت لما بدأ العلماء يأتون إلى هذه القبائل من المغرب ومصر وكان من بين العلماء الذين دخلوا هذه القبائل[2] هو الشيخ المغيلي والإمام السيوطي[3] كل هذا أدى إلى دخول سكان القبائل لطلب العلم، أدى هذا العمل إلى إنشاء العديد من المدارس والمراكز العلمية ...[4]

وكان من بين العلماء الذين كان لهم الفضل في ترسيخ دعائم الإسلام هو: الشيخ محمد بن الراجي الذي أخذ صحيح البخاري وكتب السنة عن علماء الحجاز، وله إجازة في كتاب البخاري من شيخه أبي الحسن السّندي عن محمد بن حياة السندي.[5]

ومنهم الشيخ جبريل بن عمر الذي كان عالما شديد التمسك بالسنة، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وحارب البدع والعادات الجاهلية فأخذ عنه تلميذه الشيخ عثمان بن صالح بن فودي الذي ساءه ما آلت إليه البلاد من قلة العلم وانتشار البدع والخرافات وظلم الأمراء، فأخذ يتبع أثر شيخه جبريل[6]، فبدأ بالترحال بين المدن والقرى يدعوا الناس ويعلمهم دينهم، فدعا إلى إحياء السنة وطرح البدع والمخالفات، فوقف أمام سلاطين الهوسا وأنكر عليهم انحرافهم عن الدين وظلمهم للرعية، وبهذا كله التف حوله الناس وقبلوا دعوته وأخذوها بقوة، وكان أشد الأمراء عداوة لدعوة الشيخ سلطان غوبر الذي يدعى (يُنفى) فدارت مناوشات وحروب انتهت إلى النصر

---

[1] - Réne Otagek :op.cit,p 123

[2] - وهم علماء كثرة دخلوا هذه القبيلة كما أشرت في الفصل الأول ص42.

[3] - . Réné Otagek :op cit,p129

[4] - عثمان برايماباري :المرجع السابق، ص 94.

[5] - أحمد محمد كاني المصدر السابق، ص41.

[6] - محمد بيلو : المصدر السابق، ص77

المبين لجماعة الشيخ، وأخذت إمارة الهوسا تسقط شيئا فشيئا، إلى أن أقام الشيخ عثمان عام 1228هـ، 1812م- دولة إسلامية قوية هي الوحيدة على نمطها في القارة الإفريقية، فدخل تحت طاعته كل إمارات الهوسا وبعض ممالك برنو وإقليم أدماوا.[1]

وكان كلام وقول عثمان كله عن الدين الإسلامي حتى أن جل مؤلفاته كانت مبنية عن الدين الإسلامي، وهذا نموذج عن وثائق إمبراطورية عثمان دان فودي الفلانية الإسلامية كتبت في حوالي 1221هـ، 1806م ، نقلا عن طرخان إمبراطورية الفلانية الإسلامية جاء فيها "... أنه لابد من إتباع قول الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وان كل شخص محاسب على ما يقول به اتجاه الرعية وكل كلام يقوله يرفقه بدليل من الكتاب ومن السنة النبوية الشريفة ...".[2]

ومن خلال هذا المخطوط نلاحظ أن عثمان بن فودي كان يهتم بتطبيق الشريعة الإسلامية على أكمل وجه على حسب ما يمليه عليه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم .

كما ألف الشيخ كتاب آخر أسماه وثيقة الإخوان لتبيين دلالة وجوب إتباع السنة والإجماع، ودليل اجتناب البدعة لمن يدين بدين الإسلام[3] في هذا المخطوط تكلم الشيخ عن وجوب إتباع الكتاب والسنة وأتى بأدلة من الكتاب والسنة، فمن الكتاب جاء في في قوله تعالى "...وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ..."[4] ومن السنة قاله صلى الله عليه وسلم : "إني تركت فيكم واعظين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، ناطق وصامت، فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت ".[5]

كما ألف أخو الشيخ عثمان عبد الله بن فودي كتب كثيرة في العقيدة، وكتاب ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل خير دليل على هذا فقد تكلم فيه عن الطهارة والإمامة والمساجد وعن الصلاة وكل ما يتعلق بأمور الدين الإسلامي، حيث بين فيه كل ما يجب إتباعه كما أملاه علينا الله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم.[6]

---

[1]- عثمان برايما باري :المرجع السابق، ص ص 108-111

[2]- مخطوط ب 3و.

[3]- هذا الكتاب لازال مخطوطا، يحتوي على 41ورقة وجه وظهر، مكتوب باللغة العربية و باللغة الهوسية،

[4]- سورة الأنعام الآية155

[5]- أخرجه ابن الجوزية بستان الواعظين ورياض السامعين، تحقيق أمين البحيري، بيروت مؤسسة المكتبة الثقافية، ط2: 1998م، ج1، ص 147.

[6]- عبد الله بن فودي :المصدر السابق، ص ص 86-93.

وخلاصة القول أخذ الإسلام ينتشر شيئا فشيئا حتى أسلم جل سكان القبائـــل و أصـــبحوا يعملون به ويطبقونه في أعمالهم ومشاريعهم اليومية.

3ـــ السنة النبوية الشريفة:

للسنة النبوية مكانة عظيمة ومنـــزلة عالية رفيعة، فهي المبينة للقرآن الكريم، والمفسرة لجملـــه والمخصصة لعامه، ولذلك أوجب الله تعالى على المسلمين النزول عند محكمه صلى الله عليه وسلم، في كل خلاف فقال تعالى :" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويُسلموا تسليما ".[1]

وجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة لله فقال عز وجل :"من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا "[2]. وحذر من مخالفة أمره صلى الله عليه وســـلم فقـــال تعالى :" فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "[3].

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في أحاديث كثيرة وتكفي في الدلالة على أنّ السنة جزء لا يتجزأ عن الكتاب منها، عن المقدام بن معدي كرب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ".[4]

هذه نبذة وجيزة عن مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي فترى كيف اهتم علماء الهوسا بها، وما هي الكتب التي اعتمدوا عليها؟

لقد اهتم علماء الهوسا بالسنة النبوية إهتماما كبيرا فكان من بين الكتب التي إهتموا بها هي :

3-1: الكتب الستة : نعني بالكتب الستة في الحديث الشريف وهي صحيح البخاري، صـــحيح مسلم، سنن ابن داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، وسنن ابن ماجه.وقد اعتنى بها غير واحد من علماء الهوسا تعلما وتعليما،فمن هؤلاء العلماء :الشيخ –مالم – سايم زاغي، وكان يقال إنه كان

[1]- سورة النساء الآية 80.

[2]- سورة النساء الآية 80.

[3]- سورة النور الآية 63.

[4]- رواه الإمام أحمد (4-136) و أبي داود بسند صحيح ('200/4،رقم 4604)

يحفظ هذه الكتب عن ظهر قلب ويصحح قراءة تلاميذه من حفظه وكان يدرسها في حلقاته العلمية بلغة الهوسا.[1]

كما إهتم الشيخ أبو بكر غومي[2] بترجمة كتاب صحيح البخاري إلى لغة الهوسا، وهذا الكتاب يأتي بالصحة بعد القرآن الكريم إجماعا. ولذلك اهتم به علماء الهوسا وأعطوه عناية كبيرة في نشر هذه الكتاب ونقل معارفه إلى لغة الهوسا.

ويعد الشيخ غومي رائد الدعوة السلفية في بلاد الهوسا وما جاورها فقد كانت دروسه في ترجمة الكتاب إلى لغة الهوسا وثُبت في أكبر إذاعة في شمال نيجيريا[3] فكان لها أكبر أثر في إحياء السنة المحمدية ومحاربة بدع الصوفية التي عمت في ربوع بلاد الهوسا قبل ظهور دعوة الشيخ.

وبدأ مشواره بإلقاء الدروس العلمية في جامع السلطان بللو[4] في شهر رمضان وكانت من بينها دروسٌ في صحيح البخاري بلغة الهوسا، وكان لهذا الدرس أثر كبير في معالجة قضايا دينية كثيرة إلى أفهام العامة، مع ربطها بواقعهم الديني واستنباط أحكام شرعية وآداب مرغبة من خلال أحاديثه والتحذير مما يقع فيه كثير من المسلمين.[5]

3-2:كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام : لما بدأ علم الحديث ينتشر في المجتمع الهوسوي في الآونة الأخيرة عن طريق الطلاب الذين درسوا في البلاد العربية[6] ونهلوا من علم السنة النبوية ما لم يكن لأسلافهم من قبل بدأت بعض الكتب الحديثة المهمة تدرس في الحلقات العلمية من كتاب بلوغ المرام للحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني، المشتمل على أحاديث الأحكام مبينا مؤلفه المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها[7] وهذا الكتاب يعد من الكتب التي نقلت إلى المجتمع الهوساوي وإلى لغة

---

[1]-أحمد محمد كاني:المرجع السابق،ص 55.

[2]- ولد الشيخ غومي سنة 1314هـ، 1924م،في قرية تسمى غومي أحد المراكز التابعة لولاية صوكوتو سابقا و التابعة لولاية زامفرا حاليا .

[3]- إذاعة كادونا الفيدرالية.

[4]- المسجد يقع كادونا في عهد السلطان أحمد بللو أول رئيس وزراء شمال نيجيريا.

[5]- Réné Otage : OP . CIT.P 139.

[6]- مصر المغرب العربي، المملكة السعودية ...

[7]- ابن حجر العسقلاني :بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان،ص ب 14/6366،ط 1: 1420هـ/2000م. ص 06.

الهوسا ذاتها مصطلحات علمية جديدة لم يكن الناس قد ألفوا سماعها من قبل وذلك أنّ العسقلاني كان يحكم على الأحاديث التي يسوقها في هذا الكتاب ولاسيما التي لم تكن في الصحيحين بما يناسب حالها و صحة وضعفا، وكان يستخدم مصطلحات أصول الحديث في بيان ذلك من قبيل مصطلح (المرسل) و(المنكر) و(المعلول) و(الحسن) و(الصحيح)، وكلها مصطلحات تنتمي إلى أصول الحديث، أو ما يعرف ب(مصطلح الحديث)[1]. وهو علم رغب فيه بعض علماء الهوسا[2] وكتبوا فيه .

كانت الحلقات العلمية بشتى صورها تتناول هذا الكتاب بالدراسة ونقل مادته إلى لغة الهوسا، وكان العلماء يسلكون الطريقة التقليدية في نقل المعارف وتدريس العلوم، وهي التي يتلقى فيها التلميذ مادة الكتاب مترجمة إلى لغة الهوسا من شيخه يقرأ عليه جملة ثمّ يسمع منه ترجمتها، ثمّ يقرأ جملة أخرى وينتظر ترجمتها و.. ذلك لأن العادة في الحلقات العلمية آنذاك كانت تخص كل تلميذ بمواده التي يدرسها على شيخه، ولا يجتمع التلاميذ ببعض في سماع مواد مشتركة في آن واحد.[3]

وفي مجال الحديث فقد ألف عثمان بن فودي كتب كثيرة في هذا المجال، ومن خلال ما كتبه، كتاب **إحياء السنة وإخماد البدعة** خير دليل على أنّ علماء الهوسا كانوا يهتمون بإحياء السنة إضافة إلى علماء آخرون اهتموا بهذا المجال، أمثال عبد الله بن فودي, محمد بيلو ومؤلفاتهم كثيرة تبين ذلك.

وفي هذا فقد ذكر عثمان بن فودي في كتاب إحياء السنة أبواب كثيرة وعددها ثلاثة وثلاثون بابا وخصص بابا للكتاب والسنة والإجماع.

فقد عرف السنة لغة واصطلاحا على أنها لغة : الطريقة والعادة وفي الاصطلاح مشتركة بين نوع من العبادات ونوع من الأدلة ففي العبادات النافلة التي واظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم، أو فهم منه الدوام عليها ولو تكرر سببها كصلاة الكسوف وزاد بعضهم وأظهرها في جماعة.

والأدلة عن السنة : ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير. والأدلة على وجوب إتباعها.من الكتاب قال تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه وما

[1]- ابن حجر العسقلاني : المصدر السابق، ص06.

[2]- كالشيخ عبد الله بن فودي له منظومة باسم مصباح الراوي في علم الحديث.

[3]- عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 101.

نهاكم عنه فانتهوا "[1] وبالسنة قوله صلى الله عليه وسلم :"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي غضوا عليهم بالنواجذ والإجماع لانعقاده على ذلك ".[2]

وقال تعالى :" ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا"[3] وفي الحديث "لا تجتمع أمتي على الضلالة عليكم بالسّواد الأعظم ".[4]

ويقول الشيخ عثمان بن فودي، كمن فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه، وإذا تحققت وجوب إتباع الكتاب والسنة والإجماع بما ذكرناه فاتباعها، واذن أعمالك بها في كل عمل ديني أردته إن وافق السنة فتفعله وإلاّ فتتركه ولا خير عند الله في فعل البدعة المحرمة والمكروهة.[5]

وبهذا فكتابه اشتمل على أمور الدين كالتوحيد والطهارة والوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وما إلى ذلك، ثمّ يشير إلى البدع التي أحدثها المسلمون في كل واحدة منها محتجا بما أورده علماء الشرق والغرب في كتبهم، وإذا قرأنا هذا الكتاب فنجد عثمان قد استعان على مصادر مهمة في الحديث وهي، صحيح البخاري، كتاب الشفا للقاضي عياض، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مختصر خليل، ابن اسحاق و الخرشي، شرح خليل والنقاية للسيوطي والمنهج المنتخب والمدخل وعمدة المريد الصادق.[6]

ومن خلال هذا فنلاحظ أنّ الشيخ قد اعتمد على كتب الحديث دليل على أنّ هذه الكتب كانت متواثرة لديهم وكذلك الجهد الذي بذله الشيخ في كتابة كتابه القيم وفي إيصال المعنى إلى العامة من القراء .

وقد كان الشيخ يلقي دروسه إلى تلاميذه يفقههم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، وكانت مجالسته لها آثار كبيرة فقد أسهمت بقسط كبير في نشر حقائق الإسلام ومفاهيمه بالحكمة

[1]- سورة الحشر الآية 07.

[2]- عثمان بن فودي : إحياء السنة وإخماد البدعة، الناشر : الحاج طن أعنى طابير وصكتو، ط سنة 1981م، ص ص 12-13.

[3]- سورة النساء الآية 115

[4]- حديث ضعيف ينظر عون المعبود 7ــ117

[5]- مخطوط، وثيقة الإخوان، للشيخ عثمان بن فودي، ظ5

[6]- عثمان بن فودي، المصدر السابق، ص 17.

والموعظة الحسنة،حتى صار روادها يفهمون عقيدتهم وعبادتهم ويؤدونها على طريقتها الصحيحة وينشرون ذلك في ذويهم، فانتشرت بذلك المعرفة الصحيحة والسلوك القويم.[1]

وتصدت السنة النبوية لكثير من المفاهيم الخاطئة حول العقيدة والشريعة، فأبطلتها، وبينت زيفها ووضحت وجه الحق الذي يجب إتباعه إزاءها.

كما أنها حاربت البدع والعادات السيئة التي هي أقرب إلى الوثنيات منها إلى المباحات، ودعت دعوة حارة لهدمها والتخلق بأخلاق الإسلام، كما أفسحت دروس عثمان من صدرها للمرأة فكان لها نصيبها الذي تعرف به دينها ثمّ هي قد عملت على تنشئة جيل على فهم صحيح لديه وغيره للعمل في سبيله فضلا عما كان لها من أثر كبير في تحول كثير من الناس من الوثنية السائدة إلى الإسلام ومن الجاهلية إلى الدين الصحيح.[2]

وهذا كان منهج الشيخ عثمان في كتابه وفي التدريس فقد حث على وجوب إتباع السنة وإخماد الفتنة السائدة وكان يعتمد على كتب أسلافه في تطبيق الدين وإخراج أهله من الوثنية التي كانت سائدة هناك.

منهج عبد الله بن فودي:

لم يكن هذا الشيخ أقل من أخيه في الكتابة فقد ألف الكثير وحث على وجوب إتباع السنة النبوية فكتاب "**ضياء السياسات و فتاوى النوازل مما هو من فروع الدّين من المسائل** " هو كتاب يشمل على مائتي صفحة بما فيه من المسائل الدينية التي تكلم عليها مثل الصلاة و الصوم .. وكذلك تكلم عن مسائل في السياسة الشرعية باتخاذ تدابير لدرك المفاسد واستنباط أحكام تلائم ما استجد وحدث من الفجور، ومرجعه في ذلك "تبصرة الحكام لابن فرحون".[3]

هذه كانت أمثلة عن بعض علماء الهوسا الذي كان لهم دور بارز في مجال إحياء السنة النبوية و الاهتمام بها.

إضافة إلى هذا فقد اهتم بعض المشايخ في هذا العصر بترجمة كتب السنة إلى لغة الهوسا .

فبجانب إسهامات المؤسسات العلمية في مجال ترجمة كتب السنة والعناية بها بلغة الهوسا فقد كان هناك دور بارز لبعض الأفراد يضاف إلى رصيد اهتمام بلاد الهوسا بالسنة النبوية هو القيام

[1]- الشيخ باي بن عمر : المرجع السابق، ص188.

[2]- المرجع نفسه ص189.

[3]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص46.

بترجمة بعض الكتب المشهورة التي تدرس في الحلقات العلمية وفي الدروس العامة و نقلها إلى لغة الهوسا .منها:

1- ترجمة كتاب (سوق الأمة إلى إتباع السنة) للشيخ عثمان بن فودي :

هو كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث والآثار الواردة في الحث على التمسك بالسنة النبوية، وسلوك هديه في العبادات والمعاملات، ألفه مجدد الإسلام في عصره في بلاد السودان الداعية المعروف عثمان بن فودي، وقد قام بنقل هذا الكتاب إلى لغة الهوسا الشيخ بخاري إمام من ولاية سوكوتو في الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

2ـ ترجمة كتاب الأربعون النووية :

يعد هذا الجزء من أكثر ما اعتنت به الأوساط العلمية في بلاد الهوسا منذ أول أمرها قبل النهضة العلمية التي تشهدها البلاد، فكان أول ما تلقاه التلاميذ من مشايخهم شفهيا، وكان أول من قام بترجمة جزء منها الشيخ غومي إلى لغة الهوسا كجزء من أنشطته العلمية والدعوية التي تعد بداية بزوغ فجر الدعوة السلفية .[2]

فقد سلك الشيخ المنهج المعتاد في الترجمة فجعل الكتاب في عمودين موازنين واضعا النص العربي في العمود الأيمن والترجمة في العمود الأيسر موازية تماما لنص الحديث، وقد اتسمت ترجمته بالدقة والجودة وسلامة اللغة وجزالة العبارة لا يشوب أساليبها غموض ولا التواء :

لفظ الحديث باللغة العربية	ترجمة الحديث بلغة الهوسا
الحديث 2حديث جبريل عليه السلام	MTALAUTA
الحديث22 حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه:...فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً"	Domin talle wanda duk ya rayu dega cikinku to zaiga sabani mai yawa
الحديث 35،حديث أبي هريرة رضي الله عنه	Kuma kada ku bawa juna baya
الحديث 40 حديث ابن عمررضي الله عنه	Kuma kayi aiki lokacin rayuwarka saboda mutuwarga

[1]- محمد ثاني عمر موسى : الإهتمام بالسنة النبوية بلغة الهوسا، ص15.

[2]- محمد ثاني عمر موسى :الاهتمام بالسنة النبوية بلغة الهوسا،ص 15

الحديث 7 حديث أبي رقية تميم بن أوس الدّاري "...قلنا :لمن "	Muka ce « Ga wa ? »
الحديث 32، حديث أبي سعيد الخدري :" وله طرق يقوي بعضها بعضا"	Kuna ski hadisin yana da hayoyin daban –daban sashisu yana karfafar sashi
الحديث 38، حديث أبي هريرة ترجمة قوله تعالى :"فقد آذنته بالحرب "	Hakika na yi masa shelar fitowa ya yi yaki (da ni)
في الحديث 42:حديث أنس رضي الله عنه ترجمة قوله تعالى "على ما كان منك" أي مع ما كان منك من تكرار معصيتك كما أفاده ابن دقيق العيد وغيره.	Zan gafarta maka duk da irin laifinka kuma ban damu ba.
الحديث 16 حديث أبي هريرة رضي الله عنه :"يا نبي الله قل لي قولا أنتفع به وأقلل لعلي أعقله ؟ فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب) فعاوده مرارا يسأله عن ذلك يقول نبي الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب)	Sai (mai tanbaya)ya manata sau da yawa shi kuma yana ce masa « kada kayi hushi »
الحديث 32 حديث أبي سعيد الخدري رصي الله عنه حيث جاء فيه قول المؤلف رواه ابن ماجه و الدارقطني وغيرهما مسندا رواه مالك في الموطأ مرسلا فترجم الشيخ لفظ مسندا ولفظ مرسلا ثم عند ما لم تفهم هذه الترجمة قابل في ترجمته لمسندا معنى هذا اللفظ بدون ذكر صحابي الحديث يعني مرسلا	مسندا– doge مرسلا– sake مسندا– da cikakken isnadi ومعناها بإسنادا كاملا Ba tare da ambaton sahabin hadisin ba
الحديث 35 حديث أبي هريرة رضي الله عنه	Wa juna hassada
اسم الدارقطني	ad – dara kudni

وهكذا فقد اهتم علماء الهوسا بالسنة النبوية اهتماما كبيرا، بحيث أصبحوا يتدارسونها في مجالسهم، فألفوا كتبا يحثون فيها على وجوب إتباع السنة، كما فعل ذلك الشيخ عثمان بن فودي، ونتيجة لهذا العمل قاموا بترجمة كتب الحديث النبوي الشريف من اللغة العربية إلى لغة الهوسا كي يدرسها يفهمها الجميع وترسخ في أذهانهم .

هذه كانت جزء من العلوم التي اهتم بها علماء الهوسا وعملوا على إيصال رسالتهم إلى الجميع لإخراج الناس من المعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع الهوسي.

إلى جانب هذه العلوم، فقد اهتم علما الهوسا بعلم الأدب والتاريخ .و قبل ذلك فهذه ترجمة لبعض علماء الذين برزوا في الجانب الفقهي.

4- علماء قبيلة الهوسا:

لقد شجعت قبيلة الهوسا العلماء وذلك بفضل ما وصلت إليه من مكانة علمية، إضافة إلى المراكز العلمية التي ظهرت فيها كل هذا أعطاها قوة ومكانة مما أدى هذا إلى ظهور علماء كان لهم الدور البارز في تحريك عجلة القوة العلمية ومن بين العلماء الذي كان لهم الفضل هي عائلة آل فودي، عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي

4-1: عثمان بن فودي :

بعدما أن انتشر الإسلام في قبائل الهوسا السبع كثر وفود العلماء إليها للدعوة ونشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية في الإمارات وما حولها من المناطق الأخرى، ونجحوا في القضاء على الوثنية التي كانت منتشرة بين السكان قبل دخولهم في الإسلام، ويعد الشيخ عثمان بن فودي أحد العلماء الذي كان له سيت في هذه القبائل، وتعد حركته من بين الحركات الإصلاحية التي نمت، وأدت إلى قيام دولة إسلامية على امتداد ما يقارب القرن من الزمن بين بدايات القرن 12هـ- 19م وبدايات القرن 20م.

1- النشأة والتكوين:

ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جبٍّ بن محمد بن ثنب بن أيوب بن ماسران بن يوب باب بن جكّل الملقب بابن فودي[1]

[1]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 59.

وتعني كلمة فودي بلغة الفولانيين الفقيه، العالم، وهو اللقب الذي يطلق على والده الذي ناله بالتدريب و العلم[1]، ولد الشيخ على الأرجح يوم الأحد صفر عام 1168هـالموافق 15ديسمبر 1754،[2] في قرية تغل(طفل) بمنطقة غوبر إحدى مناطق الهوسا[3]، وقد أنشأ الشيخ عثمان بن فودي في بيئة علمية توارت العلم كابرا عن كابر منذ القرن8 15م [4] بعدما أن أسلم أجداده وتفقه أبوه في الدين واشتغل بالعلم، واشتغل به بيته كله: زوجته وبناته وأولاده.[5]

وقد هاجرت قبيلة الشيخ عثمان إلى بلاد الهوسا بعدما كان موطنها الأول في منطقة فوتاتور* ثم انطلقت في ركاب المهاجرين حتى دخلت سهول نيجيريا، حوالي القرن 15م بقيادة الشيخ موسى جكل الجد الأكبر للشيخ عثمان بن فودي[6]، إذ تقول بعض الروايات الشفهية المتواثرة :" إنّ الصراع حول السلطة في مناطق فوتاتورو وفوتا جالو، هو الذي أجبر مجموعات كثيرة من قبائل الفولانيين على الهجرة إلى الشرق بحثا عن المراعي وعن أوضاع سياسية أفضل.[7]

نشأ الشيخ نشأة دينية خالصة، إذ ترعرع في بيئة متدينة، فأولع بالعبادة والذكر، ثم بدأ يخطوا خطواته الأولى في طريق العلم والثقافة، فتلقى دروسه الأولى على يد أبيه محمد فودي وأمه حواء وجدته رقية[8] وبدأ حياته العلمية كغيره من طلاب العلم في ذلك الوقت بحفظ القرآن الكريم، وثم له ذلك مع والده[9]، ودرس اللغة العربية وحفظ متون الأحاديث، وقد ساعده في ذلك والده في تنمية ملكة التعمق قي العلوم الدينية لما رأى فيه من حبه للدين وخدمته.[10]

---

[1]- علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص 63.

[2]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 127، وعلي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص 63.

[3]- الإمام المجاهد عثمان بن فودي الفلاني أحد أعظم أمراء بإفريقيا المسلمين، 853-93k= = www.tkroni.com/vb/showthread.php?t =

[4]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 59.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 221.

*- تقع على نهر السنغال.

[6]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 59.

[7]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 127.

[8]- حسن أحمد محمد، المرجع السابق، ص 221.

[9]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 127.

[10]- الإمام المجاهد عثمان بن فودي، الموقعة.www.islamonlin.com , mat /27039

ودرس الإعراب وجميع علوم النحو على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمدا أو حمداء وسمع الفقه من محمد تبو بن عبد الله .

ومن هنا يظهر لنا بأن الشيخ قد تجول من عالم إلى آخر في سبيل طلب العلم كعادة الطلاب في ذلك الزمان، إذ أن منهجهم كان يعتمد أساسا على شيخ متبحر في علم من العلوم لتدريسهم فنا أو كتابا معينا، وبعد إجازتهم في ذلك العلم أو الكتاب يذهبون إلى عالم متطلع في فن من الفنون أو متمكن من كتاب في أحد الفروع لينهلوا من معينه .

ولا تقف عملية الأخذ في سن معينة أو لدى علم معين فهي عملية مستمرة يستوعب فيها الطلاب عشرات أو مئات المؤلفات ويستوعبون فيها فنون شتى على مراحل متقاربة أو متباعدة، وقد يقطع الطالب دراسته في سن معينة ويعود إليها في سن متأخرة .

وعلى هذا المنوال قرأ عثمان بن فودي مختصر خليل على عمه وخاله عثمان بن الأمين بن عثمان الملقب ببدور (Bedoor)، ولم يشتهر هذا الشيخ فقط بإتقانه لكتاب المختصر بل اشتهر أيضا بتقواه وصلاحه ودعوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد اقتدى عثمان بهذا الشيخ ولازمه مدة سنتين واتصف بطبائعه الحميدة، وبعد ذلك انتقل الشيخ عثمان إلى خاله ثنب بن الشيخ عبد الله الذي اشتهر بعلمه وحفظه لأغلب العلوم التي قرأها، وكان يصحح العلماء عند تدريسهم لعلم من العلوم من غير الرجوع إلى كتاب وكان له شرح الخراشي. وقد ذهب الشيخ محمد ثنب إلى الحرمين لأداء فريضة الحج وبقي مدة عشر سنوات فيها وعند رجوعه مات في طريق عودته لبلاده مدينة أغدس.[1]

ومن بين الشيوخ الذي تأثر بهم علما وفكرا الشيخ جبريل بن عمر الذي صاحبه عثمان بن فودي حضرا و سفرا لمدة عام كامل، تزود في خلالها علمه وتقواه وتصوره الإسلامي للحياة[2]. للحياة[2]. وذلك بعدما أن رحل الشيخ جبريل إلى الحج واتصل بكبار العلماء في الحرمين الشريفين، ولما عزم الشيخ جبريل السفر للحج مرة ثانية صاحبه تلميذه إلى أغادس وأراد أن

[1]- أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص61,

[2]– أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 62.

يرافقه في رحلته ولكن الشيخ جبريل أمر تلميذه بالعودة إلى أهله لأن والـــده لم يـــأذن لـــه بالسفر.[1]

هذا ما جعل الشيخ عثمان يكتب قصيدته المشهورة وهي من بين مؤلفاته، ويقول فيها:

هل لي مســـير نحـــو طيبـــة مســـرعا لأزور قـــــبر الهـــــاشمي محـــــد
غـــدوت منـــه الـــدموع مزيـــدا شـــوقا إلى هـــذا الـــنبي محمـــد
أحـــــي المصـــــاب بشـــــوقه مـــالي مســـرور دون زورة ســـيد
شمس الضحى، تاج العلى،محمد الندى لا خـــير إلا في إتبـــاع محمـــد

وبهذا يكون الشيخ عثمان قد تأثر بشيخه كثيرا، إذ أقر بذلك بقوله: إنه أول من قـــام بهـــذه العادات و التقاليد في بلادنا السودان، وكان كمال ذلك ببركة الله على أيدينا، ونحن بالنسبة إلى مقامه نسبة الضالع من الضليع. ثم يضيف قوله ببيت شعري يقول فيه:

إن قيل في بحسن الظن ما قيلا ** فموجة أنا من أمواج جبريلا[2]

وأخذ الشيخ عثمان دروسه التفسيرية من ابن خاله احمد بن محمد بن الأمين، وحضر مجلـــس هاشم الزنفري، وسمع منه تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره .

ومن هذا كله نستنتج بان الشيخ نشأ نشأة علمية خالصة إذ قرأ شتى العلوم على مشايخ كبار، ومن هنا فقد تكوّن علميا في العلوم التي درسها، ومن خلال هذا نستطيع أن نقسم حياة الشـــيخ عثمان إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : هي المرحلة التكوينية أي مرحلة الدعوة وتبدأ هذه المرحلة مـــن 1177مـــــ ـــ1218هـــ.1775/1774م ـــ 1803م /

المرحلة الثانية : وهي مرحلة الجهاد وإنشاء الدولة الإسلامية، تبدأ من ســـنة 1218هـــــ ـــ1225هـــ.1803م ـــ 1810/

[1]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 128. وتقول بعض الرواية بأن الشيخ قد حج مع أبيه مدة طويلة وهناك كون نفسه و تأثر بدعوة الشيخ عبد الوهاب ثم عاد من سفره .حسن ابراهيم حسن / المرجع السابق، ص119.وأحمد شلبي، المرجع السابق، ص 225

[2]- محمد بيلو : المصدر السابق، ص80.

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة توطيد ركائز الدولة الإسلامية الجديدة و تبدأ من سنة 1225هـ ـ 1233هـ- 1810م ـ 1817، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ عثمان.

المرحلة الأولى : 1177 ـ 1218هـ - 5/1774 ـ 1803م

في وسط ظروف تسودها الأفكار والعادات، بدأ الشيخ عمله الشاق والصعب في الدعوة إلى الله، و تصحيح العقائد وهدم البدع وإقامة السنن عن طريق الوعظ التعليمي في سبيل نشر دعوته.[1]

إذ بدأ حياته كمعلم وداعية للإسلام في قرية طفل من أعمال ولاية غوبر، من تلك المنطقة بدأ صيته يذيع، ونوره يشع كعالم من كبار العلماء الذين خرجتهم المدارس العلمية في البلاد الهوسية والسودانية، وقد زاره طلبة العلم من كل صوب و حدب،كما زاره العلماء من شتى البقاع ممتحنة علمه وصدق نواياه.[2]

وبهذا العمل استطاع أن يحرر شعبه من الأفكار السائدة بينهم وينور طريقهم إذ كان يحكم المجتمع مجموعة من الملوك والأمراء الذين يتطاحنون على حق السيادة ويتنازعون على الأرض والأرزاق واستعباد الناس، فقد عرفت لإفريقيا جنوب الصحراء عصرا من عصور الملكية المطلقة، وأدى بحياة الكثير من أبنائها، وضمن سيادة الأفكار القبلية التي لا مجال معها للوحدة بين القبائل دون توقف مع ما يرافق من سيادة للعقلية الحربية التي تضع شرائح كبيرة من المجتمع في دائرة الاستضعاف، إضافة إلى أن الوضع القبلي هذا لم يستطع أن يفرز حالة وحدوية تستطيع أن توحد منطقة بكاملها تحت راية واحدة ولغة واحدة وأهداف واحدة، وبالتالي إنتاج حالة أكثر تقدما مما كان موجودا سابقا، وكان هؤلاء الملوك على ديانات وثنية متخلفة.[3]

فمن العادات التي كانت سائدة على سبيل المثال أنه كان لهؤلاء الملوك والسلاطين أماكن خاصة يؤمنون بضرورة تقديم الأضاحي لها مثل الغابات والصخور الكبيرة والبحر وكانت هذه الأضاحي دائما من الصنف البشري، وكانو يؤمنون بأن هذه العادات هي مبعث قوتهم فإذا أبطلوها ضعفت شوكتهم و قلت أرزاقهم، كما كانوا يؤمنون بأن الحكم السياسي هو استمرار لإدارة الأسلاف الذين يستمرون على تواصل مع الملك الذي يستمدون في فرض

[1]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 67.

[2]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 08.

[3]- Réné Otagek op.cit,p 134

إدارته على الناس من خلال إدعائه الاتصال مع هؤلاء الأسلاف . الأمر الذي يبرر حكما مطلقا لا مجال للانفلات منه.

رغم أن الإسلام كان قد بدأ يتغلغل في المنطقة منذ عدة مئات من السنين[1]، فإنه كان تغلغلا بطيئا وسلميا،حيث برز نوع من وُعّاظ السلاطين الذين يستعملون الإسلام للدعاء للسلاطين وتبرير تصرفاتهم والاكتفاء بلعب الدور الذي كان يقوم به السحرة والمشعوذون قبل الإسلام، لكن بشكل يبدو ذو طابع إسلامي من ناحية ممارسة بعض العبادات وقراءة القرآن الكريم وتقبل العطاءات باعتبار ذلك وسيلة لبلوغ الحوائج.[2]

وفي هذه الظروف بدأ الشيخ عثمان بن فودي عمله، وأخذ على عاتقه مهمة تحرير شعبه من سيادة الأفكار الجاهلية المختلفة، ومن سيطرة السلاطين الجبارين.

كما يقول الشيخ محمد بيلو[3] في كتابه يروي لنا كيف كان أبوه، وحبه للدعوة منذ صغره، يقول :" واعلم أن هذا الشيخ، بشر به أولياء الله قبل ظهوره فمن ذلك ما تقدم عن الشيخ والد عمر،والشيخ طاهر، ومن ذلك ما روى إلتقات عن أم هانىء الصالحة الولية الفلانية، أنها قالت يظهر في هذا القطر السوداني ولي من أولياء من أولياء الله يجدد الدين ويحي السنة ويقيم الملة،ويتبعه الموفقون، ويشتهر في الأفاق ذكره، ويقتدي العام والخاص بأمره، ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة، ومن علامتهم أنهم يعتنون برعي البقر مثل عادة الفولانيين، ومن أدرك ذلك الزمان فليتبعه، والحاصل أنه قد تفرس فيه أولياء الله كثيراُ وأخبروا بشأنه وأمره، قبل ظهوره وحين ظهر.

واعلم أنه نشأ منذ صغره في الدعوة إلى الله، وقد أمره الله تعالى بأنوار الفيض وجذبه إلى حضرته، وكشف له عن حضرة الأفعال والأسماء والصفات، وأشهده غرائب الذات، فصار

[1]- الفصل الأول ص29.

[2]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص68.

[3]- محمد بيلو، المصدر السابق، ص 81.

بحمد الله من أولياء الله تعالى يكرع[1] من كاسات القرب[2] ويكتسي من حلل العرفان والحب، والحب، وقلده الحق تعالى تاج العناية والهداية، وأهله للدعوة إليه وإرشاد العامة و الخاصة".[3]

ويضيف و يقول :" وأخبرني أنه حين حصل له الجدب الإلهي ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كان يواظب عليها من غير ملل ولا كلل، ولا فترة أمده الله بفيض من الأنوار بواسطة الشيخ عبد القادر الجيلي[4] وجده الرسول صلى الله عليه وسلم، فشاهد من من عجائب الملكوت وحصل على غرائب الجبروت،وشاهد أسرار الأفعال والأسماء والصفات والذات، ووقف على اللوح المحفوظ، وكساه الحق تعالى حلة الدعوة إليه وتوجه بتاج الهداية والإرشاد إليه، فجعل يدعوا على الله ويدل عليه و يكابد ما هو المعهود من أخلاق الناس ومن الجفاء والإنكار والاستهزاء، و لم يزل يجتهد ويحدثهم بقدر عقولهم ويلاطفهم وقد لقي من جفائهم مالا يستطيع أن يصفه الواصف، حتى أتاح الله تعالى له أن صمد إليه الموفقون،واستمع إليه نفر من المؤمنين، فجعل يقرر للناس الحق و يبين لهم الطريق، وقد وجد في هذه البلاد من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمورا فظيعة وأحوالا شنيعة طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه وتعبد إلا النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد ويحسن الوضوء والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات، فمنهم كفار يعبدون الأشجار والجن، ويصرحون على أنفسهم بالكفر ولا يصلون ولا يصومون ولا يزكون، ويسبون الله ويقولون في حقه مالا يليق بجنابه الأعلى وهؤلاء غالب عامة السودانيين الذين يقال لهم ماغاداوا وبعض عتاة الفلانيين والتوارك.

ومنهم قوم يقرون بكلمة ويصلون ويصومون و يزكون من غير استكمال شروط هذه العمال بأعمال الكفر الذي ورثوه من آبائهم وأجدادهم وبعضهم من قبل نفسه[5]، وعلى هؤلاء هؤلاء يحمل قول الشيخ جبريل بن عمر في قصيدة جاء فيها:

وبعد فاعلم أنّ ذا تبصرة للناس في السودان بل تذكرة

---

[1]- يكرع :كرع الماء، يكرع كروعا وكرعا، تناله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناءه، أنظر لسان العرب،

[2]- يعني هنا القرب .

[3]- محمد بيلو المصدر السابق، ص 81.

[4]- هو أبو صالح بن عبد القادر الجيلي بن موسى بن عبد الله بن يحي و لد سنة 470هـ 1077-1078م و توفي سنة 561هـ، 1165- 1166م، ودفن ببغداد، أنظر الزركلي: المصدر السابق،ص 82.

[5]- محمد بيلو، المصدر السابق 82.

فـــلا تـــرى منـــهم ســـوى مـــن يـــدعي إســـلامه بفيـــه[1] الموســـع
مســـتترا بالصـــوم والصـــلاة عـــن[2] قدحـــه بـــأقبح الأعـــنـــات
فهـــو حقـــا كـــافر صريـــح[3] لأنـــه مـــحـــرّم مـــبـــيـــح
في الخـــوض دائـــم ومســـتمر في عقيـــدة خالفهـــا الجمـــع الـــوافي
عـــمّ عـــن الحـــديث والكتـــاب ومـــاله قـــال ذوو الألـــبـــاب
راض بحكـــم الجاهليـــة الـــتي أزالهـــا الله بوضـــع الشـــرعـــة
خـــيرا أفكـــار صـــغار العـــلم فحكّمـــوا إسلامـــهم بالوهـــم
مـــا بينـــهم وبـــين أهـــل الشـــرق تفرقـــة لاحـــت لأهـــل الحـــق
وذاك يســـتبين بالظواهـــر يدركـــه فيـــهم ذوو البـــصـــائر
يـــذرك بـــالخبرة و التجربـــة بأفعـــل تـــظهـــر للأبـــصـــرة
مـــا لم يكـــن يفعلـــه إلاّ إذا كفـــر أنـــه بالإجـــمـــاع يـــحتـــذى
فمـــن أتـــاه كـــافر كـــذا مرتـــد فذاك كـــفـــران بواحـــد أحـــد[4]

وغالب ملوك هذه البلاد وجنودهم وأطبائهم وعلمائهم من هذا القبيل، ومنهم قوم يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ويزكون ومن غير إستكمال شروط، كما مر،مع أنهم مقيمـــون على عوائد رديئة وبدع شيطانية، ومنهم منهمكون في المعاصي الجاهلية كثيرة، متأنسين بهـــا، جارين فيها مجرى المباحات، حتى كأنها لم يرد فيها نهي، وهي خصال كثيرة أقـــاموا عليهـــا، وهؤلاء أكثر عامة الفولانيين وبعض مسلمي السودان، ومنهم قوم مؤمنون عارفون بالتوحيـــد كما ينبغي محسنون بالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة عاملين بذلك كمـــا ينبغـــي وهؤلاء النذر القليل.

ولما قام الشيخ يدعوا إلى الله و ينصح العباد في دين الله، ويهدم تلك العوائـــد الرديئـــة، ويخمد البدع الشيطانية، ويحمي السنة المحمدية و يعلم الناس فروض الأعيان ويدلهم على الله

[1]- بفيه :فمه بعلمه.
[2]- عن : تصحيح :على
[3]- صريح : صحيح.
[4]- محمد بلو، المصدر السابق، 83

و يرشدهم إلى طاعته، ويكشف لهم ظلم الجهالات ويزيل لهم الإشكالات، فسارع إليه الموفقون أفواجا أفواجا وهو يقرر لهم الطريق و يبن لهم الحق.[1]

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن فودي عن أخيه عثمان:

عثمان من قد جاءنا في ظلمه فأزاح عنّا كلّ أسود دُجدج
فدعا إلى دين الإله و لم يخف في ذلك لومة لائم أو فجفج
فانصات خلق حين صات لصوته وعلا له صيت فويق الأبرج
بشرى لأمة أحمد ببلاد السو دان في هذا الزمان المبهج
كم سنة أحييتها وظلالة أخمدت جمرا دكا بتأجج
وطلعت في أرض عوائدها عدت وتخالفت سنن النبي الأبهج
استعظمتها أهلها فاستأسدت وصدت دوين الدّين باب الولج
فاستنسرت بغثائها وتنمرت جردانها ترمي بنصل سلمج
من أراد دين الله يمحو عزها فقمعتها قمع القوي الأعوج
فقصمتها بالبيض من آياته وأسنة سنن النبي الأدعج
صلى الإله عليه ماهز الصبّا عذ بات غصن في الرياض خربرج
ولكل فرعون طغى موسى سطا وقضية عاصت علي تنفج
فابيض وجه الدين بعد محاقه واسود وجه الكفر بعد تبلج
و الدين في عز و نهج منهج والكفر في ذل ونهج منهج
فالسنة الغراء صبح ينجلي وبالدعة السوداء ليل مدبج
طمست معالمها وأخلق ثوبها والدين في درع يمس مدبج
وتفجرت للدين من بركاته عين الحياة تذل ماء الحشرج
فجرى مدانب للمشارب أفهقت ماء يقول صفاؤه هل من يج
حتى تبرج مثل بدر طالع بليال صحو أو صباح مبلج

[1]- محمد بيلو، المصدر السابق، ص 84.

ولما بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ووفد إليه نفر كثير لم يبق في مكان واحد، و لم يبقى يدعوا في بلدته التي بدأ منها الدعوة، بل كان يتجول من فترة لأخرى في أمكنة عديدة من بينها بلاد زنفرة، وبلاد كب، ومن خلال هذا التجوال يظهر لنا أن جل الأماكن التي كان يسافر إليها هي بلاد هوسوية، لينشر فيها الدين الإسلامي ويزيل عن أناسها الغشاوة التي كانت فيهم، إذ دعا الناس إلى إصلاح الإيمان والإسلام والإحسان وترك العادات الناقضة لها، فدخل كثير منهم تحت دعوته وتبعوه إلى وطنه لما عاد إليه. أفواجا يستمعون إلى مواعظه، وبهذا يكون قد تم الله له القبول.[1]

واتخد من بلدة دغل (degle) نقطة انطلاق ينطلق منها إلى أماكن كثيرة، وبعدها يعود قافلا على نقطة انطلاقه للاستمرار في الدعوة، وكان يساعده في ذلك بعض من الحواريين وتلامذته المخلصين الذين لازموه حضرا وسفرا وتلقوا على يديه العلم ونهلوا معين تقواه.[2]

وفي هذا يقول تلميذه وأخوه عبد الله بن فودي الذي لم يفارقه منذ أن كان يافعا إلى أن يقارب الخمسين من عمره :" ثم قمنا مع الشيخ نعينه على تبليغ الدين يسير لذلك شرقا وغربا يدعوا الناس إلى دين الله بوعظه وقصائد عجمية، ويهدم العوائد المخالفة للشرع فيأتي إليه بعض الناس من الآفاق ويدخلون في جماعته ونحن في بلده الذي اشتهر به ونسب إليه وهو طفل أو دغل."

ويضيف ويقول :"لم تكن دعوة الشيخ عثمان بن فودي مقبولة لدى الجميع، بل لقي الشيخ ـــ منذ البداية ـــ جفاء وعداوة من علماء زمانه المعاصرين ولكن الله نصره عليهم وأيده بطائفة من العلماء المهتدين، فصدقوه ونصروه، وتقتصر هذه العداوة على بعض علماء السوء من أهل زمانه، وامتدت لتشمل أهل الجاه والسلطان الذين فاقوا دعوته على عروشهم، خاصة بعد أن ذاع صيت الشيخ وكثر أتباعه من كل مكان من البلاد الهوسوية والسودانية."[3]

[1]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 08.

[2]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 67، و عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 130.

[3]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 08.

ولما قويت شوكة جماعة الشيخ بن فودي بدأ حكام إمارة غوبير التـــودد إليـــه بغـــرض إسكاته، ولكن في كل مرة كان يلتقي بهم، يدعوهم للإسلام وترك العادات السيئة وإقامـــة العدل.[1]

ففي شهر ذي الحجة سنة 1202هـــ، 1788م، استدعى سلطان غوبير (باوا) علمـــاء بلاده، وكان من بينهم الشيخ عثمان بن فودي، للاجتماع به بمناسبة عيد الأضحى، ولمـــا اجتمعوا به في مكان يدعى(مغمي) حاول السلطان إرضاء الشيخ عثمان بإعطائه 500مثقال من الذهب كمكرمة له، لكن الشيخ عثمان رفض تلك الهدية، وطلب من السلطان بـــدلا منها خمسة أشياء وهي :

1-أن يسمح له بالحرية و التجول في البلاد للدعوة في سبيل الله.

2-ألا يعترض سبيل أي شخص يريد الإستجابة لدعوة الشيخ.

3-أن يوقر كل عالم يلبس العمامة.

4-أن يطلق سراح المسجونين السياسيين.

5-أن لا تفرض ضرائب باهضة على الرعية.[2]

فقبل السلطان بهذه المطالب مرغما، وكان هذا الموقف نقطة انطلاق لدعوة الشيخ عثمان واعتـــبر أول انتصار سياسي على حكام بلاد الهوسا.

ومن خلال ذلك يتضح لنا أنّ أهداف الجماعة ليست قاصرة على نصح الحكـــام وإصـــلاح السلبيات الاجتماعية فقط.بل أيضا إقامة دولة إسلامية على انقاض دولة الكفر عن طريق الجهاد.

وبعد وفاة باوا سنة 1209هـــ، 1794م،تسلم زمام الأمور (نافاتا) الذي لم يخف عداوتـــه للجماعة والذي عزم على نهاية حاسمة للدعوة الإسلامية في بلاد الهوسا، فأصدر هـــذا الســـلطان مرسوما بثلاثة أمور:

1-ألا يسمح لأي شخص باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن آبائه وأجداده.

2-ألا يسمح لأحد بأي حال من الأحوال بلبس العمامة ولا تضرب امرأة بخمارهـــا على جيبها.

[1]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 135.

[2]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 76.

3-يمنع العلماء من الدعوة إلى الإسلام ما عدا الشيخ عثمان بن فودي.[1]

وبهذا يكون السلطان قد عارض كل الاتفاقات التي كان متفقا عليها مع السلطان باوا، معلنا العداوة على الشيخ وتكون قد اشتدت بينهما إلى درجة أن السلطان نافاتا حاول قتل الشيخ عثمان، ولكن شاءت إرادة الله أن تفشل بموت السلطان المفاجأ بعد فترة وجيزة من إصداره للمرسوم، وخلفه ابنه يونفا1223هـ، 1270هـ 1808-، 1853م ـ ، الذي واصل العداء للدعوة الإسلامية و الجماعة المسلمين، وهجم على أموالهم وأعراضهم، وقتل عدد كبير من الفقهاء و القراء وأمر جنوده بحرق المصاحف والكتب والألواح.[2]

ولما رأى الشيخ عثمان أنّ حرمة الإسلام والمسلمين قد انتهكت، أصدر وثيقة لأهل السودان التي صارت أساس الجهاد، حيث حدد الشيخ المبررات التي من أجلها أعلن الحرب على حكام غوبير، كما أوضح لزوم الهجرة من بلاد الكفار وضرورة قتل الطغاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستجاب الناس لنداء الشيخ عثمان وهبّوا لنصرة الإسلام.[3]

وبهذا تكون قد انتهت المرحلة الأولى بإعلانه الجهاد، وتبدأ المرحلة الثانية.

2ـ المرحلة الثانية: مرحلة الجهاد وإنشاء الدولة الإسلامية.

لما اشتدت وطأة حكام إمارة غوبير على الجماعة الإسلامية ، اتفقت هذه الجماعة على تنصيب الشيخ عثمان أمير المؤمنين، ويعتبر ذلك التنصيب تغييرا كبيرا في التركيبة الاجتماعية والنفسية والسياسية للجماعة، وكان ذلك إعلانا لقيام أول دولة إسلامية في بلاد الهوسا سنة 1219هـ، 1804م- في إقليم سوكتو، وبهذا أعلن الشيخ وجماعته الجهاد المفتوح ضد الأنظمة الملكية القائمة في كافة بلاد الهوسا، ومن الواضح أنّ هدفه المباشر هو استئصال القيادات الملكية الظالمة، وبناء مجتمع إسلامي نزيه ينقاد للشريعة الإسلامية، وبهذه الأهداف حظي الشيخ وجماعته بتأييد شعبي

[1]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 137.

[2]- محمد بيلو، المصدر السابق، ص145.

[3]- عبده البدوي:شخصيات إفريقية، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، دار الوفاء للمطبوعات، ب ط، ص38.

منقطع.[1] وطرح الشيخ آراءه حول النظم السائدة في بلاد الهوسا في كتابه:" مسائل مهمة يحتاج إلى معرفتها أهل السودان، في أربعة عشرة مسألة تتعلق بوجوب البيعة للإمام، ذلك بأنه لا يجوز للمسلمين أن يتركوا هملا من غير إمام، ومن ضمن المسائل التي ناقشها الكتاب حكم الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، وكذلك ناقش الشيخ في الكتاب مسألتا معاملة الحكام الطغاة، وحكم التودد إلى أبناء الدنيا من الظلمة،" أن العالم ينبغي أن يكون الناس على بابه لا أن يكون على أبوابهم ولا حجة له في إرادته بذلك دفع شيء يخشاه، أو يرجوا أن يكون ذلك شيئا لقضاء حوائج المسلمين من جلب النفع ودفع الضر عنهم..."[2]

و من خلال هذا يتضح لنا أن الشيخ عثمان كان يهيء جماعته للجهاد عندما وصف الحكام بالطغاة، وكان طبيعيا أن تكون أول مرحلة للجهاد الابتعاد عن التعامل مع الحكام وأهل السطوة، هذا يقلل من قدر العلماء ويحط من مكانتهم أمام أعين الناس، وكذلك فإنّ زيارتهم وشفاعتهم للناس مع الحكام سيجعلهم أداة في أيدي الحكام يستخدمونهم كيفما شاءوا لتبرير طغيانهم وتمكين قبضتهم على المستضعفين من الرجال والنساء.

وقبل إعلان الجهاد في سنة 1219هـ ، 1804م،، أرسل الشيخ عثمان رسالة إلى الناس بعنوان وثيقة من ابن فودي أمير المؤمنين إلى جميع أهل السودان داعيا فيها جميع الناس للدخول في طاعته، ونبذ ما هم فيه من الكفر والبدع والظلم والفجور.

ومما جاء فيها:".. فاعلموا يا إخواني أنّ الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وإنّ النهي عن المنكر واجب إجماعا، وإنّ الهجرة من بلاد الكفر واجبة إجماعا، وإن تأمير المؤمنين واجب إجماعا، وأنّ طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعا، وإنّ تأمير الأمراء في البلاد واجب إجماعا، وإنّ تأمير القضاة واجب إجماعا، وإنّ حكم البلد حكم سلطانه إجماعا إن كان مسلما كان بلد إسلام، وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر وجبت الهجرة منه".[3]

ويبدوا مما جاء في الوثيقة الاتجاه الإسلامي لحركة الشيخ عثمان، وإنها كانت تنتظر الفرصة السامحة للإطاحة بالأنظمة الفاسدة في بلاد الهوسا، وغيرها من البلدان المجاورة.

---

[1]- محمد إبراهيم أبو مسلم : بحوث في تاريخ السودان،(الراضي، الخلافة، العلماء، بربر)دار الجيل، بيروت ط1: 1412هـ، 1992م، ص 96.

[2]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 138.

[3]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص84.

ومن خلال هذا فقد اشتبكت جماعة الشيخ عثمان مع جيش غوبير في موقعة كبيرة،وذلك سنة 1804م، إلا أنه رغم قوة جيش غوبير إلا أن جماعة الشيخ هزمتهم وذلك لأنهم كانوا يمتازون بعمق العقيدة، والهدف الذي من أجله يحاربون ويجاهدون، ومن خلال هذا انظم إليه جماعة من الفلاني الرعويين الرحل والذين لم تكن لهم عقيدة راسخة.

وفي نفس السنة في ديسمبر 1804م، تجمعت قوات غوبير وإنظمت إليها جماعات من الطوارق ودخلوا في معركة ثانية ضد الشيخ و قتلوا منهم، ولكن لعمق عقيدتهم لم تفرقهم الهزيمة، بل تجمع من بقي منهم ودخلوا بلاد زمغارا في أوائل1220هـ،1805م ـ، حيث وجدوا المؤنة والمؤازرة والجو الحسن.[1]

و بهذا فقد واجه عثمان كل الطغاة المعادين له، بإعلانه الجهاد عليهم، وخلال الفترة ما بين سنة 1219هـ، 1224 هـ ، 1804م -1809م ، اتخذ الشيخ عثمان سوكتو عاصمة لدولته الجديدة، وذلك بعد الانتصارات التي حققها ونجاحه في إدخال دول الهوسا تحت سيطرته، وبعد ذلك طلب من الأمراء المسلمين أن يساعدوه على جهاد الكفار، وإلاّ يغتروا بكلام أعداء الإسلام، حتى لا يعمهم الله بالهلاك لسبب ذلك.[2]

وبعد إعلان الجهاد ضد الطغاة، وإنشاءه دولته، تنتهي المرحلة الثانية، وتبدأ المرحلة الثالثة من حياة عثمان بن فودي.

3- المرحلة الثالثة: هي مرحلة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الجديدة، وتبدأ من سنة1225-1232هـ ، 1810-1817م.

تميزت هذه المرحلة بعمل إداري مكثف لإرساء قواعد الدولة الإسلامية الجديدة، فقد واجه الشيخ مشاكل معقدة في الميادين الاجتماعية والسياسية والإدارية، ومن بين تلك المشكلات، كيفية تسيير الأمور اليومية، وتنسيق الأعمال بين الإمارات المختلفة، خاصة الإمارات التي لم تسبق لها أي خبرة إدارية في الماضي. والعلاقة بين سوكتو وبعض المجموعات التي بايعت الشيخ عثمان

[1] - أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1401هـ، 1981م، ص207.

[2] -J.D.Fage : A history of west Africa an Introductory survey, the fourth edition of « an Introduction to the history of west Africa » Cambridge at the university press1969,p 147

على السمع والطاعة مع الاحتفاظ بكيانها الخاص كمجموعات الطوائف التي أقرها الشيخ على الحكم الذاتي تحت ظل الخلافة السوكتية.[1]

لقد تبلورت آراء الشيخ عثمان الاجتهادية في كثير من المسائل السياسية والقضايا التي تولدت من المشاكل اليومية التي واجهتها الإدارة في تلك الأزمنة، وبرزت آراءه الاجتهادية في ميدان الفقه في ثلاث كتب من بين مؤلفاته التي تزيد على المائة وهي إرشاد الأمة تيسير الملة، وهداية الطلاب وتوقيف المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين.[2]

بدأ الشيخ لمناقشة لآرائه الفقهية الاجتماعية في إرشاد الأمة، بتقرير حقيقة واحدة هي أنّ دين الله يسر وليس عسر، وأن هدفه الأساسي هو إسداء النصح للأمة وليس فتح باب التساهل في المعاصي و البدع والعوائد الرذيلة، وهدفه من ذلك أن يقتدي الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح في اختيار أيسر السبل للوصول على الغاية السامية في الأمور التي لم يقطع فيها بنص شرعي.[3]

ومن القضايا الخطيرة التي حاول الشيخ عثمان معالجتها مسألة المهدية التي كانت تشكل جزءا من السياسة المحلية والخارجية في القرن 13هـ، 19م، هي الفترة التي توقع فيها الناس، خاصة في غرب إفريقيا، ظهور المهدي المنتظر، لذلك اعتقد بعضهم أنه هو المهدي المنتظر وخصوصا أنه كانت تظهر عليه علامات الصلح والوقار والحمية الإسلامية، ولكن الشيخ رفض هذا الادعاء رفضا باتا،مؤكدا أنّ علامات المهدي لا تنطبق عليه، وكتب عدة رسائل في أمر المهدية نافيا أنّ المهدي لا يظهر في أي جزء من بلاد السودان.[4]

فهذه كانت بعض الإرهاصات والدعائم لتكوين دولة إسلامية قوية، وبهذا فحركته تعتبر إحدى الحركات الإسلامية الفريدة في العالم الإسلامي التي ساهمت في خلق دولة إسلامية، وفي بناء مجتمع إسلامي على أسس سليمة.

لقد تركت هذه الحركة تراثا إسلاميا ثريا في كل الميادين السياسية والفكرية والأدبية واللغوية والشرعية، وبرهنت حركته على أنّ النظرة الأكاديمية وحدها للأمور لا تحدث تغييراً جذريا في

[1]- عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق، ص 140.

[2]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 95.

[3]- آدم عبد الله الآلوري، المرجع السابق، ص102.

[4]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص 100.

المجتمع، وأنّ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب أسلحة متعددة وأساليب متنوعة، لتتجاوب مع الوضع السياسي و الاجتماعي، إيجابيا و سلبيا، وبرهنة الحركة أيضا أنّ إزالة سلطان الكفر و الظلم هو أولى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إضافة إلى أنه كان يرسخ دعائم الدولة لم تنقطع حركاته للقضاء على الكفر فقاتلوا ملوك الهوسا حتى انتصروا عليهم، وسقطت الولايات الواحدة تلوى الأخرى، ودخلت بعد ذلك كلها تحت لواء الدولة الإسلامية الجديدة وصار الشيخ أميرا لهذه المملكة الواسعة،فوضع لها نظاما إداريا أسلاميا، وجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وبعد أن استقرت الأوضاع في الدولة رأى الشيخ من اللائق أن يترك زمام القيادة بيدي ابنه محمد بلو أخيه عبد الله بن فودي ويتفرغ للتدريس والوعظ والتأليف.[1]

وبهذا قام في سنة 1226هـ /1812م، بتقسيم مسؤولية إدارة شؤون دولته إلى قسمين:

1-وضع الجزء الشرقي الذي يشمل مناطق "باوتشي"،"داورا"، "كانو"،"كتاغون"،"كاتسينا"،"زنفرا"، تحت إشراف ابنه محمد بلو.

2-وضع الجزء الغربي الذي يشمل مناطق غواندو،برغو،دينديي،إلورين،ليبتاكو، وبلا نوبي تحت إشراف أخيه عبد الله.[2]

اشتملت الدولة الإسلامية الجديدة في سوكوتو بالأمن والإستقرار لإمتثالها للشفافية في القيادة، والعدالة الاجتماعية والمسؤولية الفردية والجماعية وفقا لأحكام الشريعة.

وشهدت منطقة الغرب الإفريقي في ظل تلك الدولة التي أطلقوا عليها تسمية الخلافة، نهضة ثقافية وحضارية لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة.

توفي الشيخ عثمان سنة 1232هـ،1817م، وتسلم من بعده ابنه محمد بلو زمام الحكم الذي تلقب بلقب أمير المؤمنين والسلطان خلفا لوالده، إلى أن توفي وتولى من بعده أبناءه الخلافة.

وفي ظل هذا الحكم الذي تركه الشيخ عثمان واستمر به ابنه محمد بلو يحتذي به للقيادة المثالية المبنية على إخلاص النية والعدل والأمانة، وقد تضاءلت حيوية تلك الدولة الإسلامية في بداية

[1]- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 115.

[2]- آدم عبد الله الآلوري:المرجع السابق،ص 107.

القرن العشرين بمجيء الاستعمار الأوروبي الغربي وفرض سيطرته على المناطق الشاسعة المترامية الأطراف التي غطتها تلك الإمبراطورية بغرب ووسط إفريقيا.

وخلاصة القول فلقد مرت في حياة عثمان بن فودي ثلاث مراحل وهي:

1- **المرحلة المبكرة:** وهي ما قبل إعلان الجهاد العام وهي مرحلة توجيه الأمة، وتتسم بالإعداد الثقافي والروحي لعامة الناس عن طريق الوعظ والإرشاد و التعليم و نشر الوعي بصورة عامة.

2- المرحلة المتوسطة: وهي المرحلة التأسيسية للدولة، وتتميز بالسعي من أجل التخلص من العناصر السلبية الفاسدة من الحكام، والتركيز على إصلاح أخلاق الناس وإنعاش الجوانب الرّوحية فيهم.

3- المرحلة الأخيرة: وهي أعلى مرتبة اكتمال قيام الدولة، وتتميز بوضع المنهج الفكري والعملي للحياة بصفة عامة، علما بأن الناس منقسمون بطبائعهم وظروفهم إلى ذوي الاستعداد للانسياق إلى التوحيد الخالص، وهم العلماء ،والفئة الثانية هم عامة الناس الذين وإن كان لهم الرغبة في هذا الانسياق فهم في حاجة إلى تقليد وإتباع العلماء.

مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي:

كان الشيخ منهمكا في التأليف على الرغم من اشتراكه في المعارك العسكرية، وانشغاله في التدريب و الوعظ، فقد كان يؤلف وينظم الشعر الكثير باللغة الفلانية وكتب منها كتبا عديدة منها:

1-**إحياء السنة وإخماد البدعة**،الذي أكمل تأليفه قبل عام 1208هـ ،1793م، ، هذا الكتاب ساعد على شهرته بين العلماء، لأن الكتاب كان ردا على آراء علماء آخرين محليين بقصد توجيه نشاطهم إسلاميا.طبع في القاهرة بدون تحقيق وعدد نسخه 01.

2-**مسائل مهمة:** وكان ذلك في سنة 1217هـ، 1802م، فذكر فيه ضرورة الهجرة، والجهاد ضد الوثنيين،كما حدد فيه عدم جواز بيع الفلاني، بحجة أنّ معظمهم مسلمون.

3-**إرشاد الأمة إلى تسيير الملة:** موضوعه تيسير الدين وطبيعته، عدد نسخه ثلاث.

4-**إرشاد أهل التفريط و والإفراط**:موضوعه أصول الدين والتوحيد، عدد نسخه ثلاث.

5-**أجوبة محررة عن أسئلة مقررة:** موضوعه رد على مشكلات عقائدية واجتماعية وسياسية واقتصادية،وهوعبارة عن أربعة عشر سؤالا، سألها شيسماص لعثمان بن فودي،منها مثلا: متى يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.عدد نسخه أربعة.

6-**أسانيد الفقير:** موضوعه علم السند وضرورة لكل مسلم في الماضي والحاضر، عدد نسخه ثلاث.

7-**أصول الدين:** موضوعه توحيد، عدد نسخه اثنان.

8-**أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل،** موضوعه سياسة الولاة في ولايتهم، عدد نسخه اثنان.

9-**إعداد الداعي إلى دين الله:** موضوعه الدعوة وأسلوب الداعية، عدد نسخه واحد.

10- **أفحام المنكرين:** موضوعه الرد على منتقدي منهجه في الدعوة، عدد نسخه اثنان.

11- **اقتباس العلم** : موضوعه التعليم وضرورة إصلاح النية فيه، عدد نسخه اثنان.

12- **الأمر بموالاة المؤمنين والنهي عن موالاة الكافرين:** موضوعه سياسة المسلمين العقائدية والسياسية والإدارية مع غيرهم من غير المسلمين، عدد نسخه، واحد.

13- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** موضوعه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدد نسخه، اثنان.

14- **بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في الملة المحمدية:** موضوعه الإيمان بالله والتمسك بالدين، وما أحدثه الناس من أعمال وعادات بين مجتمعاتهم، عدد نسخه، اثنان.

15- **بيان وجوب الهجرة على العباد** : موضوعه الهجرة وسياسة الإسلام في التهجير والتشجيع على الهجرة، عدد نسخه، اثنان.

16- **بيان رجوع الشيخ سنوسي من التشديد إلى التقليد في عقائد التوحيد:**موضوعه توحيد، عدد نسخه، اثنان.

17- **تاريخ مدة الدنيا أو تنبيه الأمة على قرب هجوم الساعة:**موضوعه علامات الساعة مافي ذلك ظهور المهدي وعيسى.عدد نسخه ثلاث.

18- **تبشير الأمة الأحمدية لبيان بعض المناقب القادرية:** موضوعه تصوف القادرية وعبد القادر الجيلاني، عدد نسخه ثلاث.

19- **تحذير الإخوان من إدعاء المهدية إلى آخر الزمان:** موضوعه المهدي المنتظر وعلاماته، ومكان ظهوره المتوقع ودور الفلاني عندما يظهر، عدد نسخه،واحد.

20- **تحفة الحبيب:** موضوعه نصائح، عدد نسخه، واحد.

21- **تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة:**

ومن خلال ذكر مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي،نجد من خلالها أنه كان عالما بليغا خطيبا شاعرا فصيحا فاضلا جميل العشرة كريم الصحبة شديد المعارضة مقطوعا بولايته وقدراته القيادية.

وتؤكد هذه المؤلفات أن الشيخ عثمان كان واسع الإطلاع على الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الخلفاء الراشدين وأتباعهم وآراء الأئمة الأربعة وآراء العلماء المشهورين في غرب إفريقيا مثل الإمام السيوطي والإمام المغيلي،والشيخ المختار الكنتي، وأستاذه الحاج جبريل بن عمر وغيرهم من العلماء.

وكان الشيخ يهدف إلى إصلاح أحوال العلم والعلماء،وتطبيق أحكام الله وتصحيح الإيمان بشكل يؤدي إلى إقامة الشريعة فيما أمر الرسول ونهى عنه والتبصر في الدين.

ولهذا لم يكن غريبا أن تتنوع مؤلفات الشيخ وأن تعالج موضوعات شتى تتناسب مع حجم الجهاد وطبيعة المناطق التي انتشر فيها الدين الإسلامي، وكانت الموضوعات الدينية تحظى باهتمام الشيخ لأن دعوته كانت إحياء السنة وإخماد البدعة الشيطانية، فألف عددا كبيرا من الكتب حول هذا الموضوع ولعل أشملها وأهمها كتاب " إحياء السنة وإخماد البدعة" .

هذا الكتاب ديني، بيّن فيه: ماهي السنة التي يجب اتباعها في هذا المجال العلمي والتطبيقي للإسلام ،وما هي البدعة التي يجب اجتنابها في هذا المجال، ويحتوي الكتاب على ثلاثة وثلاثين بابا، والأبواب قصيرة يتناول كل باب أمرا من أمور الدين كالتوحيد والطهارة والوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وما إلى ذلك ،ثم يشير إلى البدع التي أحدثها المسلمون في كل واحدة منها محتجا بما أورده علماء الشرق والغرب في كتبهم.

ومن خلال قراءة الكتاب فنجد أن الشيخ قد استعان بالمصادر الآتية: صحيح البخاري،الشفاء للقاضي عياض،رسالة ابن أبي زيد القيرواني،ومختصر خليل بن إسحاق والخرشي شرح مختصر

خليل،والنقاية للسيوطي،والمنهج المنتخب والمدخل،وعمدة المريد الصادق وغيرها من كتب الفقه والحديث.

وإلى جانب هذا الكتاب فقد ألف كتب أخرى كما أوردها،وعلى سبيل المثال حصن الإفهام من جيوش الأوهام، سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان،أصول الدين، وغيرها من الكتب التي عالجت أمور العقيدة.

و لم تقتصر مؤلفات الشيخ على الأمور الدينية بل راح يناقش مسائل تتصل بالنظم الاجتماعية والسياسية وكانت "وثيقة أهل السودان" حربا على الكفرة والوثنيين،كما تناول الحديث عن بلاد الهوسا وأسباب الصراع بين زعمائها في كتاب " تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان" وعالج أيضا بعض الموضوعات الاجتماعية في مقال تحت عنوان "مسائل المعاملة" ومقال بعنوان "نور الألباب " وأخرى بعنوان " إرشاد الإخوان إلى أحكام خروج النسوان" وغيرها من المؤلفات التي دارت حول الكثير من المشكلات الاجتماعية والقضايا السياسية،وباختصار عالج الشيخ كل الأمور الاجتماعية التي تضمن بناء مجتمع متكامل يعرف فيه كل فرد ماله من حقوق وما عليه من واجبات في إطار من التكافل الاجتماعي والسير على السنة النبوية الشريفة.[1]

ونظرا لأن الشيخ كان صوفيا يتبع الطريقة القادرية فقد نالت هذه الطريقة قسطا كبيرا من مؤلفاته، وعالجها في كثير من المناسبات حتى يزيل اللبس حول كافة القضايا الصوفية ، فأعلن مع بداية جهاده أنه شاهد رؤيا وهو في الأربعين وأنه جالس في اجتماع يضم سيد البشر ومعه الصحابة والشيخ عبد القادر الجيلاني الذي قلده سيف الحق، وطلب الصحابة منه إعلان الجهاد ضد أعداء الله.

فهذه كانت ترجمة الشيخ عثمان بن فودي ،وسوف نقوم بترجمة الشيخ عبد الله بن فودي.

4-2: الشيخ عبد الله بن فودي

1-المولد و النشأة:

هو عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون الملقب بغورط بن رجب بن محمد بن ثنب بن أيوب بن ماسران بن يوب بابا بن موسى جكل ويلقب بابن فودي.[2]

[1]- أحمد باي بلعالم: المرجع السابق، 141.

[2]- تعني بلغة الفلانية الفقيه.

اختلفت الروايات حول مولده وفي هذا يقول الشيخ أبو بكر غومي[1] قاضي قضاة نيجيريا الشمالية السابق، في مقدمته لكتاب **ضياء التأويل للمؤلف** :" إن الشيخ عبد الله ولد سنة 1197هـ، 1782م. ويعتقد أبو بكر علي غندو أن مولده كان سنة 1180هـ، 1766م وكان مولده بولاية غوبير، وهو يصغر أخاه عثمان باثني عشرة سنة.[2]

ينتسب الشيخ إلى مجموعة من قبائل الفولاني تسمى بالتوروذ (توروبي) بالفلاني و(تورنكاوا) بالهوسا.

نشأته: نشأ على يد أفراد أسرته، وخاصة أنه كان في بلدة قل فيها الشيوخ والعلماء في جوانب الإسلام[3]، حفظ القرآن الكريم أولا على يد والده، ومع ذلك فإنه الشخص الذي لعب دورا أساسيا في تكوين شخصية عبد الله أخوه الأكبر عثمان، تركه أبوه عنده وهو ابن ثلاث عشرة سنة،قرأ عليه العشرينيات والوثريات وهي قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والشعراء الستة كما أخذ عنه علم التوحيد من الكتب السنوسية وشروحها.[4]

كما درس على أخيه الإعراب من الأجرومية والملحمة وقطر الندى، وأخذ منه علم التصوف.

أما الفقه، فقد درس مع أخيه كتب الفقه المالكي، وأخذ عنه أيضا تفسير القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر القرآن الكريم عدة مرات، كما درس عنه علم الحديث.

و لم تقتصر دروس عبد الله عن أخيه هذه العلوم فقط، بل تعدتها علوم أخرى منها علم الحساب الذي استوعبه عن طريقه،وفي هذا يقول عبد الله عن أخيه: "إنه حصل لي بحمد الله التبصر في الدين من فيضان نوره ومن تواليفه المفيدة، العربية والعجمية، فما ألف كتاب من أول تواليفه إلى الآن إلاّ كنت أول من نقله عنه غالباُ".[5]

ومن هذا فإن عبد الله من خلال قوله يعترف بفضل أخيه عليه في تعلمه لتلك العلوم التي تعلمها عنه، وبهذا فإن عثمان يكون معلمه الأول الذي أخذ عنه العلم، وبفضله أصبح شيخاُ فقيهاُ في عدة علوم.

---

[1]- لقد سبق ترجمته ص90.

[2]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 12.

[3]- محمد مويلح، عبد الله بن فودي / مجاهد بالسيف و القلم،-www.attarika alarabi.ma/htm/adad20partie9.htm-1325 .

[4]- عبد الله بن فودي المصدر السابق، ص 13.

[5]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 13.

ومن أشهر الشيوخ الذي عددهم الشيخ عبد الله ضمن أساتذته الشيخ جبريل بن عمر[1]، ويقول الشيخ أنه أخذ عنه كتب أصول الفقه كالقرافي والكوكب الساطع، وجمع الجوامع كما قرأ عليه بعض تواليفه.[2]

وبهذا فقد عدّ الشيوخ الذي درس عنهم أو عليهم وجعلهم في كتاب مشهور "**إيداع النسوخ مما أخذت عن الشيوخ**"[3] وفي هذا يقول عن شيوخه:"أنّ الشيوخ الذين أخذت عنهم العلم لا أحصيهم الآن ولكن هؤلاء مشاهيرهم / الشيخ جبريل بن عمر، الشيخ عثمان بن فودي / وكم عالم أو طالب علم أتانا من الشرق، فاستفدت منه مالا أحصيه "[4].

رافق الشيخ أخاه في معظم رحلاته مشاركا إياه في الدعوة والتدريس وكان كثيراُ ما يرد بالإنابة عن الشيخ عثمان كما فعل مع العالم مصطفى القوني الزنفراوي من سكان دورا على نقده الذي ركز فيه نقد طريقة الشيخ عثمان التربوية والتي تتمثل في التعليم المختلط بين النساء والرجال.[5]

وفي هذا نظم قصيدة يقول فيها:

أيا ابن فودي قم تنذر أولى الجهلا لعلهم يفقهون الدين والدونا

فامنع زيادة نسوان لوعظك إذ لم يأمر الله عيبا كان يؤدينا

وبعد ذلك أمر الشيخ عثمان أخاه بأن يرد علي العالم القوني وقال له:" أنت يا عبد الله أولى بإجابته عن أبياتنا " فأجاب عليه أيضا بقصيدة منها :

يا أيها ذا الذي جاء يرشدنا سمعنا لما قلت فاسمع أنتما قلنا

نصحت جهدك لكن ليث تعذرنا وقلت سبحان هذا كان بهتانا

[1]- لقد تمت ترجمته في الفصل الأول، ص 47.

[2]- ألف الشيخ جبريل عدة مؤلفات وللأسف لم يكشف منها شيء حتى الآن.

[3]- هذا الكتاب هو مخطوط لم أتمكن من الحصول عليه بأي طريقة.

[4]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 15.

[5]- علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص112.

إنّ الشـــيطان إن جـــاءوا لمجلســـنا هم ينتمـــون ســـوء القـــول طغيانـــا
لسنا نخـــالط لنســـوان كيـــف وذا كنـــا نحـــذر لكـــن قلـــت ســـلمنا
إن كان ذاك ولكـــن لا أســـلم أن يتركن بالجهل همـــلا كـــان إحســـانا
إنّ ارتكاب أخف الضر قد حتمـــا يكفـــر الجهـــل إن إذ كـــان عصـــيانا
هدى البلاد وجدنا قومهـــا غرقـــوا في الجهل يمـــنعهم أن يفقهـــوا الـــدينا

لقد بين عبد الله في هذه القصيدة برده على العلم القوني أنّ الشياطين دخلت لمجلسهم وأشاعوا الفتن عليهم وأنهم يقومون بدعوتهم وإخراجهم من الجهل الذي كان راسخا في أذهانهم، وبـــذلك فنحن نخص الجميع والدعوة عامة للرجال والنساء ،إذ ديننا الإسلامي جاء عامة ولـــيس خاصـــة يخص فردا عن فرد.ولكن نحن لا نخالط النساء، ثم اختتم في رده بما هذا القـــول :" إن ارتكـــاب أخف الضررين واجب إجماعا في الدين والدنيا، والضروريات الخمس التي هي الدين والعقل والمال والنسب والعرض، إذ تعارضت قدّم الدين واحتمل ضرر غيره فهو أخف من ضـــرر الـــدين ... وضررها ترك النساء في الجهل لا يعرفن الواجب عليهنّ، بل لا يعرفن الإسلام أصلا أكبر من ضرر اختلاطهنّ بالرجال، إذ ضرر الأول يرجع إلى الدين وهو الإيمان والإسلام والإحسان، وضرر الثاني يرجع إلى النسب" وأصل القاعدة ارتكاب الأصغر يرفع الضرر الأكبر واجب.[1]

ومن خلال قول عبد الله نلاحظ أنه كان شاعرا وأصوليا ناجحا استطاع بهذه الكلمات المعبرة الرد على العالم القوني بكلمات لها معاني كثيرة تهتز لها الأبدان لسماعها.

لقد صاحب الشيخ أخاه في معظم رحلاته، يدعوا الناس، ويجمعونهم تحت راية الإسلام رغـــم المصاعب والعراقيل التي واجهت الشيخ عثمان في دعوته إلاّ أنه بفضل الله كان يتم له مراده إضافة على مساعدة أخيه عبد الله الذي لازمه في دعوته إلى أن أصبح وزيره وكبير مستشـــاريه نتيجـــة للمواقف التي وقف معه فيها، إذ كل ما كانت تواجه أخاه مشاكل مع أحد العلماء كان عبد الله يرد عليهم بقصائد معبرة مثلما فعل مع العالم القوني.

[1] – عبد الله بن فودي،المصدر السابق، ص 17

ولما تمكنوا من ترسيخ دعائم الإسلام في نفوس الناس، ثارت عليه بعض القبائل التي ذهب إليها للدعوة، فأعلن عليهم الجهاد فكان أول من أبلى بلاءا حسنا في الجهاد هو عبد الله بن فودي أخاه، فعينه أخاه قائدا على الجيش في أول معركة ضد غوبير وبالتحديد في معركة بكين وتبعتها معارك أخرى كلها كان النصر حليفهم مثل معارك كبي التي تمكن عبد الله من السيطرة على أكثر من عشرين مدينة محصنة، وكان ذلك في ذي الحجة 1219هـ، مارس1805م، ووصف ذلك في قصيدته التي أوردها في كتابه تزيين الورقات باسم جيش الفتوح.[1]

وبعد نجاح حركة الجهاد قرر عبد الله أن يهجر الأوطان لمجاورة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك في سنة 1222هـ ،1808م ، وكان سبب رحيله هو: أنه كان وزير أخيه، ولم تعجبه تصرفات بعض قادة الجهاد خاصة القادة العسكريين، إضافة إلى الاختلافات التي كانت بينهم في كيفية تسيير الحكم، وفي قضايا فكرية وفقهية رغم هذا فقد ظل الخلاف فيما بينهما حتى وفاة أخيه عثمان سنة 1233هـ ،1817م ـ.[2]

في سنة 1227هـ، 1812م قرر الشيخ عثمان بن فودي تقسيم دولته إلى قسمين فأورث ابنه محمد بلو القسم الشرقي من الإمبراطورية، وعبد الله الجزء الغربي من المملكة.[3]

وكان الهدف من هذا التقسيم هو تسهيل مهام الإمارة المختلفة خاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولة الجديدة، وهو لم يعين من يخلفه بعد وفاته.[4]

وبعد وفاته عثمان عين محمد بلو نفسه سلطانا على البلاد، وتسلم مقاليد الأمور.[5]

وهذا الأمر أزعج عبد الله مما جعله يبتعد عن أمور السياسة واستقل بالجزء الذي كان يحكمه في حياة أخيه عثمان، وابتعد عن ابن أخيه مدة سنة كاملة لا يكلمه،ولم تعد المياه إلى مجاريها إلاّ بعد حصار عبد الله وحاولوا تحطيم مركز قيادته، إذ كان جل وقته في العبادة والتأليف،مما جعل المتمردين يحاصروه، فوصلت أخباره إلى ابن أخيه، وفك حصاره وكان ذلك سنة 1236هـ، 1820م .[6]

---

[1]- محمد بلو، المصدر السابق، ص 181.

[2]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص ص19ـ27.

[3]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 280، موجز دائرة المعارف الإسلامية، المجلة السابقة، ج19،ص5997.

[4]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 50.

[5]- الشيخ باي بن عالم محمد، المرجع السابق، ص 481.

[6]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص51.

أثر هذا الموقف في نفس عبد الله مما جعله يعترف بخلافة ابن أخيه ليكون أمير المؤمنين على ولاية أبيه.

قبيل وفاته أرسل محمد بيلو إليه قصيدة يطلب فيها عفوه و عونه :

يا أهل نوبة هذا الوقت للباري قصدتكم فأمدوني بأنواري

أنتم دخيرتنا في كل نائبة وأنتم عوننا في نجح أو طارى

والقصيدة مطولة جاء فيها يطلب منه العون وأن يمد له يد المساعدة ومساندته في أمور دولته.

فأجابه عبد الله بقصيدة وهو مستعد لمساندته بل والانخراط تحت جيش طاعته ما دام أمير المؤمنين بأحكام القرآن والسنة وإجماع العلماء،يقول فيها:

يا طالب النور محفوفا بأنوار يبقى سبيلا لدار وهو في الدار

و يدعي غلق باب وهو منفتح في وجهه دون حجاب أو أستار

وبهذا يكون الخلاف فيما بينهما قد زال وأصبح الوئام بين العم وابن أخيه، وظلت العلاقة قائمة إلى أن توفي الشيخ عبد الله سنة 1245هـ، 1829م .

ولما توفي عبد الله رثاه الخليفة محمد بيلو بقصيدة جاء فيها:

إن الرزية لا رزية مثلها رزء غدا الإسلام مثلما به

خطب جليل حل من فقد الذي في العلم ليس له أخ من مشبه

وعفت مدارس للعلوم وأوح شت أركانها من فقد قاضي نحبه

تبكي فنون الشرع من فقدانه لاسيما التفسير حاد بسكينه

كما رثاه محمد البخاري بن الشيخ عثمان[1] بقصيدة:[2]

ألا عجبت أميمة من بكائي وعولي وانتحابي في النساء

تقول تعجبا مني و عذلا يا للقوم ما لأبي براء

عهدنا إذا ما ناب خطب ليل راضيا حسن العزاء

يذكرنا بآثار وآي أضحى اليوم أجزع من نساء

[1]- تولى الوزارة سنة 1886 م ـ1903م /1304هـ، 1321هـ، كان وليا للعهد, علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص 137.

[2]- عبد الله بن فودي : المصدر السابق، 52-53.

مؤلفاته:

لقد شارك عبد الله في عدة معارك يرشد الناس ويعضهم لكي يوحدهم تحت رايـــة ديـــن الله الخالد، فمعاركه تزيد عن الثمانين بما في ذلك المناوشات الصغيرة.[1]

وفي نفس الوقت كان يقرأ ويكتب حتى وصلت كتبه قرابة مائة وسبعين كتابا عدا الرســـائل والخطابات، ورغم مشاغله الكثيرة وظروف الجهاد فقد أثرى الشيخ المكتبة الإسلامية بالكثير من العمل الجاد،وأسهم إسهاما كثيرا، وقدم عطاءا عظيما في ميادين الشريعة: التفسير والفقه وأصوله والسياسة والإدارة ونظام الحكم والحديث والتوحيد، كما ألف في اللغة والصرف والعروض وعلم التصوف.[2] ومن مؤلفاته:

1ـــ إيداع النسوخ:

1-عدد نسخه 01.

2-عدد الصفحات 08.

3-كتب فيه الشيوخ الذين قرأ عليهم.

2ـــ ألفية الأصول:

1-عدد الصفحات 102.

2-عدد النسخ 02.

3-كتب فيه أصول الفقه في النظم.

3ـــ آداب العادات:

1-عدد الصفحات 24.

2-عدد النسخ 01.

3-كتب فيه العادات و ضرورة إخضاعها للتوجيه الإسلامي.

4ـــ البحر المحيط:

1-عدد الصفحات 472.

[1]- علي أيوب ناجي : المرجع السابق، ص 113

[2]- عبد الله بن فودي، المصدر السابق، ص 45 .

2-عدد النسخ 02.

3-كتب فيه النحو وقواعده في نظم يزيد على الأربعة آلاف بيت.

5ــ الترغيب والترهيب في الصلاة:

1-عدد الصفحات 74.

2-عدد النسخ 02.

3-كتب فيه الترغيب في الصلاة و الترهيب من تركها وخاصة صلاة الجماعة.

6ــ تعليم الأنام لتعظم الله لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام:

1-عدد الصفحات 20.

2-عدد النسخ 02.

3-كتب فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله

7ــ تزيين الورقات:

عدد الصفحات 48،73،60.

عدد النسخ 04.

كتب فيه مدح شيوخه.

8ــ تعليم الراضي في أسباب الاختصاص بموات الأراضي.

عدد الصفحات 11،11.

عدد النسخ 2.

كيفية الاستفادة من موات الأراضي (فقه).

9ــ تخميس الدالية:

عدد الصفحات 97،16.

عدد النسخ 01.

مدح الرسول في نظم.

10ــ تلخيص الحصن الرصين:

1-عدد الصفحات 30.

2-عدد النسخ 01.

3-صرف.

11ــ تقريب ما عجم الشيخ عثمان:

1-عدد الصفحات 12.

2-عدد النسخ 01.

3-تصوف.

12ــ بيان أركان و الشروط للتصوف:

عدد الصفحات 09.

عدد النسخ 01.

تصوف.

13ــ جودة السعادة:

1-عدد الصفحات 15،12.

2-عدد النسخ02.

3-تصوف.

14ــ درء الكيئة في علم الهيئة :

عدد الصفحات 38،22.

عدد النسخ 02.

علم الفلك و الغيبيات.

15ــ رسالة الوزير:

1-عدد الصفحات 01.

2-عدد النسخ 01.

3-رسالة إلى أمير زكزكي.

16ــ سبيل أهل الصلاح:

1-عدد الصفحات 48،40.

2-عدد النسخ02.

3-صفات المسلم الصحيح و المؤمن الحق وسبيل المؤمنين الحقيقيين المخلصين الـــذين يجب إتباعهم.

17ــ سبيل النجاة:

1-عدد الصفحات 18،17،16.

2-عدد النسخ 03.

3-تصوف في الترغيب و الترهيب.

18ــ سبيل السنة الموصل إلى الجنة:

عدد الصفحات 18.

عدد النسخ 01.

وعظ وإرشاد.

19ــ شرح القصيدة البرماسية:

1-عدد الصفحات 64.

2- عدد النسخ 01.

3-مدح.

20ــ شكر الإحسان :

1-عدد الصفحات 27،27.

2-عدد النسخ 02.

3-شرح لنظم في النقاية للسيوطي .

كل هذه المؤلفات موجودة في جامعة نيجيريا في إبادن.

وهذا كتاب الشيخ الموجود بحوزتي تحت اسم ضياء السياسات وفقه النـــوازل، وهـــو الكتـــاب الوحيد الذي طبع من بين مؤلفاته، طبعته مطبعـــة الإســـتقامة بالقـــاهرة ســـنة 1380هـــــ/ 1961م،وهذا الكتاب هو ديني يشمل على ستين صفحة وزيادة على المسائل الفقهية التي تكلـــم عنها مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج وعن المعاملات كالنكاح والطلاق ،وهو يتكلم كـــذلك عن المسائل في السياسة الشرعية بإتخاذ تدابير لدرء المفاسد واستنباط أحكام تلاءم مـــا اســـتجد وحدث من الفحور ، ومرجعه في ذلك " تبصرة الحكام " لابن فرحون.

المبحث الثاني: الأدب وعلم التاريخ وأشهر علمائهم

1- الأدب:

لقد كان للثورة العلمية التي صاحبت حركة الجهاد في بلاد الهوسا وقيام الخلافة الصكتية ،نشأة الأدب الهوسي والفولاني المكتوبين.

لقد توفر لقادة حركة الجهاد في بلاد الهوسا قدرا كبيرا من الإلمام بالأدب العربي الإسلامي، وألفوا كثيرا من الأعمال في العلوم الإسلامية "الفقه ،العبادات المواعظ...." باللغة العربية نثرا ونظما بغية هداية المجتمع وتهيئته للتغيير الذي يرمون إليه.

ولكن جاء وقت اتضح لهؤلاء العلماء أن ما كانوا يكتبونه باللغة العربية وحدها لا يفي غرضهم بالصورة المطلوبة، ذلك لأن المستهدفين بهذا العمل (وهم الهوسا الفلاحون والفولاني الرعاة) أميون لا معرفة لهم باللغة العربية.

لذلك كان لزاما لقادة الحركة البحث عن وسيلة عملية أخرى لإيصال المعلومة إلى جماعتهم، وبالطبع لا يدخل في ذلك تعليمهم العربية أولا، وإلا كم من الزمن يستغرق ذلك؟ ومن هنا جاءت فكرة اللجوء إلى اللغات المحلية السائدة، وأهمها الهوسا والفولانية[1].

مع بداية القرن التاسع عشر بدأت مرحلة جديدة للحركة الفكرية الجهادية، وهي مرحلة النقل والترجمة، أي نقل العلوم ذات الصلة المباشرة بعامة المجتمع والتي سبق أن كتبوها باللغة العربية نثرا، نقلها وترجمتها أو إعادة صياغتها باللغات المحلية في شكل منضومات مقفاة.[2]

وكنموذج لفن النقل والترجمة، فقرة من كتاب الشيخ عثمان بن فودي "نور الألباب" وكيف تم إعادة صياغتها نظما باللغة الفولانية:

" أما بعد فهذا كتاب نور الألباب نافع إن شاء الله لمن عوّل غليه، أحكمت فيه الأسس لأبني عليه أحكام أهل الهوسا، فأقول وبالله التوفيق ،اعلم يا أخي أن الناس في هذه البلاد ثلاثة أقسام: قسم منهم من يعمل أعمال الإسلام ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر ولا يسمع منه شيء مما يناقض الإسلام، فهؤلاء مسلمون قطعا تجري عليهم أحكام الإسلام .

وقسم منهم مخلط يعمل أعمال الإسلام، ويظهر أعمال الكفر، ويسمع في قوله مما يناقض الإسلام، فهؤلاء الكافرون قطعا لا تجري عليهم أحكام الإسلام.

وقسم منهم ما شم قط رائحة الإسلام ولا يدعيه، فهؤلاء لا يلتبس حكمهم على أحد ،فإن قلت بيّن لنا علامة المخلطين لنعرفهم بها قلت سأقص لك بإذن الله تعالى أعمالهم التي كفروا بها..."[3].

نظمها باللغة الفولانية:[4]

ميتيـــــيم الله يـــــا رحمـــــن	صـــلاة مالطـــا دوم يـــا ديـــان
دو بـــــرو أن منلـــــدطا تتريـــــل	در ســـنقل تفلـــي هـــذو ترتيـــل
صـــــلاة مـــــاط دو إي هـــــآل	هبينـــف يـــا كيبـــب فامثـــال
كيـــــتني يمانـــــد مودنـــــوري	كيتـــا ميمـــب هوســـا فســـروري
دو جمعـــاج طـــي تـــني نـــد وودي	كنج بو نـــون هـــدو كنطـــو ســـيد

[1]-عثمان برايماباري: المرجع السابق ص381.

[2]- Réné Otagek ,OP.Cit ,P 137.

[3] -MOHAMMED AL –AMINR ABOU MANGA :LA LANGUE ARABE ET LES AUTRES LANGUE AFRICAINES.Publications de l'institut des utudes Africaines 2006 ,P 44.

[4]- محمد أبو منفة: المجلة السابقة، ص 37.

نـــدى جمعـــاري كـــم يجلـــب لـــبيّ الله شـــــنيط هلفنـــــان بيـــــد بي
ندي جمعـــاري بـــو ييمـــب جلـــبي كفـــــر هإيمـــــان فكـــــا يهـــــوتبي
ندي جمعاري بـــو تكفـــر تـــن دري تـــو جمعـــانج شـــبييم فـــو نقـــري
جلنـــــــــدريب بي تكافرينـــــــــا بكـــــــوتيّ ونـــــــا تمســـــــلمينا
فهـــــم بليـــــدأم كبـــــا أنـــــدا بي تاســـــكتدابي آن بـــــو مانـــــدطابي
وطب يهـــاب وطـــب بـــو ينفلـــب فهـــــم مثـــــال كـــــم يـــــونقني بي
وطـــب همّـــت كـــم ييمـــب مجّـــب وطب همّـــب بـــو ييمـــب جنقـــب

الترجمة العربية:

أحمـــــدك يـــــا الله يـــــا رحمـــــن دامت صلاتك يا ديان
على المصطفى الـــذي بعثـــه بـــالقرآن ليعلم به الناس بالترتيل
دامـــــت صـــــلاتك علـــــى الآل وعلى التابعين إلى يوم المئال
اســـتمعوا إلى القصـــيدة المرشـــدة ألا تشرح أحوال بلاد الهوسا
تحكي عن هـــذه الجماعـــات الـــثلاث وهي كذلك حسب ما يشهد عليها الإنسان
وهذه جماعة المسلمين الواضح إسلامهم تسأل الله القدير أن يكثر منهم
وهـــــذه جماعـــــة المخلطـــــين الذين يجمعون بين الكفر والإيمان
وهذه جماعة تقف على الكفـــر فقـــط الآن وردت كل الجماعات التي أشرت إليها
إن جماعة المخلطين تحسب مع الكفـــار ولا تحسب مع المسلمين
افهم حديثي حتى تستطيع أن تتبينـــهم ولا تقف عند أمرهم وتحاول أن تعظهم
بعضهم من الزنج وبعضهم من الفولاني أفهم المثال الذي يكشف حالهم
الـــبعض منـــهم أنـــاس جـــاهلون والبعض منهم أناس متعلمون

ولكن إلى جانب النقل والترجمة، كان الشيوخ يقومون أيضا بتأليف المنظومات باللغات المحلية مباشرة، وخاصة المواعظ.

وقد كان الشيخ عثمان بن فودي أكثر من نظم باللغة الفولانية، بينما كان الشيخ عبد الله بن فودي أبرز من نظم بلغة الهوسا، أما أسماء بنت الشيخ عثمان فقد كانت تقوم بترجمة قصائد والدها من اللغة الفولانية إلى الهوسا إضافة إلى تخميس بعض هذه القصائد.

نشأت القصيدتان الهوسية والفولانية مشابهتين للقصيدة العربية ،حاملتين في ثناياهما جميع عناصر القصيدة العربية من حيث البنية وأساليب الإبداع، بما في ذلك الأوزان الشعرية والمحسنات البديعية.[1]

وواضح أنّ هؤلاء العلماء قد اعتمدوا في نظمهم باللغتين الفلانية والهوسية على مواهبهم التي تجلت في أشعارهم العربية، وليس منهم من لم يقرض شعرا باللغة العربية، وعلى معرفتهم المتعمقّة بفنون الشعر العربي، كما استفادوا من القدر الكبير الذي كانوا يحفظونه من الشعر العربي.

وقد وجد المستشرق الإنجليزي "مارفن هسكت" أنّ القصيدة الهوسية الإسلامية قد استخدمت عشرة من الأوزان الشعرية العربية، ولا تختلف عن القصيدة العربية إلاّ في موضوعاتها، والتي تنحصر هنا في المسائل الدينية والجهادية.[2]

وتتبع القصيدتان الفولانية والهوسية في بنيتهما الخارجية نهج المنظومات الدينية العربية السائدة في ذلك العصر، حيث تبدأ بالاستهلال المعهود – أي بالحمد والشكر للخالق المنان- ثم الصلاة على النبي المختار وعلى آله وأصحابه والتابعين الأخيار، ثم يرمز لتاريخ تأليفها بكلمة أو عبارة يمثل كل حرف منها رقما معينا، وهو ما يعرف بحساب الجمل (مثلا شركد : عام 1224هـ) .

وفيما يلي بعض النماذج من أشعارهم باللغتين الفولانية والهوسية:[3]

1- المقطعان الأول والثاني من قصيدة في التوحيد للشيخ عثمان بن فودي:

مـــــــيني بنغطوكمّـــــــوج أحمـــد الـــذي رفـــع الســـماوات
وطيطـــي محـــل رزكـــوج وجعلـــها محـــلا لـــلأرزاق
طـــي كـــم يـــو ايـــل نـــدنقوج الـــتي تـــأتي بفعـــل الســـحب المطـــر

[1]- عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 382.
[2]- VINCENT MONTEIL , OP. Cit , p 79
[3]- محمد أبو منفة: المجلة السابقة، ص 40.

نقـــــريط هنـــــك نـــــدوديج (السحب) التي تـــأتي خلـــف الأعاصـــير
منّـــــــي بطـــــــو جمّـــــــج أحمـــــد الـــــذي خلـــــق الليـــــل
هتـــــــــارو دو نيلومـــــــــاج وجعلـــــها خلفهـــــا مـــــع النـــــهار
جقـــــي لانـــــاج دو مـــــاج وأمســـــك الفلـــــك في البحـــــار
وطـــي لســـد نـــد نـــو عـــوج وخلع الأنـــواع المختلفـــة مـــن اليـــابس

2-أبيات من قصيدة للشيخ عثمان بن فودي يشرح فيها قواعد سجود السهو:

مـــــيّتي مغفلتـــــاك هرتـــــا مطانتـــــاك غفتـــــا يتتـــــا
مســـــلمني نـــــلاط دكيـــــاط جـــولط جـــوي شـــطاط مونطـــا
مســـــلمني صـــــحابئن هـــــآل هنـــف يـــا كيـــي فـــا مئـــال
....
جولـــد تنقصـــام قبـــل وطـــي تبـــو نـــد بســـديام بعـــد وطـــي
نقّـــص بســـد قبـــل هيتيـــام تـــيجّتي بـــو بعـــد يـــو طنـــام

الترجمة:

أحمـــد الـــذي لا يغفـــل ولا يســـهو ولا ينـــــام ولا ينســـــى
وأسلم على الـــذي أرســـل وأعطـــى الصلوات الخمس ، المـــوقر والمعظـــم
وأســـلم علـــى أصـــحابه وآلـــه وكـــل التـــابعين إلى المئـــال
....
إذا نقصت الصـــلاة يـــؤتى ب"قبـــل" إذا زيـــدت يـــؤتى ب "بعـــد"
إن نقصت وزيدت جـــيء ب "قبـــل" وإن نسي (المصلي) استعجل ب"بعد"

3- المقطعان التاليان من قصيدة بالهوسا للشيخ عبد الله بن فودي.[1]

وفي مناسبتها قيل أن سلطان غوبر(باوا جنغرزو) طلب في إحدى المرات من الشيخ عثمان بن فودي أن يؤلف له قصيدة يعظه فيها، فأوكل الشيخ عثمان هذه المهمة لأخيه عبد الله لأنه أفصح منه في لغة الهوسا. فأخذ عبد الله يوجّه الخطاب للسلطان مباشرة، إلى أن قال في المقطع الثالث:

زمك أزمي كنا سلا داوم على الصيام والصلاة
واجبي دُك دَ نافلا الواجبة منها والنافلة
باد زكَّك بُلبُلاَ أعط الزكاة بسخاء
جنكي ناك تتلا أعطف على رعيتك
كنك ككوا مدوغرا بذلك تكون قد زودت نفسك

هنا استوقفه أخوه (عثمان) ونوَّه إليه بأن يستخدم صيغة الجمع بدلا عن المفرد لكي يعمم القول حتى لا يظن السلطان أنه هو المقصود في شخصه مما قد يؤدي إلى إحساسه بالتجريح، وبالتالي استهجانه للأمر.

فجاء المقطع التالي كما يلي:

هيي متاني كرازانا أيّها الناس احذروا
مومني دك دمومنا المؤمن منكم والمؤمنة
نو كبر ين فا الزنا هيا ابتعدوا عن الزنا
دك دثافي كزم تنا تذكروا وابتعدوا عن السحر
بر ناروا كبر درا اتركوا أمور الأرواح ودعوا الملاهي

[1]- محمد أبو منفة:المجلة السابقة، ص 41.

وهكذا نشأ الأدب الهوسي والفولاني وأصبحوا يكتبونه ويتقنونه على أكمل وجه بحيث مـــن خلاله أصبح الأمي يفهم من وراءه ما كان يقصده العلماء الذين كانوا يعملون لإيصال ما جاء به الدين الإسلامي.

وصفوة القول المستفادة من هذا هو أن الإتجاه الإسلامي في هذه البلاد يؤرخ لظهوره وبدأه مع ظهور الحركة الإصلاحية الإسلامية التي نهض بها الشيخ عثمان بن فودي والأسرة الفودية في القرن 13هـــ،19م وإته تفاعل من خلال القرنيين الماضيين مع تعاليم الإسلام وقضاياه ومع عقيدته ورواه.

وسار أدباؤه منطقهم العقدي في مسير الشعر والأدب العربي الإسلامي، من حيث المضامين التقليدية مثل المدح والرثاء والوصف والهجاء والشكوى والحنين والعتاب، والمضامين التي حدّت بظهور الإسلام مثل الشعر النبوي والأمداح والحب الإلاهي وذكر المقامات والتشفع والتوسل.

ومن أشهر العلماء الذين اشتهروا بهذا العلم هم عثمان بن فودي وعبد الله بن فودي وأسماء بنت عثمان بن فودي ،وقد سبق ترجمت العالمين في المبحث السابق، وسوف نقوم بترجمت أسماء بنت عثمان.

أسماء بنت عثمان بن فودي:

ولدت أسماء في زمن كانت المرأة في عزلة إجبارية، محاصرة بين جدران المنازل، من أداء الفروض التي فرضت عليها بما في ذلك التعليم.

ولدت في زمن كان سلاطين الهوسا وسلاطين غرب إفريقيا ميالين إلى الفسق والإباحة والاختلاط، وكانت المرأة لا تعرف عن الدين إلا اسمه، وقد أورد الشيخ عثمان قصة في كتابه "إرشاد أهل التفريط والإفراط " كمثال لما كان يجري بين نساء المسلمين آنذاك، تقول القصة : مر رجل بإحدى النسوة كانت تصلي وتسبح بعد الصلاة فأعطاها زكاة فطرته، فطلبنا منه أن يستردها منها، لأنها تعبد على جهل ، ولا تريد التعليم، فسألناها له: من خلق الكون؟ قالت أليس محمدا، وأن الله قد ولد محمد، فحاولنا أن نشرح لها فأصرت على رأيها متهمة الجميع بالجهل".[1]

[1]- علي أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 127

وتوصل الشيخ عثمان بأنه لن يتمكن من إنجاز خطه الإصلاحي إذا لم يصلح المرأة،فأخذ يدرس وبعض النساء والرجال أينما ذهب ،فالتف حوله كثير من الرجال وبناتهم وأزواجهم وجيرانهم ، فشق ذلك على المتاجرين بالدين والجاهلين بمضمونه الرسالي.

ولدت عام 1209هـ/ 1794م،وتعلمت على يد والدها ،حيث حفظت القرآن الكريم مع إخوتها، وواصلت دراسة العلوم الدينية واللغة العربية والشعر.[1]

تزوجت بجدادوا بن ليما،[2]سنة 1807م وكلن زوجها له تأثير مباشر عليها، ولما توفي أخوها محمد بلو، قامت هي وزوجها بكتابة تاريخ سوكوتو.

ولما توفي زوجها عام 1850م،انتقلت إلى ورنو، حيث تفرغت لتنظيم منجزات خلافة سوكتو، بالإضافة إلى مواصلة خط والدها في الاهتمام بالمرأة وتعليمها، لكي تنهض بدورها الرسالي،وكتبت كتبا عديدة ، بعضها منضوم والبعض الآخر منثور.

بلغ عدد مؤلفاتها أكثر من سبعين كتابا وقصيدة، تدور حول الغيبيات والوعظ والجهاد والمجاهدين،وقصائد في الشريعة والدعوة والسياسة والتاريخ والاجتماع والتربية.[3]

كتبت الشعر باللهجات المحلية كالهوسية والفولانية إلى جانب ذلك اللهجات المحلية.توفيت سنة 1283هـ، 1866م.

بعض كتبها وقصائدها:

1- اسم القصيدة نانا: وهذه نبذة عنها،" عسكر الغوبير في نداي naddai ،التي تبعد أربعة أميال من سوكتو، وبالتحديد جنوب غرب سكتو، ويمكن أن ترى نيران المعسكر من منزل جدادو وزوج أسماء، وقد ذهبت نانا أسماء إلى أخيها محمد بيلو فلم تجده، ولكنه ترك لها رسالة فيها آية قرآنية التي نظمت منها دعاءها".

موضوع هذه القصيدة دعاء ورجاء النصر على جيش غوبير، وتاريخ كتابتها 1836م، وذلك حسب تاريخ المعركة نفسها،وكان عدد أبياتها 14.

[1]-أحمد سعيد غلادنتي: المرجع السابق،ص 656.

[2]-جدادوا يعتبر أول وزير في عهد محمد بيلو، وتعني هذه الكلمة باللغة الفولانية المحبوب ،واسم أبيه سمبو ليم، ولد سنة 1776م، أنظر علي أيوب ناجي،المرجع السابق،ص 134.

[3]- المرجع نفسه،ص 129.

2- القصيدة الثانية: عنوانها غير محدد،عدد أبياتها 15، موضوعها دعاء من أجل النصر على الأعداء مع رجال التوفيق المسلمين وكتبتها باللغة الفولانية، وتاريخ كتابتها 1826، وهذا التاريخ الذي وقعت فيه المعارك بين البرنو والفوديين.

3- القصيدة الثالثة عنوانها غير واضح موضوعها مدح القرآن وبالتحديد سورة البقرة،وآل عمران والمائدة والأنعام والأعراف وبراءة...،لغتها الفولانية والعربية،عدد أبياتها 31،تاريخ كتابتها 1230هـ، 1830م.

4- القصيدة الرابعة:اسمها غير واضح عنوانها مرثية عبد الله ، لغتها فلانية ،عدد أبياتها31،مكانها مكتبة الوزير جنيد ومركز الوثائق بسكتو،تصف فيها مناقب عبد الله فمثلا في البيت الثامن: تقول كان شمس زمانه وأخوه عبد الله كان القمر وكلاهما قد أعطيا نورا.

وفي البيت السابع عشر، تصف عبد الله بن فودي بنهر النيجر ، شبهته بشهرته وسمعته في كل مكان كسمعة نهر النيجر.

5- القصيدة الخامسة، تاريخ كتابتها1249هـ،1834م،وصف القصيدة : أنها تبكي للميت كمثل المشركين الذين كانوا يفعلون قبل زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن الشيخ منع البكاء والنواح ،ولكنه لم يمنع البكاء بالدموع.

ثم أعطت الصورة الكاملة لوالدها الشفوقة الكريمة ، الشجاعة التي قضت كل حياتها في إعداد الطعام للجنود ،وأنّ أمها سياسية بارعة وخاصة في دورها العظيم في توحيد صفوف المسلمين، وأنها لم تقف بعيدة عن العلم، كلا فقد كانت عالمة، وصارت صوفية ورعة.

6- القصيدة هي عبارة عن كتاب تحت عنوان تبشرة الإخوان بالتوسل بسورة القرآن عند الخالق المنان، كتبتها باللغة العربية بتاريخ 1255هـ، 1839م،والمخطوطة تصف فيها الفائدة من تلاوة القرآن من سورة الدخان إلى سورة المائدة.[1]

7- القصيدة تحت عنوان مرثية المعلم بخاري، باللغة الفولانية،تاريخ كتابتها 1256هـ، 1839م،تصف فيها شجاعته وتعليمه وعلمه وتقواه وحسن نيته طبقا لأخلاق الشيخ عثمان بن فودي. وحددت فيها سبب الوفاة وزمن المرض الذي استمر لسنتين وسبعة أشهر قبل وفاته.

[1]- علي أيوب ناجي: المرجع السابق، ص 135.

وذطرت فيها بأنه كان وفيا وتقيا، ثم استمرت في الدعاء له رجاء منها أن تناله رحمة الله وتسكنه فسيح جنانه نتقول فيها يا إلهي إن هذه الوفاة لها وقع[1].

وهذه كانت ترجمت السيدة نانا أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي ، وقد بينت بأن المرأة تستطيع أن تفعل كل شيء وتشارك الرجل في الدعوة، ولم تخلق للبيت، بعدما أن أصبحت مكانتها تموت في زمنها.

2- علم التاريخ:

اهتم بهذا العلم كغيره من العلوم الأخرى ، إلا أنّ هذا العلم أعطوه أهمية كبيرة، إلى درجة أنهم كانوا يكتبون الوقائع التي كانت تدور في هذه القبائل، فكتبوا عن الهوسا وعن فلان، وكيف اندمجت القبيلتان مع البعض إلى أن صارت قبيلة واحدة، وأصبحت القبيلتان تتكلم لغة واحدة وهي لغة الهوسا الرسمية إضافة إلى اللغة العربية.

ففي هذا سوف أتحدث عن قبيلة فلان نموذجا عن اهتمام علماء الهوسا بها وبعلم التاريخ بصفة خاصة.

اهتمام علماء الهوسا بقبيلة فلان :

لقد سبق التعريف عن هذه القبيلة[2] وعن أصلهم، فقد ذكر آدم الآلوري في كتاب "الإسلام في نيجيريا، "أن قبيلة فلان من العرب منسوب إلى آل فودي، وقد نقله الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو عن أجدادهم وعلمائهم الثقات حيث أنّ الجد الأكبر لفلان عربي وهو عقبة بن نافع الفهري الصحابي الجليل[3] وأنّ الأم الكبرى هي رومية تدعى "بج مع" وهي بنت ملك لإحدى قبائل الروم تزوجها عقبة وأنجبت له أربعة أولاد صاروا فيما بعد آباء القبائل الفولانية بأسرها في بلاد ونغارة وغانا ومالي وتكرور وسنغي وبلاد الهوسا وبرنو[4]، وذكر محمد بيلو أن قبائل الفلان افترقوا إلى ثلاث فرق، وذلك للوقائع التي حدثت هناك في القرن 6هـ، 13م ، دخلت فرقة في بلاد فوتاتور وفرقة أخرى في فوتا جالوا وسكنوا هناك ،وفرقة عزموا على أن يسيروا إلى الشرق

[1]-علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص129-132..

[2]- ينظر تعريفها في ص 25

[3]- لقد سبق ترجمته في الفصل الأول ًص26.

[4]- آدم الآلوري: المرجع السابق، ص 34

ليدخلوا مع قبائل آبائهم العرب، فمضوا حتى وصلوا إلى هذه وأقاموا فيها، واستمر بعضهم حتى وصلوا إلى بلاد العرب واندمجوا معهم.[1]

وبهذا فقد انعقد على أن قبيلة فلان عربية و النسب يختلف فالكل ينسبها إلى شخص معين إلا أنّ الأصل عربي.

ومن هذه القبيلة ظهر منها علماء كان لهم دور في النهضة العلمية في قبائل الهوسا وهم عائلة آل فودي منهم الشيخ عثمان والشيخ عبد الله والشيخ محمد بيلو كما كان لأبنائهم دور كبير، إضافة إلى شيخهم جبريل .

لقد ألف هؤلاء العلماء كتب كثير حول هذه القبائل ومن بين ما كتبوا فيه هو علم التاريخ، ونموذج عن ذلك كتاب محمد بيلو "**إنفاق الميسور " بصفته كتاب تاريخ**، وكتب فيه كل الوقائع التي حصلت في هذه القبائل وما جاورها.

فقد ألف محمد بيلو هذا الكتاب وعرف المنطقة التي أرخ لها، إضافة إلى ثقافته الواسعة، وإطلاعه على المصادر العربية، فجعلته يدرك الغموض الذي ينتمي إليه هذا اللفظ[2] فعرف بلاد التكرور ورأى أنّ حدودها تبدأ من بلاد فور شرقا وتنتهي إلى آهير غربا، ثم تحدث عن علماء باغرم وبرنو وبلاد الهوسا وآهير،وكرس ما تبقى من الكتاب لترجمة ما دونه والده الشيخ عثمان، فتحدت بإسهاب عن حياة والده ودعوته للإسلام والمعارضة التي واجهها من أمراء بلاد الحوصا، وغزواته وكراماته،ومصنفاته ووزرائه وقواده وأبنائه وبناته، ثم تحدث عن مملكة سنغاي وعلمائها، واختتم الكتاب بالحديث عن ورد الطريقة القادرية وفوائدها .

وقد استعان بتاريخ السودان للسعدي فيما كتبه عن علماء سنغاي.[3]

هذا هو كتاب محمد بيلو الذي يعتبر المصدر الفريد من نوعه، والحجة التاريخية لهته المنطقة، خاصة أنّ آل فودي كان لهم الفضل في نشر الإسلام في المناطق المجاورة لهم، إذ كان لهم دور هام وملمس في تاريخ المنطقة لاسيما في مجال نشر الثقافة العربية والدعوة الإسلامية.

ومن بين الأدوار التي قام بها أبناء هاته القبيلة مايلي :

[1]- محمد بيلو: المصدر السابق، ص37

[2]- نفس المصدر، ص 38

[3]- الشيخ باي بن عالم، المرجع السابق، ص 194.

1ــ على أيديهم قامت أقدم إمبراطورية عرفت في الغرب الإفريقي جنوب الصحراء الكبرى وهي إمبراطورية التكرور نسبة إلى مدينة حملت هذا الاسم، منذ الألفية الأولى قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

وقد اشتهر هذا الاسم على مدار تاريخ المنطقة عند المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين، فلفظة الفلاتة مرادفة للتكرور، حتى أصبح أي إنسان ينتمي إلى الغرب الإفريقي يعرف بتكرور (المفرد) والجمع تكارير.[1]

2ــ على أيديهم قامت المماليك و الإمبراطوريات التي تأسست باسم الإسلام في منطقة الغرب الإفريقي، ولقد طبقت تلك المماليك والإمبراطوريات أحكام الشريعة الإسلامية مثل مملكة الإمام سليمان بال أو السليمانية، ومملكة الشيخ عثمان بن فودي التي تعرف أيضا بالإمبراطورية العثمانية، ومملكة ماسينا[2] التي كانت بقيادة الإمام أحمد لوبو، والمملكة العمرية الفوتية التي قامت في القرن 12هـ/ 19م .[3]

3- نهض أبنائها أمثال عائلة آل فودي بدور حيوي في نشر الدين الإسلامي بين سكان غرب ووسط إفريقيا،كما نشر ثقافة تحفيظ القرآن الكريم بين سكان المنطقة . وهم الأكثر انقيادا لهذا الدين وإسهاما في نشر ثقافته من خلال الأدب التأليفي وعن طريق المأثورات الشفوية المنقولة في إفريقيا جنوب الصحراء.[4]

4- أبناء القبيلة كان لهم الدور الأول بحركة الجهاد الإسلامي المسلح والمعلن في منطقة الغرب الإفريقي دفاعا عن هذا الدين الحنيف ضد طغيان الحكام والملوك الوثنيين الذين فرضوا بطش سيطرتهم ونفوذهم على الشعوب المستضعفة في تلك المنطقة في تلك فأسقطوا أنظمة الحكم الطاغية و حرروا الشعوب المستضعفة المقهورة. [5]

---

[1]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السابق، ص 32.

[2]- ماسينا تقع في الشمال الغربي بمنطقة السودان الغربي، أي في جمهورية مالي الحالية في منعطف نهر النيجر.

[3]- عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 314.

[4]- أحمد محمد كاني، المرجع السابق، ص83.

[5]- عثمان برايماباري، المرجع السابق، ص 314.

5- ساهموا في ترسيخ قواعد دولة المرابطين وذلك في القرن 5هـ/ 11م ، وفي هذا يقول البكري[1]، أنّ زعيم التكارير "لاب" قد تحالف مع يحي بن عمر المرابطي فى إخضاع القبائل الأخرى، وأنّ معظم الجنود قاتلوا مع المرابطين في الزلاقة[2] وكانوا من التكرور.

6- ساهموا في تأسيس دولة مالي، وذلك في القرن 6هـ/ 13م ، وذكر البكري "أنّ دولة مالي قد أسسها مجموعة من القبائل وهي ماندي، ونقرة، جولا، الفلاتة، توردبي فلاتة".[3]

7-ساهما في تأسيس دولة صنغي وذلك في القرن7هـ/ 14م ، وصنغي من الفلاتة والتكرور، يسكنون في المنطقة التي تقع مابين أرض هوسا و برقو ومالي، ولهاتين القبيلتين أثر مباشر في السودان، إذ ينتشر فلاتة مالي في جميع أنحاء السودان ابتداءا من تلس جنوب دارفور وانتهاء بالقضارف والقلابات وطوكر وبور تسودان و الإقليم الأوسط والمفازة وحواتة وبربر، ومن هؤلاء الكثير من لا يتحدث إلاّ باللغة العربية.[4]

ويرجع الفضل لهذه القبيلة في تأسيس دولة وخلافة سوكوتو 1219هـ /1324هـ، 1906/1804م ، التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي الذي أبرز جوانب عديدة ليس من السهل توفرها في شخص ذي رباط متعلق بالله، مما جعل أهله يعتقدون فيه أنه المهدي المنتظر، فكتب لهم كتاب قال فيه :" فاعلموا يا إخواني أنّ إدعاء المهدية مما ابتلى الناس قديما و حديثا".

8- استطاعوا أن يضموا مدن الهوسا كلها إليهم، كانو، كاتسينا، زنفرا، دورا... ومن هنا أصبحت قبيلة فلان والهوسا جزء لا يتجزء عن بعضها البعض.[5]

إضافة إلى هذا كله فقد قاوموا الإحتلال الإستعماري الإنجليزي والفرنسي والبرتغالي، وثقافتهم التبشيرية والمسيحية التي سجلها تاريخ المنطقة بأحرف من نور، وكانت التجربة القاسية والأشد ضراوة التي مرت بها السلطات الاستعمارية في تاريخ الاحتلال هي مقاومة الإمامية العمرية الفوتية

---

[1]- البكري : ابي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ص 12

[2]- موقعة الزلاقة هي الموقة الشهيرة التي إخذها يوسف بن تاشفين ضد ألفونسو السادس، وكان النصر حليف المسلمين، أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص288.و ابن أبي زرع، الروض المعطار، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط2:1420 هـ، 1999م.ص 132

[3]- البكري، المصدر السابق، ص 14

[4]- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السابق، ص 38.

[5]- ك.مادهويانيكار : المرجع السابق، ص 286.

(1312/1217هـ- 1903/1862م) التي استمرت قرابة سبع سنوات و لم تستطع القوات الفرنسية التغلب عليها إلاّ بعد وصول إمدادات وتعزيزات عسكرية من فرنسا، والاستعانة ببعض القبائل المحلية التي جندتها السلطات الاستعمارية الفرنسية، إضافة إلى أن الوضع البيني للمناطق النائية التي كانت القوات العمرية متمركزة فيما بعيدا عن المناطق الساحلية الخاضعة لسيطرة سلطات الاحتلال قد حال دون تقدم قواتها نحو المعاقل التي ينطلق منها الجيش العمري.[1]

هذه كانت بعض الوقائع التاريخية حول قبيلة فلان وعن إسهاماتهم التاريخية التي قاموا بها اتجاه القبيلة مما أدى إلى ظهور علماء كتبوا عنها وعن وقائعها وهم أبنائها.

ومن هنا نستنتج أن علماء القبيلة اهتموا بعلم التاريخ كعلم من بين غيره العلوم ، وأنهم كانوا علماء مميزين كتبوا كل ما لاحظوه ودونوه في كتبهم، إضافة إلى العلوم الأخرى التي اهتموا بها كالعقيدة والسنة النبوية.

ومن أشهر العلماء الذين برزوا في هذا المجال هو الشيخ محمد بيلو ، وهذه ترجمة الشيخ نوجزها فيما يلي، إضافة إلى هذا الشيخ فقد برز كذلك أبوه عثمان وعمه عبد الله بن فودي في هذا المجال وقد سبقت ترجمتهما في المبحث الأول

محمد بيلو 1195ـ1253هـ، 1780ـ1837م

1- المولد و النشأة:

ولد محمد بلو[2] سنة(1195هـ، 1780م) في بيت علم ودين، فهو ابن الشيخ عثمان بن فودي مؤسس الدولة الفولانية الإسلامية التي استمرت أكثر من مائة سنة (1219هـ 1320هـ،1804م،1903م).

نشأ بلو في بيئة كلها علم، حيث كانت الظروف مهيئة له ليتشبع بتعاليم الإسلام منذ صغره ، درس على يد والده العلوم الإنسانية، وأخذ على عمه العربية و البلاغة، كما تنقل من بلد إلى آخر بحثا عن المزيد من العلم .

---

[1]- عثمان برايما باري، المرجع السابق ص314، محمد بلو، المصدر السابق، ص، الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السابق، ص 52.

[2] - بلو: لفظة بيلو أو بلو تعني بلغة الفولاني الصحاب و الوزير و النصير، ينظر الأنترنت يوم السبت 2007/04/07، من الساعة 11:30سا، 12:00سا. www .islamonlin.net

عرف محمد بلو بحبه للعلم وتجواله عبر البلدان بحثا عن العلم والكتب للدراسة، عرف بشغفه بالثقافة العربية وإكرامه للعلماء.[1] حتى أصبح ملجأ للعديد منهم العلماء، التجأ إليه الحاج عمر طل[2] طالبا للعلم مقتديا بآراءه، فاستضافه بلو وجعله بجواره ومكث بجانبه مدة تقرب من اثني عشرة سنة.[3]

كان محمد بلو يكره الجهل والجهلاء، ويجبر الناس على التعليم، ويقرهم على عدم تركه، ويتدارسه.[4]

في عهده عمرت بلاد الهوسا، وبث فيهم العلم وأتاه العلماء من كل البلاد، قبلهم بعين الرضى، وأحسن إليهم أحسن إحسان، إذ كان كلما جاءه عالما لا يرده، فيكرمه ويوفر له كل ما يجب، ومن خلال هذا العمل عرف بلو بحبه للعلم وتقريبه للعلماء.[5]

عرف بلو بقوة شخصيته القوية والعظيمة وبعد نظره للوسط الذي نشأ فيه، إذ ترعرع في وسط يبث بالعلم، وتعاليم الإسلام، وعرف بزهده في الحياة وبساطته، إذ كان يزرع مزرعته بنفسه ويعمل فيها لكي يأكل من كسب يده[6]، كما كان يحرص على تعليم أفراد مجتمعه مختلف الصناعات،فيه يقول صاحب تاريخ سوكوتو: "كان عادلا ورعا، يأكل من كسب يده، ولا يأكل من بيت المال أصلا، وقد قال لوالده في ابتداء الجهاد :"يا شيخ قد عدم الحال، وأنت لابد أن تأكل قدر الضرورة من هذا المال، وأما أنا فأكسب لنفسي لأني شاب".[7]

وبعد أن تحدثت عن هذه الشخصية القوية فلا يسعني إلا أن أذكر صفاته الحميدة حسب ما ذكره صاحب تاريخ سوكوتو الذي كان معاصرا له:" كان طويل أصلع، طويل اللحية، كثيفة،

---

[1]- محمد بلو : المصدر السابق، ص09.

[2]- زعيم سوداني ولد سنة1797.

[3]- محمد بيلو، المصدر السابق، ص09.

[4]- Thomas Hodgkin :Nigerian perspectives ,an historical anthology second Edition,p290.

[5]- محمد بلو : المصدر السابق، ص 09.

[6]- Thomas Hodgkin,OP.CIT , P 290.

[7]- مؤلف مجهول : تاريخ سوكوتو، منشور بآخر تذكرة النسيان، باريس 1901م، ص197.نقلا عن محمد بلو : المصدر السابق، ص 10، و Thomas Hodkin ,OP.CIT ,P290

ملثم دائما، لا يحسر اللثام عن وجهه" كما عرف بجرأته وكفاءته الحربية، فقد كان يخوض معاركه، ويقود الجيوش بنفسه خلال حروبه ضد أمراء الهوسا.[1]

2- سياسة محمد بلو:

ولد بلو في عصر كانت تسيطر عليه الجاهلية العمياء، والجهالة الخرقاء، والحكومات الظالمة، وتطلعات الصليبية العالمية في ابتلاع ما تبقى من العالم الذي مازال لم يدخل تحت سيطرتها، وكان سن والده ثمانية وعشرين سنة، ولشدة ذكائه تعلم أصول الدين في سن صغير.

فلما بدأ الشيخ عثمان بن فودي حركته، كان محمد بلو مراهقا، فلازم والده في كل رحلاته لنشر دعوته، وأبلى البلاء الحسن في تأييد والده ونصره، وبعد أن تغلغلت أصولها في قلبه صار من قادة الجيوش ومن الوزراء، وقد شهد الغزوات* وثمّ على يده غزو غوبير و فتحها.[2]

ونتيجة لقوة عزمه وصلابته، قلده والده منصب قيادة الجيش على الناحية الشرقية وتَمِّ ذلك في سنة 1223هـ، 1808م[3]، وهذا القسم الذي أورثه أبوه يعتبر القسم الأهم من الإمبراطورية، وهذا الأخير قام ببناء عاصمة له وسماها سوكوتو، وقام بتشييدها بنفسه وكان هذا في سنة 1224هـ، 1809م.[4]

ولما تَمِّ بناؤها دعى أباه للإقامة بها، وكان آنذاك بسيغاوا sigawa معتزلا أمور الحكم متفرغا للتدريس وتعليم الناس، ونشر دعوته إلى سوكوتو عام 1231هـ. 1815م ونزل في مترل بناه له محمد بلو وبقي هناك إلى أن توفي سنة 1233هـ، 1817م.[5]

وبعد وفاته نصب محمد بلو نفسه بصفته خليفة لأبيه، وبهذا تمت له البيعة بصفته أجدر من يقوم بالخلافة علما وورعا، ودراية بالسياسة، واستعدادا للتصرف الحكيم والسريع عند الضرورة ومواصلا بذلك رسالة أبيه التي كان لها أثرا كبير في إحياء الدعوة الإسلامية.[1]

---

[1]- محمد بلو المصدر السابق، ص 10.

*- أمثال قبائل الهوسا

[2] - علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص119.

[3]- www.googel.com,Islamonlin.net, Le 7/4/2007

[4] - إسماعيل العربي: حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3ش زيغوت يوسف الجزائر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، ط :1984م، ص280.

[5]- علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص .119

كان عصره حافلا بالفتن والاضطرابات، والحروب الأهلية مع القبائل التي رفضت الخضوع لسلطانه[2] وبهذا يكون قد واجهه مشكلا أمامه وهي نوعية السياسة التي يمكن انتهاجها مع هذه القبائل حديثة العهد بالإسلام، والمتعرضة للانتفاضة بين الفينة والأخرى، فقد امتد نفوذه على مجموعة قبائل الهوسا الممتدة ما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد، مما يصعب معه إمكانية ضبطها إنطلاقا من العاصمة سوكوتو، فكان عليه أن ينطلق من التكوين لإمارة الهوسا السبع.[3]

ويعتبر محمد بلو شخصية قوية وحسنة التدبير في شؤون تسيير بلاده، فقد اتبع سياسة محكمة لنجاح دولته، فقد ذكر في كتابه "انفاق الميسور" السياسات التي اتبعها للتخفيف من حدة الاضطرابات.

1- أسلوب الرباط:

اختار محمد بلو أسلوب الرباط الذي اعتبره بمثابة هجرة ثانية، هجرة في هذه المرة لإعداد النفس وتدريبها، وذلك لحماية المجتمع الإسلامي، فقد كان أسلوب الرباط خير وسيلة لمواجهة الإضطرابات وعمل بلو على أن يشتمل كل رباط على طبقة محاربة بالإضافة إلى نواة دينية مكتملة لبث تعاليم الإسلام بين الناس، وتفقيههم في شؤون الدين، ثم حاول أن يطبق فكرة والده في جعل نظام الرباط نظاما للمجتمع ، ونجح فعلا في محاولته، حيث أصبح الرباط نظاما دفاعيا واجتماعيا للمجتمع الجديد.

وبهذه السياسة التي استعملها بلو للدفاع عن بلدته يكون قد حقق جزء من توطيد العلاقة بين رعيته.

2-تطبيقه للشريعة الإسلامية:

حاول محمد بلو أن يتبع سياسة دقيقة خاضعة لمبادئ الشريعة الإسلامية، وعمل على تطبيق هذه السياسة في جميع المجالات، فقد حاول أن يثبت ويرسخ الدين الإسلامي في نفوس الرعية، رغم الصعوبات التي واجهته من إخراجهم من الوثنية التي كانت طاغية عليهم،بعزيمته كان يحاول القيام بإصلاحات اجتماعية، فكان يطبق الحد على الأفعال مثلما جاء في كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فطبق الحد على السرقة والزنى وغيرها، محاربا لهذه الأفات.

---

[1] – جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص 331.

[2] – حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 122.

[3] – محمد بيلو، المصدر السابق، ص 11.

وفي هذا يقول صاحب تاريخ سوكوتو"وبعد رجوعه من بربوش، أوتي بالزانيات، وأمر الشيخ عمر وإمام المسجد خليل بن عبد الله مع كثير من العلماء برجمهّن"

وحرص على تطبيق هذه السياسة حيث كان يراقب بنفسه الحكام والقضاة وينقض أحكامهم التي وقعت على وفق أهوالهم.

وزيادة على ذلك فقد كان يطبق الشريعة الإسلامية داخل بلاده بتقليد أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي ميدان الدفاع مثلا، قلد الرسول الكريم في فكرة حفر الخنادق، وتحصين المدن، وكان يشارك بنفسه في تحصين المدن التي أشأها اقتداءا بالرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أحاط المدينة بخندق.[1]

وبهذا يكون محمد بلو قد طبق الشريعة الإسلامية بأكمل وجه، وقد واصل رسالة أبيه التي كان قد بدأها، إضافة إلى هذه السياسة المحكمة التي اتبعها فقد اتبع سياسة أخرى وهي خارج بلدته.

3- سياسته الخارجية:

حرص محمد بيلو على ربط علاقات طيبة مع الخارج، فاشتهر بالعدل، حتى تكلم المؤرخون المسلمون وغير المسلمين عنه، منهم بارت الألماني وكلابارتون الإنجليزي في سنة 1240هـ، 1824م الذان زارا سوكوتو، وأنه كان زاهدا، ورعا، وكريما عفة وحياءا.[2]

إذ لما رحل كلابارتون سلمه رسالة بعث بها إلى ملك إنجلترا يحثه فيها على حسن معاملة الرعايا المسلمين[3]، كما طلب منه تزويده بطبيب و قنصل، إلا أنه كان يحتفظ بالمسيحيين، ذلك أنه لم يسمح لكلابارتون بمتابعة رحلته خلال زيارته الأولى سنة1240هـ، 1824م.[4]

وقد ربط محمد بلو أيضا علاقات حسنة مع بعض الدول العربية، منها علاقته مع سلطان المغرب مولاي سليمان الذي أرسل له و لوالده الشيخ عثمان بن فودي رسالتين يشجعهما فيهما

[1]- محمد بلو، المصدر السابق، ص 13.

[2]- علي أيوب ناجين المرجع السابق، ص 120.

[3]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 122، ومحمد بلو، المصدر السابق، ص 13.

[4]- محمد بلو المصدر السابق، ص 13.

على حركتهما الإصلاحية وإحيائهما للديانة الإسلامية في تلك الأقطار[1]، إضافة إلى علاقته مع ليبيا، طرابلس، وسلطان آهير محمد الباقري.[2]

3- وفاة محمد بلو:

وبعد أن تمكن من القضاء على معارضيه وذلك في سنة 1236هـ، 1820م حول عاصمته من سوكوتو إلى ورنو، نظرا لموقعها المنفرد بينها وبين غوبير، في تقع نحو خمسة وعشرين ميلا من سوكوتو، متخذا إياها رباطا له وذلك لموقعها الاستراتيجي بينه وبين الغوبير والطوارق، ورغب في أن يموت ويدفن بها مرابطا لكي لا يطوى سجله، ويكتب إلى يوم الحساب.[3]

وعندما قربت وفاته بقي بلو طريح الفراش لمدة سبعة أشهر بسبب مرض أصابه، وقد أوصى أبناءه بأن لا يطلبوا الملك بعده، ورفض أن يعين خليفة من بعده، وسأله أحدهم قبل موته، تتركنا في يد من ؟ قال: تركتكم في يد الله، فقال له :الشيخ قدمك في هذا الأمر، قال الشيخ يعرفني وأنا لا أعرف أحدا منكم كمعرفة الشيخ لي، وأنا لا أوصي أحدا يتنعم في ملكه، أعذب بسببه في البرزخ كلا. ولكن إياكم والاختلاف.[4]

4- مؤلفات محمد بلو:

عُرف محمد بلو بغزارة تأليفه، وشغفه بالعلم، وتعمقه في أمور السياسة والدين في آن واحد. فزيادة على أنه كان رجل حرب وسياسة، فقد كان أيضا يهتم بمشاكل رعيته الدينية والاجتماعية والأخلاقية، فكان هذا من الأسباب التي جعلت إنتاجه يأتي بالإضافة إلى غزارته، متنوعا في مواضيعه.

---

[1]- نص هذه الرسالتين موجودتان في كتاب محمد بلو، المصدر السابق، ص292.

[2]- محمد بلو، المصدر السابق، ص 14.

[3]- علي أيوب ناجي، المرجع السابق، ص:120.

[4]- محمد بلو، المصدر السابق، ص 14.

تنوعت مؤلفاته، بتنوع مشاغله، فجاءت معبرة عن شخصيته وبيئته، مصورة لأهم الأحداث التاريخية التي عاصرها، وللميزات الاجتماعية لعصره، لقد ترك محمد بلو رصيدا مهما من المؤلفات لم يتركها أي عالم سوداني قبله ولا بعده، حيث كتب ما يفوق عن مائة مؤلف[1]

فهذه بعض مؤلفاته التي تركها الشيخ محمد بلو:

1- في التاريخ:

- إنفاق الميسور، في تاريخ بلاد التكرور.هو عبارة عن تاريخ علماء تكرور عامة بما في ذلك تحركات الفلاني منذ القرن الثامن الميلادي إلى عهد عثمان بن فودي، هذا بالإضافة إلى أوصاف المعارك الكلامية و الفكرية في مفهوم دار الحرب ودار السلام بين محمد الأمين الكانمي سلطان برنو وعثمان بن فودي، مع وصف المعارك الحربية بدقة وصدق.
- البرد اليمني، في أخبار أويس القرني[2].
- مفتاح السداد، في أقسام هذه البلاد
- النقول النواطق، في شأن البربر و التوارق.
- وثيقة إلى جماعة المسلمين.[3]

2- في التصوف :

- البرد اللامع، في الورد الجامع.
- البدور المسفرة، في الخصال التي تدرك بهاالمغفرة.
- الدرر الظاهرية، والسلاسل القادرية.
- رفع الإشتباه، في التعلق بالله و بأهل الله.
- كتاب الرغبة.

3- في الجهاد :

[1]- محمد بلو، المصدر السابق، ص ص14ـ16.

[2]- توجد نسخة منه في نيامي تحت رقم 272/ونسخة أخرى بزاريا تحت رقم 155/1.

[3]- توجد نسخة منه في أبادان بنيجيريا بمركز الوثائق تحت رقم 393،وبنيامي تحت رقم142،وبسوكوتو بمركز التاريخ تحت رقم 464،وبزاريا بنيجيرياتحت رقم8/6-82/1-85/4.

أقوى أسباب النصر للمجاهدين .

كتاب الرباط و الحراسة.

كفاية المهتدين، في أمر المخلفين في المجاهدين.

كشف الغطاء والستر في موالاة الكفار.

قدح الزناد، في أمر هذا الجهاد.

4- في الدين :

أفراد من يصلي الله عليه و ملائكته.

إشارة وإعلام في بعض أمور صلة الأرحام.

أقسام المجاهدين.

الترجمان،في كيفية وعظ الشيخ عثمان.

تمهيد العباد، فيما زاد عن عمدة العباد.

5-في الطب:

تلخيص مصوغ اللجين، في أمراض العين.

تنبيه الإخوان، على أدوية الديدان.

طب النبي.

الطب الهين، في أوجاع العين.

القول المنثور قي بيان أدوية الباسور.

6- في السياسة:

- الإتصاف، في ذكر ما في مسائل الخلافة من وفاق وخلاف.
- أصول السياسة، وكيفية المخلص في أمور الرئاسة.
- إفادة الإخوان، يتناول سياسة الإمام مع رعيته، ومتى يحق له عزل نفسه وتعيين غيره.
- الإشاعة في حكم الخارجين عن الطاعة.

- شفاء الأسقام في مدارك الأحكام.

7- في الشعر:

- تخميس البردة.
- تخميس بانت سعاد.
- تخميس همزية البوصيري.
- منظومة في فتن المتصلة بخروج المهدي.
- شرح القصيدة الطائية البدماصية.نسبة إلى أبي عبد الله شمس الدين محمد البدماصي المالكي.

8- في العلوم:

- التنوير في علم التبصير.
- الكافي، في علم ال
- جفر و الخوافي.
- سؤال جمع غفير عن شأن نجم طلع في صفر 1241هـ /1825م

9: مراسلات و مواضيع مختلفة:

- رسالة إلى جماعة المسلمين.
- رسالة في أصل السعادة.
- رسالة للأمراض شافية فيها نصيحة للأغراض الكافية.
- حاشية على مقدمة إيداع النسوخ،وإيداع النسوخ هو مؤلف لعمه عبد الله بن فودي يتناول فيه تراجم للشيوخ الذين قرأ عليهم.

تحليل كتاب انفاق الميسور،

يعتبر هذا الكتاب مصدرا فريدا من نوعه ،كان محمد بلو عالما واسع الإطلاع ،وبهذا يكون أدرى من غيره بما كتب عن بلده،ويمكن اعتباره أول مِلف ينقل لنا أخبار هذا القطر ،فقد استقى لنا

أخباره من أفواه معاصريه ومن كتب الأقدمين فجمع في كتابه ما لم يتأت لأحد من قبله، خاصة فيما يتعلق بالسودان الأوسط.

ففي كتابه عرف لنا بلاد التكرور وهي المنطقة التي أرخ فيها كتابه، فحددها تحديدا دقيقا من الشرق إلى الغرب،مبتدأ بإقليم فور ثم يتتبع كل الأقاليم الداخلة في بلاد التكرور،كل واحدة على حدة،فيحدد الإقليم ويصفه،ويذكر أصل سكانه ، ثم يسرد الأحداث التي وقعت به، ثم يذكر بعد ذلك عادات وأخلاق القطر، لينتهي في الأخير بسرد لأشهر علمائه.

وبعد أن انتهى من الكلام على بلاد التكرور وأقاليمها وأهلها، انتقل إلى الترجمة لوالده، فقدم ترجمة وافية له حيث بدأ بذكر من تنبأ بظهوره من الأولياء،ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر نشأته وتشعبه بروح وتعاليم الإسلام، ثم توجه للدعوة وإرشاد الناس مع الإشارة إلى ما كان سائدا في البلاد من الكفر والفسق والبدع، ليمر بعد ذلك إلى الطريقة التي انتهجها عثمان بن فودي لنشر أفكاره ومبادئه بين الناس،فيذكر ما كان يحدث به الناس في مجالسه من أمور الدين والوعظ والإرشاد سالكا في ذلك طريق التلقين والإقناع.

وبعد هذا انتقل إلى وصف حدث الهجرة التي قام بها أبوه وجماعته، للتخلص من جور أمير غوبير ثمّ ينتقل غلى مرحلة الجهاد، وهنا يصف المعارك التي خاضها هو وأبوه ضد حكام الهوسا الكفار، دون أن يغفل الحديث عن المناظرات التي جرت بينه وبين الكتنمي، أو الرسائل التي وردت عليهم من باقي البلدان الإفريقية والإسلامية، كالرسائل التي وصلته من المولى سليمان سلطان المغرب.

وفي الأخير ختم المؤلف كتابه بخاتمة ذكر فيها مؤلفات أبيه الشيخ عثمان بن فودي ، وذكر أولاده ووزرائه وخدامه وعماله، معطيا بذلك فكرة عن تنظيم الدولة الإسلامية ببلاد السودان.

ومن خلال ما ذكر نلاحظ أن محمد بلو كان له تصور منهجي لكتابه قبل أن يشرع في تحريره، فهو لم يذكر الأحداث عرضا كما هي، بل أخضعها لعدد من المحاور التي اختارها، حيث أنه بدأ بالتعريف بالمنطقة المحروسة ، ثم انتقل منها إلى صلب الموضوع وهو التعريف بأبيه وبحركته الإصلاحية، لكن دون أن يغفل عن إعطاء صورة لمجتمع التكرور قبل قيام حركة أبيه،ثم انتهى في الأخير بإعطاء نظرة عن التنظيم السياسي والإداري للدولة.[1]

[1]- محمد بلو: المصدر السابق، ص 11

فهذا كان تعريف بالشخصية التاريخية وهي محمد بلو الشخصية الفريدة من نوعها فقد كتـــب في علم التاريخ بحيث أنه كان عالما واسع الإطلاع، وبهذا يكون أدرى من غيره بما كتب عن بلده.

خاتمة

من كل ما سبق ، يمكن أن نلخص في النهاية إلى مجموعة من النتائج:

الهوسا هي مجموعة قبائل ، تتكون من سبعة قبائل ، وهي "كانو ،كاتسينا، زنفر، غوبير، رانو، داورا، كبي" تقع كلها في شمال نيجيريا، دخلها الإسلام في وقت مبكر جدا،كانت التجارة تربط بين بعض مدنها، وبين بعض بلاد شمال إفريقيا ، وذلك منذ القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، ،إذ قام تجار من العرب الوافدون من شمال إفريقيا بدور فعّال وملموس، فنشروا تعاليم الإسلام بين أبناء بلاد الهوسا ، ودخل سكانها إلى الإسلام على أيديهم ، وبهذا فقد دخل الإسلام إلى بلاد الهوسا من كل الجهات ، إذ دخلها الإسلام عن طريق الوانغاريين القادمون من مالي ونقلوا الدين الإسلامي إليها.

شهد القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، هجرة جماعية لقبيلة الفولاني أو الذين نزحوا من أقصى الغرب الإفريقي إلى وسطه وشرقه، حيث بدأت الأنشطة الثقافية وقاموا بمحو الأمية على أيديهم ، خاصة بين الطبقة الحاكمة والأرستقراطية، وأصبح الإسلام دينا رسميا للهوسا وذلك في عهد الملك محمد رومفا ، الذي أبدى اهتماما بالغا بنشره متعاونا في ذلك مع العلماء ، كما أدخل إصلاحات دينية كثيرة في السياسة وإدارة إمارته والمناطق المجاورة لها، فاستبدل العادات والممارسات الوثنية القديمة السائدة بين الناس بالممارسات الإسلامية.

يتكلم سكان الهوسا لغة الهوسا ، وهذه اللغة شبيهة بلغة الطوارق، إضافة إلى اللغة العربية لغة الدين الإسلامي، وبدأت هذه اللغة تستعمل منذ دخول الإسلام إليها ، الذي غير لغة التخاطب بين سكانها.

كانت علاقة قبائل الهوسا فيما بينهم، علاقة تنافر وود في نفس الوقت، إذ كانت كل قبيلة مستقلة عن بعضها البعض ، إلاّ أنهم في حالة الخطر الخارجي يتحدون و يكونون قبيلة واحدة ، وذلك من أجل الدفاع عن بلدهم المشترك ألا وهي الهوسا،فهذا فيما يخص العلاقة الداخلية، أما من جهة العلاقة الخارجية فقد كانت علاقة ود وحماية من جهة ومن جهة أخرى علاقة صراع من أجل التوسع والحكم والتسلط على قوى الضعف ، مثل ما كان مع مملكة كانم وبرنو، ومملكة سنغاي، غير أنّ هذه القبائل استفادت من هذه العلاقة سياسيا وثقافيا،مما جعل وفود العلماء يأتون إليها من كل الجهات.

شهدت المنطقة بنهاية القرن الخامس عشر قدوم علماء مسلمين من المغرب العربي ومن السودان الغربي ، إلى المنطقة وقيامهم بالتدريس ونشر الوعي والثقافة الإسلامية بين أهلها، وكان من بين الذين وفدوا من الشمال الإفريقي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ) وهو من أعلام الإسلام في القرن 9هـ ، 15م ، وكذلك من العلماء الذين جاءوا إلى الهوسا القاضي محمد بن أحمد التادخي من علماء كاتسينا، والشيخ عبد الله ثقة الفلاني الكشناوي، والشيخ هارون الزكزكي والشيخ علي جب والشيخ جبريل بن عمر، شيخ شيوخ زمانه وهو الرجل الذي يأثر به الشيخ عثمان بن فودي، وكان له دور و جهد بارز في محاربة البدع و الفساد في الهوسا.

كل هؤلاء العلماء ، وعلماء آخرون كان لهم دور بارز في جعل هذه القبائل قوية ،ومهمة في نفس الوقت كونها أنها جمعت العلماء من شتى البلاد فيها،كل هذا أعطاها مكانة وقوة علمية ،مما

جعل بعض القبائل تبرز وتظهر في الوجود وتكون إلى مراكز علمية قوية ، وصلت شهرتها إلى غرب إفريقيا، إضافة إلى ظهور بعض العلماء من أبناء هذه القبائل أمثال عائلة بن فودي ،عثمان بن فودي الذي كان امتدادا طبيعيا لهذه البلاد (الهوسا).

ظهرت مراكز ثقافية في بلاد الهوسا في القرن12هـ ،18م خاصة مدنها الرئيسية زاريا،كانو، كاتسينا، وكان العلماء ينتقلون إليها إما للتدريس أو لتحصيل العلم.

برزت قبيلة كانو كأقوى المراكز العلمية في غرب إفريقيا خصوصا لما سقطت مدينة جني وتمبكتو، أصبح الطريق مفتوح أمامها، حتى أصبح الوافدون إليها من كل البلاد إما للدراسة أو للتدريس في مدارسها التربوية، وإضافة إلى ذلك فقد اشتهرت بالتجارة وجودة المنتجات التي أبارة إعجاب الخارجين ، وقد عرفت بأسوارها العظيمة ، وبواباتها الشهيرة، حيث يوجد بها مساجد ومدارس للتعليم وتثقيف سكانها لرفعهم من الجهل، ولكن كانت شهرتها أكثر في ميدان التجارة.

احتلت كاتسينا كذلك مكانة عالية ،كونها تشارك كانو في الصدارة العلمية، غير أنّ كانو اشتهرت بالتجارة واشتهرت كاتسينا بالعلم، مما جعل الوافدون إليها من كل الجهات للدراسة والتدريس وصلت شهرتها خارج القبائل مما جعل العلماء يأتون إليها للتدريس وحتى من تمبكتو وجني وغاو هذا كله ساعدها على أن تحتل مكانة علمية وزادها قوة وشهرة في داخل البلاد وخارجها وصلت حتى غرب إفريقيا، وكل هذا جعل الجعل الحركة العلمية تتحرك إلى الأمام، وأخذت تشق طريقها لنشر الثقافة العربية الإسلامية.

أما زاريا فهي لا تقل أهمية عن كانو وكاتسينا إلا أنها شهرتها لم تصل مثليهما، ولكنها ساهمت معهما في رفع الهوسا إلى الشهرة العلمية، حيث أنها تقع في الجنوب، فظهورها أعطاها مكانة في الجنوب كونها مركز حضاري إسلامي فيها.

وبفضل ظهور هذه المراكز العلمية بالهوسا جعل علمائها يهتمون بالعلم ويرفعونه إلى الأمام، فقد اشتهر علمائها بشتى العلوم ، وخصوصا أنّ المذهب المالكي طغى عليها ،فقد اهتموا بالسنة النبوية الشريفة اهتماما كبيرا، حتى أنهم قاموا بترجمة بعض كتب الحديث إلى لغة الهوسا، ليبرزوا اهتمامهم بها.

لقد اهتم علماء الهوسا بكثير من العلوم ، وكل هذا ساعدها على التطور العلمي ، وزادها قوة ومكانة علمية ،ومن بين العلوم التي اهتموا بها العقيدة الإسلامية، وذلك منذ دخول الإسلام إلى القبيلة وحاول العلماء بكل قواهم هدم العادات الجاهلية شيئا فشيئا حتى أصبح الدين الإسلامي يطغى على القبيلة ،حتى أصبحت العقيدة الإسلامية هي الأساس.

كما اهتم علماء الهوسا بالسنة النبوية الشريفة نسبة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، واهتموا بها كثيرا لأنها مكملة للقرآن الكريم، يفسرون الأحاديث النبوية الشريفة حتى أنهم كانوا يدارسونها في مجالس العلم ،وكان من بين الكتب التي أعطوها أهمية هي الكتب الستة ،وهي "صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترميذي ، سنن النسائي، سنن ابن ماجه" وهذه الكتب تعلموها ودرسوها وعلموها لطلابهم في مجالسهم العلمية، إضافة إلى هذا كله فقد

تخصص علماء كثيرون في هذا المجال ، وكان من بينه الشيخ مالم زاغي الذي كان يحفظها عن ظهر قلب، والشيخ أبو بكر غومي الذي اشتهر بترجمة صحيح البخاري من العربية إلى لغة الهوسا.

كما اهتم علماء الهوسا بنشر كتاب صحيح البخاري ،ونقلوا معارفه إلى لغة الهوسا، الشبيهة بلغة الطوارق،كما أنها حاربت السنة النبوية بدع الصوفية التي كانت القبيلة متأثرة بها.

وإضافة إلى هذه الكتب، فقد اهتم علمائها بكتاب بلوغ المرام، وهذا الكتاب مهم جدا، أعطوه أهمية كبيرة ،بحيث وجدت فيه مصطلحات علمية جديدة ،لم تألفها القبيلة من قبل،فقد قاموا بترجمته إلى لغة الهوسوية لدراسته في حلقات العلم. وزيادة على هذه الكتب فقد كتب الشيخ عثمان بن فودي كتب كثيرة في هذا المجال ،هذا دليل على اهتمام علمائها بالسنة النبوية الشريفة،إضافة إلى هذا فهو أحد أبناء القبيلة، ومن بين ما كتب إحياء السنة وإخماد البدعة، ولم يكن هو الوحيد فقد كتب أخوه وابنه كذلك في هذا الباب.

كما اهتم علمائها بعلم التاريخ الذي لا يقل عن العلوم الأخرى ،غير أنّ هذا العلم أعطوه أهمية كبرى ،فكانوا يكتبون كل الوقائع والأحداث التي تحدت لهم ولقبيلتهم ،ويدونها في كتبهم، ويكتبون عنها بالتفصيل،كما كتبوا عن قبيلة فلان التي أنجبت علماء كثر، كان لهم الفضل في نشر الدين الإسلامي، ومحوا كل البدع والخرافات التي كانت تحدت هناك .

فتاريخ هذه القبيلة كبير فهي من أصل عربي منسوبة إلى آل فودي ،ومنهم من ينسبها إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري ،إلاّ العلماء اتفقوا على أنها عربية ،غير أنّ النسب يختلفون فيه.

ظهر من هذه القبيلة علماء كان لهم الفضل في النهضة العلمية بالهوسا وما جاورها، وهؤلاء العلماء هم من عائلة آل فودي ،وألفوا كتب كثيرة في علم التاريخ ، وكتبوا عن قبيلتهم فلان وعن كل الوقائع التي كانت تحدث في القبيلة، فقد ألف الشيخ ابن عثمان بن فودي محمد بلو كتاب انفاق الميسور ،جاء فيه وقائع وأحداث جرت للقبيلة ،كما أنه المنطقة التي أرخ لها.إضافة إلى ثقافته الواسعة وإطلاعه على المصادر العربية ،فقد عرف بلاد التكرور، كما تحدث عن علماء قبيلة الهوسا.

لم هذا الشيخ هو الوحيد الذي كتب عن تاريخ هذه القبيلة ،فقد كان هناك علماء آخرون كتبوا وألفوا كتب كثيرة منهم عثمان وعبد الله بن فودي.

كل هذه العلوم التي اشتهرت القبيلة فيها كان هناك علماء يقومون بتأريخها وتدريسها في القبيلة ،كان لهو الفضل في حركة العلم بالهوسا، وخصوصا القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر الميلادي ،الذي يعد من أفضل القرون للنهضة العلمية ،وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ عثمان بن فودي ،مؤسس دولة سوكوتو، وصاحب الفضل في نزع الخرافات والأفكار الجهلة بالقبيلة، فقد كان هذا الشيخ ورعا وذكيا ،بحيث أنه كان يحارب بالسيف والقلم من أجل هدم كل البدع والخرافات ،وإصلاح المجتمع الهوسوي، غير أنه واجهته معارضات من طرف بعض العلماء ،إلاّ أنه كان يقف لها بالمرصاد من أجل كلمة الدين الإسلامي .

مرت بحياة الشيخ ثلاث مراحل وهي:

- المرحلة المبكرة نوهي ما قبل إعلان الجهاد وهي مرحلة توجيه الأمة.

- المرحلة المتوسطة ،وهي المرحلة التأسيسية للدولة.
- المرحلة الأخيرة ،وهي مرحلة اكتمال قيام الدولة .

ألف الشيخ عثمان عدة كتب فهي تزيد عن المائة كتاب ،غير أنّ جل مؤلفاته هي مخطوطة وكان أهمها إحياء السنة وإخماد البدعة.

كما يعتبر الشيخ عبد الله بن فودي من علماء الهوسا الذي كان له الفضل كذلك في النهضة العلمية بالهوسا، فكان هذا الشيخ ذكيا وله فصاحة علمية بحيث كان يقف بجانب أخيه عثمان في كل المواقف التي حصلت له، فكان يرد عليهم بأبيات شعرية لها معاني كثيرة، وكان أخوه يقلده فيها وذلك لثقافته الواسعة باللغة والشعر،فعينه أخوه وزيرا له ، إلا أنه لم يكن مهتما بالسياسة كثيرا ، فقلده أخوه بتدبير شؤون الرعية للجهة الشرقية، واهتم كثيرا بالعلم فقد كتب في جميع العلوم في الدين والتاريخ والطب.

وكان من بينهم الشيخ محمد بلو ،كان له دور فعّال ،فلقد كان شخصا قويا في تدبير أمور الرعية ، فلقد قلده أبوه في حياته على أكبر جزء من دولته، وبعد مماته أخذ مكانه وعين خليفة لأبيه وواصل ما بدأه ،فكان صريما في كل ما يفعله ويقوله، ووقف في وجه كل من يقف أمامه، وإضافة إلى حسن تدبيره لأمور السياسة ، فكان يكتب ويألف فكتب ما يزيد عن المائة، فكتب في الدين والطب والسياسة والتاريخ.

وخير ما أختم به دراسة هذا الموضوع ، مجموعة من التوصيات أضعها بين الدارسين والباحثين، عسى الأخذ بها في الدراسات المستقبلية لاسيما البحوث المتعلقة بقبائل السودان الغربي، وأثرها في نشر الدين الإسلامي في المنطقة.

وهذه بعض التوصيات :

- الاهتمام أكثر بمناطق إفريقيا الجنوبية عموما ومناطق السودان الغربي خصوصا،وإعطائها حقها، في مجال البحث العلمي.
- دراسة الموضوع ـــ قبائل الهوساـــ من جوانب أخرى، مع التركيز على موضوعات الحركة العلمية بالهوسا .
- إقامة مراكز علمية للدراسات الإفريقية ،والاهتمام بها أكثر، للتعرف على كل المناطق الإفريقية، وذلك للحفاظ على كل الأرشيفات والمخطوطات حتى تسهل عملية البحث.
- توفير المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات والمواضيع الإفريقية ، خصوصا مناطق السودان الغربي، وجعلها في مكتبات يتم إنشاءها بواسطة صندوق تساهم فيه جميع الدول الإفريقية المعنية.
- إقامة الندوات العلمية الخاصة بمنطقة إفريقيا مع الحرص على تفعيل دور السفارات والقنصليات الإفريقية في إقامة مثل هاته الأعمال العلمية.

وفي الأخير أحمد الله في النهاية كما حمدته في البداية ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،وعلى آله وصحب.

قائمة المصادر والمراجع

1ــ المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص

الحديث النبوي الشريف.

1-المصادر المخطوطة:

1- أحمد ابراهيم دياب:نموذج وثائق امبراطورية عثمان بن فودي الفلانية الإسلامية، كتبت حوالي 1806م، نقلا عن طرخان امبراطورية الفولانية،كان تواجده، في نيجيريا جامعة إبادن.3و.

2- عثمان بن فودي : وثيقة الإخوان لتبيين دليلات إتبتع الكتاب والسنة والإجماع، ودليلات اجتناب البدعة لمن يدين بدين الإسلام،ترجمة الحاج محمد مودبوا، جماعة نصر الإسلام، السودان الغربي منطقة سينار،41و.

3- عثمان بن فودي : نور الألباب في ذكر الأمور التي عمت البلوى بها بلاد الحوس – الهوسا-، مطبعة غسيكيا كفرش زاريا- نيجيريا. 9و

2- المصادر المطبوعة:

4- ابن الأثير:عز الدين بن الأثير ،أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج 4، تحقيق وتعليق،الشيخ علي محمد معوض وعلول أحمد عبد الموجود،قدم ،دار الكتب العلمية،بيروت ــ لبنان، ب ط،511ص.

5- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ج2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، ط1: 1423هـ ،2003م، 391ص.

6-البكري(ابن عبيد)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، ب ط ،212ص.

7- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ،المعروف بليون الإفريقي ،وصف إفريقيا،ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ــ لبنان،ط2: 1983م، 298ص.

8_ ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان،ص ب 14/6366، ط1: 1420هـ ،2000م، 524ص.
9-ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) ،تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،مج 6،دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ط1: 1413هـ ـ 1992م ، 219ص.
10- جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، حققه محمود رياض الحلبي ، دار المعرفة ،بيروت ـ لبنان،ب ط، 492ص.
11- السعدي(عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن أمير السعدي): تاريخ السودان، وافق على طبعه السيد هداس مدرس اللغة العربية باريز، ومشاركة تلميذه السيد بلوة، الدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية،ط 1981م، 326ص.
12- شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج7، حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ط1: 1415هـ ، 1994م، 432ص.
13- الشنبطي : الوسيط في تراحم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد، تحقيق محمد أمين الكنتي، منطقة التربي بمصر،ط1 :1339هـ ، 451ص.
14- عبد الله بن محمد بن فودي، ضياء السياسات وفتاوى النوازل مما هو من فروع الدين من المسائل،تحقيق وتقديم د أحمد محمد كاني، الزهراء للإعلام العربي، ط1: 1408هـ ، 1988م، 223ص.
15- عبدالقادر الزبايدية ،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493ـ1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 271ص.
16- عبد الله الحموي،شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ،ج 5، دار صادر للطباعة والنشر ،ص.ب 10 بيروت ـ لبنان، ط 1995، 461ص.
17- عبد الكريم المغيلي،محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي،،تقديم وتحقيق عبد القادر زبايدية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، .196

18- عثمان بن فودي ، إحياء السنة وإخماد البدعة ،الناشرالحاج طن أغى طابيريرو،صكتو.ط 1981، 256ص.
19- محمد بلو بن عثمان بن فودي، انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق، بهيجة الشاذلي، المملكة المغربية ،جامعة محمد الخامس السويسي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط، ط 1996م ، 369ص.
20- محمد بن أبي بكر البرتلي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق ،محمد إبراهيم الكتاني، ط 1400هـ، 1996م ، 369ص.
21- محمد بن عبد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان حقي عباس ، مؤسسة ناصر الثقافة ، دار السراج ، بيروت ، ط2: 1980، 748ص.
22- محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمي التنبكتي الوعكي ، تاريخ الفتاش في لأخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس،طبعه السيد هوداس ودافوس ، طبع بمطبعة بردين بمدينة أنجي ، ط 1913م، 186ص.

2ـ المراجع:

1ـ المراجع العربية:

23- إبراهيم السامرائي: معجم الفرائد – فرائد اغوية قديمة حديثة من المعجم العربي ، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح بيروت ، ظ1: 1984 ،200ص.
24- إحسان حقي ،إفريقية الحرة ،بلاد الأمل والرخاء،منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع و النشر ،بيروت ـ لبنان، ط 1: 1381هـ، 1962م، 200ص.
25- أحمد إبراهيم دياب، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط1: 1401هـ ، 1981م، 253ص.
26- أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الإسلام والدول الإسلامية ، جنوب الصحراء ، إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن،ج 6، الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط4: 1983، 776ص.
27- أحمد طاهر، إفريقية في مفترق الطرق،الدار المصرية للتأليف والترجمة، ب ط ، 499ص.

28- أحمد نجم الدين فليجة ، إفريقية دراسة عامة وإقليمية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ب ط ، 578ص.
29- أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا ، ورقة ثقافية 7، الزهراء للإعلام العربي، ، مركز بحث تاريخ شمال نيجيريا زاريا ،ط 1986/8/2، 139ص.
30- آدم عبد الله الآلوري، موجز تاريخ نيجيريا ، قاموس صغير يلقي الضوء على تاريخ هذه البلاد قديمه وحديثه، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ــ ط سنة 1965م ، 173ص.
31- إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية ، ط 1984. 399ص.
32- أنتوني سيلوري،الجغرافية الاجتماعية لإفريقيا،نقله إلى العربية د. إبراهيم أحمد رزقانة و محمد جمال الدين رزقانة، الناشر.دار النهضة العربية 32ش عبد الخالق بيروت، دار الحمامي للطباعة شارع الجيش 6 كنيسة الأرض ، ب ط، 354ص
33- باسيل دافيدسون، إفريقيا تكشف من جديد، ترجمه نبيل بدر وسعد زغلول ، مراجعة محمود شوقي الكيال، ب ط ، 128ص.
34- باذل دافدسن، إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمه جمال م.أحمد ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان، ب ط ، 480ص.
35-الشيخ باي بلعالم بن عبد القادر ، قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر،ط ،1425هـ ، 2004م، 514ص.
36- ب. س. لويد ، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمه شوقي جلال، المشرف العام أحمد مشاري العدواني، الأمين العام للمجلس ، نائب المشرف العام، خليفة الوقيان، هيئة التحرير فؤاد زكرياالمتشار، زهيرالكرمي وشركاؤهم، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ط 28جمادى الأولى1400هـ، أبريل 1980م، 397ص.
37- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، ملتزم الطبع والنشر ،دار الفكر العربي، الإدارة 94ش عباس العقاد ، مدينة نصر،ط1: 1416هـ ، 1996م، 356ص.
38 - جلال حزي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،لناشر منشأة المعارف الإسكندرية جلال حزي وشركاه ، ط سنة 1999، 710ص.

39- جودة حسنين جودة وعلي أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة الإسكندرية ، ط 1999، 511ص.
40- جودة حسنين جودة ، جغرافية العالم القديم الإقليمية، الناشر منشاة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، مركز دالتا للطباعة أسبورتنج، ط 1: 1998م، 971ص.
41-جودة حسنين جودة ،جغرافية إفريقيا الإقليمية ، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة،الإسكندرية،ط 1998، 478ص.
42- جودة حسنين جودة، قارة إفريقيا ،دراسات في الجغرافيا الإقليمية ،دار المعرفة الجامعية 40ش سوتير الأزاريطة ،387ش قناة السويس ، الشاطبي الإسكندرية، ط2000م، 478ص.
43- جيز.ه.ويلر(الإبن)،جي ،ترونتون كوستبيد ريتشارد تومان، جغرافية العالم الإقليمية آسيا، إفريقيا، أمريكا، أوقيانيا،ج 2، ترجمة د. محمد حامد الطائي، و د. صديق الأتروشي، ود.حسن طه النجم، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، نشر بالمشاركة مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بغداد- نيويورك، ط 1965م، 474ص.
44- جيمس كيمرون، الثورة الإفريقية ، كتب سياسية، مجموعة عربية 100/° الكتاب 221، عدد خاص ، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر157،شارع عبيد، روض الفرج، ب ط 111ص.
45- حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده، 9 ش عدلي باشا بالقاهرة ، ط2: 1963، 249ص.
46- حسن أحمد محمود،الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي 94ش عباس العقاد، مدينة النصر القاهرة، ط1: 1419هـ/1998م، 392ص.
47- دنيز بولم، الحضارات الإفريقية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات بيروت ــ باريس، ط3: 1988م، 208.ص
48- دونالد ويدنز، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة د.راشد البراوي، الناشر مكتبة الوعد العربي، 5ش كامل صدقي بالفجالة، دار الجيل للطباعة 14 قصر اللؤلؤة الفجالة، ط 1962م، 229.ص

49- رأفت الشيخ، المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، طبع بمطابع الهداية ، البراجيل الجيزة، ط2: 1998م، 232ص.
50- سامي منصور ، نيجيريا إفريقيا التائه، دار المعارف بمصر، ملتزم الطبع والنشر، دارالمعارف بمصر،كورنيش النيل ،القاهرة ، ب ط ، 159ص.
51- سعد ناجي جواد ، قضايا إفريقية ، معاصرة زهران للنشر والتوزيع، ب ط ، 186ص.
52- سليم حكيم ، تعليم اللغة العربية في نيجيريا، السلسلة الثقافية 12، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية العراقية ، بغداد ، ط 1996، 131ص.
53- سميح عاظف الزين : الصوفية في الإسلام ، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان مكتبة المدرسة،ظ : 1405هـ ، 1985م، 220ص.
54- سيرتوماس .و. أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه،د. حسن إبراهيم حسن، ود. عبد المجيد عابدين،وإسماعيل البخراوي، ملتزم النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده بالقاهرة،ط:1970م، 521ص,
55- شاكر مصطفى ، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج 3، دار العلم للملايين ، ط1 1993، 2024ص.
56- شوقي الجمل ود. عبد الله إبراهيم ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، نشر وتوزيع دار الثقافة الدوحة، ط1: 1407هـ - 1987م، 397ص.
57- شوقي عطا الله الجمل ود. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، سيف الدين المهراني الفجالة القاهرة،ط: 1996م، 152ص.
58-شبخو أجمد سعيد غلادتبي : حركة اللغة الغربية وآدابها في تيجيريا ، الرياض شركة العلبركا، ظ: 1993، 951ص.
59- صلاح الدين المنجد : مملكة مالي عتد الجغرافين المسلمين، دار الكتاب الجديد- بيروت ، ظ1: 1963م، 160ص.
60- صلاح صبري، إفريقيا وراء الصحراء، الناشر مكتبة النهضة المصرية ،عدلي القاهرة، بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم الإقليم الجنوبي،ط 1960م،397ص.

61- الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث ، ط1: 1415هـ - 1994م، 357ص.
62- عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا،ج1، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف بالقاهرة،ط 1965، 156ص.
63- عبد الرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، ج2،مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف بالقاهرة، 183ص.
64- عبد الرحمن زكي،المسلمون في العالم اليوم، إفريقية الإسلامية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ،ط1: 149،1958ص.
65-عبد الرحمن عمر الماحي ،الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل،ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، بن عكنون الجزائر، ط 309،1992ص.
66- عبد الرحمن عميدة: التصوف الإسلامي(منهجا وسلوكا) مكتبة الكليات الأزهرية الفاهرة، ظ: 1982م، 190 ص
67- عبد الله حشيمة، في إفريقيا السوداء ، العالم والعصر ، المطبعة الكاتوليكية ، بيروت ، ط1: 1962/08، 150ص.
68 ــ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الفجالة القاهرة ، ط 1997م، 455ص.
69- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، الناشر مكتبة نهضة الشرق،جامعة القاهرة ، دار الطباعة للجامعات 38ش جامع العيسوية دار السلام ــ المعادي ، ط1: 1985م، 354ص.
70- عبده البدوي، شخصيات إفريقية الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة، دار الوفاء للمطبوعات ، ب ط ، 167ص.
71- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة و النشر والتوزيع،13ش البركة الناصرية (من نوبار)لاظوغلي، ط 1421هـ، 2000م، 430ص.

72- عطية مخزوم الفيتوري، دراسات،دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام ،منشورات جامعة قازيونس بنغاري ، دار الكتب الوطنية،بنغاري، ط1: 1998م، 342ص.

73- علي أيوب ناجي ، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث الكويت،ب ط، 203ص.

74- فتحي محمد أبو عيانة ،الجغرافية الإقليمية ،دراسة لبعض الأقاليم الكبرى في العالم، دار المعرفة الجامعية ، ط 2003،306ص.

75- فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مراجعة د.ميلاد أ.المقرحي، منشورات الجامعة المفتوحة،ط 1997م، 351ص

76- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنتن 18و19 مع تحقثق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة،إشراف أبو القاسم سعد الله،أطروحة لنيل دكتوراه الدور الثالت في التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائرـــ المؤسة الوطنية للكتاب الجزائر ،سنة 1977م.

77- فيليب رفلة، الجغرافية السياسية لإفريقية مع دراسة شاملة للدول الإفريقية سياسيا واقتصاديا وطبيعيا، تقديم وإشراف د. عز الدين فريد ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن محمد وأولاده 9 شارع عدلي باشا بالقاهرة ، شركة الطباعة الفنية المتحدة 10شارع المستعلى بالله الرسامة، ط 1966م، 672ص.

78- ك. بادهويانيكار، الوثنية والإسلام ، تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية، ج1،2، ترجمه وعلق علق عليه وحققه على مراجعة العربية ، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة،ط 1998م، 558ص.

79- لوتروب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، ج 3، نقله إلى العربية أ. عجاج نويهض بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير الأمير شكيب أرسلان ، دار الفكر ن ط3: 1391هـــ، 1971م، 559ص.

80- محمد إبراهيم أبو مسلم ،بحوث في تاريخ السودان (الأراضي ، العلماء، الخلافة،بربر،علي الميرغني)، دار الجيل بيروت،ط1: 1412هـــ،1992م، 191ص.

81- محمد رياض ود. كوثر عبد لرسول ،إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، ط2 1973م، 642ص.
82- محمد صبحي ، دراسات في جغرافية العالم الإسلامي ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية،ط 1426هـ، 2006م،215ص.
83- محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، 40ش.د. مصطفى مشرفة،إسكندرية، ط 2006م، 327ص.
84- محمود شاكر ،سكان العالم الإسلامي، مؤسسة الرسالة ، شركة الشهاب الجزائر للنشر والتوزيع، إبراهيم شرفة باب الواد ، ط 1989، 141ص.
85- محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، التاريخ المعاصر غربي إفريقيا ،ج 15، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق، عمّان ، ط2: 1417هـ، 1997م، ً328ص.
86- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني،ج8، المكتب الإسلامي ،3 1411هـ ، 1991م، 584ص.
87- محمود طه أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعارف بمصر ، ملتزم الطبع والنشر ، 1119كورنيش النيل ، القاهرة ، مطابع سجل العرب القاهرة، ط4: يناير 1968م،511ص.
88- محمود متولي، إفريقيا والسيطرة الغربية ، دراسة تحليلية للإستعمار البريطاني في نيجيريا حتى نهاية سنة 1945، مكتبة المعارف الحديثة، ط 1981م،253ص.
89- موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام القرن 19م،ج6،نقله إلى العربية،يوسف داغر، وموريس داغر، منشورات عويدات بيروت ــ باريس، ط 1994م، 715ص.
90- موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول القرن 8ــ11م، ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، مطبعو زبانة، ط 1979م، 391ص.
91- موسى لقبال ، شخصيات لها تاريخ عقبة بن نافع، تصميم علي عفسي عبد العزيز ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1989م، 89ص.
92- نعيم قدّاحن حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2: 1975م،279ص.
93- يسرى الجوهري، جغرافية العالم الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط 1998م، 623ص.

94- يسرى الجوهري ، الجغرافية الحضارية ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1995م، 757ص.

95- يسرى عبد الرزاق الجوهري و د. حافظ مصطفى محمد ، جغرافية السكان، دار الكتب الجامعية الإسكندرية ، ط 1971م، 639ص.

3- المراجع باللغة الأجنبية

96- Alfred Grosser : l'Afrique Noire contemporaine,sous la direction de Mercel Merle, collection V ,Serie « Sosiete politique » L'ibrairie Armand Colin ,Paris Ve, 2eme édition 1972,p471.

97- Basil Davidson :Les Africains A L'histoire Introduction d'une culture , traduit De L'anglais par Michel Janin, èdition du seuil paris Vie, 1969, 345P.

98- Christian Coulon : Les Musulmans et le pouvoire en Afrique Noire , Religion et contre- culture,Editions karthala paris 1983,169P.

99- Denise Paulme : Les Civilisation Africane presses universitaire de France Paris , 3ème trimestre 1961. 126P .

100- Elika M'Bokolo : Afrique Noire Histoire et Civilisations jusqu'au XVIIIe Siecle tome 1, Hatier- aupelf .VRef ,hateir Paris 1995 , 496P.

101- E .Le Bris, E . Le Roy et F . Leimdorfer : enjeux Fonciers en Afrique Noire, orstom –karthala orston , paris Etudes rèunies et presente par E.LE Bris , 1983 ,450P .

102- Henri Brunschwig : l'avenment de l'Afrique Noire du XIXe Siecle à nos jours ,librairie Armand colin 103,Boulevard saint- Michel paris Ve , 2ème trimesstre 1963,248P.

103- Hubert Deschamps : Les Institutions Politiques de l'Afrique Noire ,presses Universitaires de France 108,Boulevard Saint – Germain Paris , 1965,126P.

104- Hurbert Deschamps : l'Afrique Noire Précoloniale Presses Universitaires de France, Paris 1962, 126P.

105- Jacqueline Delange, Arts et Peupeles de L'Afrique Noire,Introduction à une analyse des Creations Plastiques , Bibliothéque de Sciences Hunaines nrf ;Editions Gallimard Paris 1967 ,273P .

106- J.D.Fage :A History of West Africa an Introductory Survery ,The Fourth Edition of « An Introduction to the history of west Africa , Cambridge at the University press 1969. 239P.
107- J.KI-Zerbo **:** «Directeur du Volume » : Histoire Generale de l'Afrique, tome1, Methodogie et Préhistoire africaine,jeune Afrique /Stock unesco, 1980 ,**j**eune Afrique Paris 1979 , 239P
108- Jerome O. Gefu : Pastoralist Perspectives in Nigeria , The fulbe Udubo Grazing ,Rserve,(nordiskainstitutet) the Scandinavian studies institute of African Studies,1992,109P.
109- Keletigui A. Marico : Les Touareges Ouelleminden ,Les fils des grandes tentes,Editions Karthala Paris 1984,182P.
110- Nehemia levtzion **:** Musulims and Chiefs IN West Africa , A Study of Islam in the Middle volta Basin in the pre- colonial period oscford at the clarendon press 1968,printed in Great Britain,228P
111- . P. De Pedrals : Manuel Scientifique De L'Afrique Noire ,avec 11cartes,26planches et gravures dessinèes par l'auteur preface De jacque Boissier gouvement des colomies ,Paris ,Bibliothèque Scientifque 1948 , 202P
112- Réne Otogek : Le Raricalisme Islamique au Sud du Sahara da'wa , Arabisation et Critique de l'occident , Edition karthala Paris 1993, 264P.
113- Robert Cornevin : Histoire de l'Afrique ,l'Afrique Précolonial :1500-1900, 22cartes , avec la collaboration de Maérianne Cornevin ,Tome2, Deusciéme édition revue et augmentée, Bébliothéque Historique payot, Paris 1976 , 668P**.**
114- Thomas Hodgkin : Nigerian perspectives « An Historical Anthology) Second Edition , 432P.
115- Préface de jean Dresch **:**Afrique Noire Occidentale et centrale , revue et mise à jour, Edition Sociales , paris , 4ème trimestre 15décembre1973, 395P.
116- Vincent Monteil : L' Islam Noir ,editions Du seuil Paris 1963, 367P. .

4- الموسوعات والمعاجم:

117- أ.جي.بريلوشركاؤه، موجز دائرة المعارف الإسلامية،ج19و32، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 322ص.

118- أ.د. رجب محمد عبد الحليم. وشركاؤه، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي،بعنوان تاريخ المسلمين في إفريقيا (جنوبي الصحراء)،ج9، جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير 5ش جزيرة العرب المهندسين القاهرة،112ص.
119- سفيان الصفدي، الموسوعة التاريخية لدول العالم وقادتها،دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، عمان ،ط1: 2000م، 336ص.
120- عبد الكيالي، موسوعة السياسة،ج7،6،4،مدير التحرير،د.محمد بشيرالكافي، محمد عمارة وآخرون،راجعها ونقحها رشاد بيبي،شارك في التنقيح منير حمّودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، التوزيع في الأردن دار الفارس للنشر والتوزيع عمان ، ط3: 1995م، 853ص، 686ص، 676.ص.
121- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين،مج 5، دار المعرفة،بيروت ــ لبنان، ط3،ب سنة الطبع، 800ص.
122- مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية، معالم ، وثائق، موضوعات، زعماء، القارات، البلدان، المدن،ج 20، الناشر الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، ط 2004، 576ص.
123- منير البعلبكي، موسوعة المورد،مج1، 5، 10،6، دائرة المعارف إنكليزية عربية مصورة ،دار العلم للملايين بيروت ،ط1 1981م، 671ص، 224ص، 224ص،214ص.
124- الموسوعة العربية العالمية ،ج 15،17،25،26، موسوعة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2: 1419هـ ــ1999م، 704،732،683،347ص.
125- الموسوعة العربية الميسرة ،ج 3،4، دار الجيل بيروت ت القاهرة، تونس، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية،1081،كورنيش النيل، جاردن سيتي، القاهرة، مصر، ط2: 2001م، 731.658ص.
126- الموسوعة عربية عالمية مصورة بالألوان،مج 16، المشرف العام :أ.نقولا ناهض، الإنتاج التوزيع الشركة الشرقية المطبوعات ش،م،م، ب ط ، 168ص.
127- كلوس كريزرو آثرديم لفانس،جورج ماير، معجم العالم الإسلامي، ترجمة د.ج.كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط2: 1418هـ، 1998م، 726ص.

128-الثقافة الإفريقية ، ملتقى الجزائر 21أوت1969م، المهرجان الثقافي الإفريقي الأول، مطبعة الشركة الوطنية ،الشعب ،الصحافة، 485ص.

129- العرب وإفريقيا ،بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، عبد الملك عودة ،مجدي حمادى وشركاؤه، ط2، بيروت 1987م، 823ص.

5- المجلات:

130- أحمد العايد ،" البحث في العلاقات بين اللغة العربية واللغات الإفريقية ، واقعه وآفاقه"، **مجلة اللسان العربي** ،العدد 23 المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب الدورة المالية 1983/82 ، 05ص.

131- إسماعيل العربي، " مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء" ، **مجلة الثقافة**، رئيس التحرير د. حنفي بن عيسى،العدد 11سنة 1401هـ، 1981م، 16ص.

132- **" كتاب الأصالة"** ،ج 1، محاضرات الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية ، سنة : 07،16،شوال 1399هـ، 30اوت ـ 8سبتمبر1979م، ع ص م 22.

133 - محمد الأمين أبو منقة، "نشأة الأدب الهوسي والفولاني" ، **مجلة اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،جامعة محمد الخامس ـ السويسي ، الرباط، سلسلة رقم 3، سنة 2006م، 36، 42صص.

6- المجلات باللغة الأجنبية:

134-« Revue of African Political Economy » the Nigerian General strike of 1981, dafe otobo, N°22 ,Année 1981, 16P.

135- «Revue du Monde Musulman » publiée par :Laission scientifique du Maroc paris Ernest leroux ,Edition 28,Rue Bomaparte ,Tome 20, 6° Année Septembre ,497P.

136- « Africana bulletin" stanislaw pilaszewicz ,stories from Northern Ghana ,A Hausa thesct from the IA Sar /22 Manuscript , Recznik orientalistyazny ,vol XXXI V.No2,pp

73-1100 Barbara Steprriewska , wydawnictwa uniwersytetu warszawszawskiego,1972, N°16 ,01P.
137- « Revue Africaine » publiée par la société Historique Algérienne ,typographie Adolphe jourdan imprimeur libraire –Editeur 2,place de la Régence office des publications universitaires 1,place centrale de ben Aknoun Alger ,Année 1908,N°52 , 347P.
138- Mohammed Al Amine Abou Manga : « la lange arabe et les autres langues Africaines » université Mohammed V Souissi Institut des Etudes Africaines Rabat,Année 2006 .43P

8- المذكرات:

139-Baghli ouafad : The Nigerian civil war 1967-1970, thesis magistere faculty of letters,languages and department of anglo –sascon languages English section ,supervised bay Dr Borsali,Année scolaire 2001.

10- الأنترنت: المواقع:

401- عثمان بن فودي ، مجاهيل ومشاهير، www.islamonline.net / arabic /famous 2003/11/article01. sht ML-77k.le 07-04-2007q

141- الإمام المجاهد عثمان بن فودي، أعظم أمراء إفريقيا المختار الإسلامي، www.islamselect. com/mat /27039 ,le07-04-2007

142- عثمان بن فودي الفولاني أحد أعظم أمراء بإفريقيا المسلمين، www.tkroni. Com/ vb/ showthread. Php ?t=853-93k . le29-04-2008

143- عبد الله وآثاره الفكرية alarabi.ma/Htm/ adad 20 partie 9.htm- 132k le 26-03-2008.

144- د مصطفى حجازي ،كتاب معجم سياقي للكلمات العربية في لغة الهوسا، www.attarika-forun – al – wlid. Com/ 16901.html.60k. le 02-01-2009

145- قبيلة الهوسا www.aljazeera.net/NR/exes/cA6C9486-657D3-802CB62B 414 10 htm- 59k. le 01-05-2006

146- لغة الهوسا ، alharfalarabi.org/lang- hawsa.asp-51k.

فهرس

إداء

شكر وعرفان

شكر وتقدير

المقدمة..... أ.ج..

الفصل الأول: منطقة الهوسا

البيئة والسكان.....02

الموقع الجغرافي.....02

أصل الهوسا.....03

لغة الهوسا.....07

الإسلام والهوسا.....15

الأوضاع السياسية لقبائل الهوسا.....19

العلاقات السياسية الداخلية.....19

العلاقات السياسية الخارجية.....23

مملكة سونغاي.....24

إمبراطورية كانم ــ بورنو.....26

الحياة العلمية بالهوسا قبيل القرن 13هـ/19م.....29

علماء قبائل الهوسا.....29

الإسهام العلمي لعلماء الهوسا قبيل القرن 19م.....30

الفصل الثاني: المراكز العلمية بالهوسا

مركز كانو.....39

الموقع.....39

لمحة عن المركز.....40

إسهامه العلمي.....41

مركز كاتسينا.....50

لمحة عن المركز.....50
عطاءه الحضاري وأثره في نشر الإسلام.....51
مركز زكزك(زاريا).....55
الموقع.....55
تاريخ المركز.....56
علماء المركز وأثرهم العلمي.....57
الطرق الصوفية.....58
مفهوم الطرق الصوفية.....58
دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام..... 61
المناجات الإلهية.....64
التزهد.....64
التوسل والتشفع.....65
الإصلاح والتوجيه.....66
الجهاد وذكر المغازي.....67
الفصل الثالث: الإسهام العلمي لعلماء الهوسا في القرن 19م
العلوم الشرعية وأشهر علمائها.....70
الفقه.....70
العقيدة الإسلامية..... 72
السنة النبوية الشريفة.....74
الكتب الستة.....75
كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام.....76
منهج عبد الله بن فودي..... 79
ترجمة كتاب سوق الأمة إلى إتباع السنة..... 79
ترجمة الأربعون النووية.....80
علماء قبيلة الهوسا.....82
عثمان بن فودي 82

النشأة والتكوين..... 82.
المرحلة الأولى 1177، 1218هـ/ 1764،1803م.....85
المرحلة الثانية:مرحلة الجهاد وإنشاء الدولة الإسلامية..... 93
المرحلة الثالثة:مرحلة توطيد دعائم الدولة الإسلامية الجديدة
1225،1232هـ/1810،1817م.....95
مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي.....97
الشيخ عبد الله بن فودي.....101
المولد والنشأة.....101
مؤلفاته.....106
الأدب 111
أسماء بنت عثمان بن فودي..... 117
بعض كتبها.....118
علم التاريخ.....119
اهتمام علماء الهوسا بقبيلة فلان.....120
محمد بيلو.....124
المولد والنشأة.....124
سياسة محمد بلو.....125
أسلوب الرباط.....127
تطبيق للشريعة الإسلامية.....127
سياسته الخارجية.....128
وفاة محمد بلو.....128
مؤلفات محمد بلو 129
خاتمة.....134
الملاحق..... 143
قائمة المصادر والمراجع..... 185
فهرست.....201